

الأخيار والطالح

تأليف

(أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري)

طبع على نفقة مصححه وضابط ألفاظه اللغوية



مكتبة الجمهورية

(تنبيه) كان هذا السفر الجليل خالياً من التراجم فتسهيلاً للمراجعة طلبت من حضرة الاستاذ العلامة الشيخ محمد الحضري مدرس التاريخ بالجامعة المصرية أن يضع لكل قطعة منه عنواناً فتكرم بالإجابة فأشكره وبذا صارت حقوق الطبع محفوظة

(الطبعة الاولى - سنة ١٣٣٠ هـ مطبعة السعادة بمصر)

* فهرست *

﴿ كتاب الاخبار الطوال ﴾

صحيفة	صحيفة
١١ بنو قحطان	٢ فرقة أولاد آدم
١١ انقضاء ملك منو شهر وابتداء	٢ ادريس ونوح
ملك فراسياب	٣ بلبلة الالسن
١٢ ملك زاب بن يود كان	٤ الساميون
١٣ كيقباز بن زاب	٤ ملك بيوراسف
١٣ ملك ابرهة باليمن	٥ الوليد بن الريان
١٤ « كيكافوس بن كيقباز	٥ فراسياب
١٥ « كيكسرو	٥ الضحاك
١٥ « افريقيس على اليمن	٦ بعثة هود
١٦ « ذى جيشان بن افريقيس	٧ نمرود بن كنعان
وهلاك طسم وجديس	٨ ذكر قحطان
١٧ « الفند ذى الازعار	٨ ذكر نمود
١٧ هجرة ريعة الى اليمامة والبحرين	٩ نمرود و ابراهيم
١٩ ملك داود	٩ هجرة جرهم والمعتز
٢١ « الهذهاد وبنته بلقيس	١٠ تملك نمرود أولاده
٢١ أسفار سليمان وملسكه	١٠ أولاد اسماعيل
٢٢ ملك ارخبعم بن سليمان	١١ غلبة جرهم على الحرم

(ب)

صحيفة	صحيفة
٢٤ ملك ياسر ينعم	الشمس وبلاد الصين
٢٤ « لهراسف واغارة بخت نصر	٣٧ مسير الاسكندر الى يأجوج
٢٥ « بشتاسف على العجم وشم	وماجوج
على اليمن	٣٩ تولية الاسكندر ابناء الملوك
٢٦ دعوة زراذشت	٣٩ مهلك اسكندر
٢٧ ملك أبي مالك بن شمر على اليمن	٤٠ مدن اسكندر
٢٧ « بهمن بن اسفندياذ على	٤٠ ملوك الطوائف
العجم وخلص بنى اسرائيل	٤٠ ملوك اليمن الاربعة
٢٨ « خمانى زوج بهمن	٤١ ملك اردوان بن أشه
٢٩ « دارا بن بهمن	٤١ « اسعد بن عمرو اليمن
٢٩ « تبع بن أبي مالك	٤٢ « القيطون بلاد الحجاز
٢٩ حرب دارا مع الروم	٤٢ مبعث عيسى عليه السلام
٣٠ ملك داريوش	٤٣ ملك أردشير بن بابك
٣٠ نشأة الاسكندر	٤٥ حديث جرجيس مع ملك
٣١ غلبة الاسكندر على دارا	الموصل
٣٤ غزو الاسكندر الهند واليمن	٤٦ ملك ملكيكرب اليمن
٣٤ وصول الاسكندر الى مكة	٤٦ ملك التبابعة
ومقابلته للنضر بن كنانة	٤٧ ملك سابور
٣٥ وصول الاسكندر الى بلاد المغرب	٤٧ ظهور ماني
٣٦ مسير الاسكندر الى مشرق	٤٨ ملك هرمز

صحيفة	صحيفة
٦١ ملك قباذ بن فيروز	٤٨ ملك بهرام بن هرمز وأولاده
٦١ « ذى نواس اليمى	٤٨ « سابور ذى الاكتاف
٦٢ استيلاء الحبش على اليمى	٥٠ « مانوس على الروم وحروبه
٦٣ مسير الحبشة لهدم الكعبة	مع سابور
٦٣ غلبة سيف على اليمى	٥١ « سابور بن سابور
٦٤ ملك فارس اليمى	٥١ « بهرام بن سابور
٦٥ المذهب المزدكى	٥٢ « يزديجرد بن سابور
٦٧ ملك كسرى أنوشروان	٥٢ قتل عمرو بن تبع وملك صهبان
٦٨ حرب فارس والروم فى عهد كسرى	اليمى
٧١ الخراج فى عهد كسرى	٥٢ مسير صهبان الى حرب
٧٣ مقارنة التاريخ النبوى بتاريخ العجم	العدنانين بتهامة
٧٤ ملك هرمزد	٥٤ ملك ربيعة بن نصر اللخمي اليمى
٨٤ فتحة بهرام جوبين وتولية كسرى ابرويز	٥٥ مسير عمرو اللخمي الى الحيرة
١٠٥ حرب ابرويز مع الروم	٥٥ ملك جذيمة الحيرة
١٠٦ خلع ابرويز وملك ابتهشيرويه	٥٥ « عمرو بن عدى
١٠٧ مراسلة بين ابرويز وشيرويه	٥٦ « بهرام جور
١١٠ ملك شيرزاد بن شيرويه	٥٨ « يزديجرد بن بهرام
	٥٩ النزاع بين ولدى يزديجرد
	٥٩ فيروز بن يزديجرد
	٦١ بلاس بن فيروز

صحيفة	صحيفة
١٤٢ فتح سرخس	١١٠ ملك شهر يار
١٤٢ مقتل عثمان وبيعة على رضى	١١٠ « جوان شير
الله عنهما حياكى	١١١ « بوران
١٤٥ مخرج طلحة والزبير ووقعا	١١٦ ابتداء حرب العرب مع المعجم
الجل	١١٢ الفتوح فى عهد سيدنا عمر بن
١٥٦ وقعة صفين	الخطاب رضى الله عنه
١٧٨ مقتل عبد الله بن بديل	١١٩ ملك زنجرد بن شهر يار
١٨٠ مقتل عبيد الله بن عمر بن	وواقعة القادسية
الخطاب	١٢٤ تمصير النكوة
١٨١ مقتل ذى الكلاع	١٢٦ فتح المدائن
١٨٦ مقتل هاشم بن عتبة بن أبى	١٢٨ وقعة جلولاء
وقاص المرقال	١٣٠ فتح تستر
١٨٨ مقتل حوشب ذى ظليم	١٣٤ وقعة نهاوند
١٩١ طالب التحكيم واختلاف أهل	١٤٠ مقتل عمر وولاية عثمان رضى
العراق	الله عنهما
١٩٥ الاتفاق على التحكيم	١٤٠ فتح سابور
١٩٦ عقد التحكيم	١٤٠ « افر يقينه
١٩٩ بدء أمر الخوارج	١٤٠ « قبرس
٢٠٠ اجتماع الحكمين بدومة الجند	١٤١ خلع أهل اصطخر واعداد فتحها
٢٠٤ خروج الخوارج على علي	١٤١ وصول يزدجرد الى مرو ومقتله

صحيفة	صحيفة
يزيد	٢١٠ واقعة النهروان مع الخوارج
٢٧٥ ولاية قتيبة بن مسلم خراسان	٢١٥ مقتل علي رضي الله عنه
٢٧٥ « خالد القسري العراق	٢١٨ بيعة الحسن بن علي رضي
٢٧٥ الاضطراب في العراق بموت	الله عنهما
يزيد بن معاوية	٢٢٠ الصلح بين الحسن ومعاوية
٢٧٩ خلافة مروان	رضي الله عنهما
٢٨٠ « عبد الملك	٢٢٠ بيعة معاوية بالعراق
٢٨٢ دعوة المختار الى محمد بن	٢٢٨ خلافة يزيد
الحنفية وغلبته على الكوفة	٢٣١ استدعاء سيدنا الحسين الى
٢٨٦ مقتل عبيد الله بن زياد	الكوفة
٢٩٧ « المختار	٢٣٣ مقتل مسلم بن عقيل
٣٠١ غزو عبد الملك العراق وقتل	٢٤٣ مخرج الحسين رضي الله عنه
مصعب	الى الكوفة
٣٠٤ مقتل عبد الله بن الزبير على	٢٥١ مقتل الحسين
يدي الحجاج	٢٦٠ خلافة ابن الزبير
٣٠٦ ضرب النقود	٢٦٤ أمر الخوارج
٣٠٦ فتنة ابن الاشعث	٢٦٦ حرب المهلب مع الخوارج
٣١٣ خلافة الوليد بن عبد الملك	٢٧٤ قدوم المهلب على الحجاج
٣١٣ بناء الحرم المدني	٢٧٤ مطاردة قطري وقتله
٣١٤ عبور نهر بلخ وفتح بخارى	٢٧٥ ولاية المهلب خراسان ثم ابنه

صحيفة	صحيفة
٣٥٧ خلافة أبي جعفر المنصور	وسمرقند
٣٦٢ بناء بغداد	٣١٥ خلافة سليمان بن عبد الملك
٣٦٣ خروج الراوندية	٣١٧ خلافة عمر بن عبد العزيز
٣٦٣ نصيحة عمرو بن عبيد المنصور	٣١٨ خلافة يزيد بن عبد الملك
٣٦٤ خروج محمد بن عبد الله على المنصور	٣١٨ بدء الدعوة العباسية
٣٦٤ وفاة المنصور	٣٢١ خلافة هشام بن عبد الملك
٣٦٥ خلافة محمد المهدي	٣٢٢ بدء أمر أبي مسلم الخراساني
٣٦٥ « موسى الهادي	٣٣٠ خلافة الوليد بن يزيد
٣٦٥ « هرون الرشيد	٣٣٢ « يزيد بن الوليد
٣٧٠ « محمد الامين	٣٣٣ أمر ابراهيم بن الوليد
٣٧٨ « عبد الله المأمون	٣٣٤ خلافة مروان بن محمد بن مروان
٣٧٨ « محمد المعتصم	٣٥١ ظهور أبي العباس السفاح وبيعه

(تمت الفهرست)

الأخيار والطالح

تأليف

(أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري)

طبع على نفقة مصححه وضابط ألفاظه اللغوية



مكتبة الجمهورية

(تنبيه) كان هذا السفر الجليل خالياً من التراجم فتسهيلاً للمراجعة طلبت من حضرة الاستاذ العلامة الشيخ محمد الحضري مدرس التاريخ بالجامعة المصرية أن يضع لكل قطعة منه عنواناً فتكرم بالإجابة فأشكره وبذا صارت حقوق الطبع محفوظة

(الطبعة الاولى - سنة ١٣٣٠ هـ مطبعة السعادة بمصر)

كتاب النجوم

(ترجمة)

مؤلف هذا الكتاب المسمى بالأخبار الطوال هو أحمد بن داود بن وندد الدينوري العالم المشهور الأديب النحوي اللغوي المهندس المنجم النبائي المؤرخ كان بارعا في كل هذه الفنون وألف فيها التأليف المفيدة المشهورة * منها كتاب اصلاح المنطق * وكتاب في التفسير وكتاب في التاريخ * وكتاب جواهر العلم * وكتاب في الجبر والمقابلة وكتاب رصده باصبعان سنة ٢٣٥ * وزيج وضعه لركن الدولة ابن بويه الديلمي * وكتاب في الأنواء تضمن كل ما كان عند العرب من المعرفة بالسماء والأنواء ومهاب الرياح وتفصيل الأزمان وما شا كل ذلك * وكتاب لطيف في حساب الخطأين * وكتاب في الفصاحة * وكتاب في الوصايا * وكتاب في حن العمامة * وكتاب في النبات لم يؤلف مثله في معناه وكان من نوادر الرجال جمع بين بيان العرب وحكم الفلاسفة وأكثر عن ابن السكيت . (وكانت وفاته) رحمه الله تعالى سنة ٢٨١ وقيل سنة ٢٨٢ وقيل سنة ٢٩٠ هجرية على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحية آمين

كِتَابُ

الْأَخْبَارِ الطَّوَالِ

فيه ذكر ملوك الأرض من لدن آدم عليه السلام الى انقضاء ملك
يزدجرد بن شهر يار بن كسرى ابرويز * وذكر من ملك من ملوك قحطان
وملوك الروم وملوك الترك في كل عصر وأوان * وذكر الأئمة والخلفاء والحروب
التي كانت مثل يوم القادسية وفتوح العراق وانصرام دولة العجم وحرب
الجل وصقين ويوم النهروان ومقتل الحسين بن علي عليهما السلام وقتنة
ابن الزبير وخروج الأزارقة وحروبهم وأيامهم وخبر المختار بن أبي عبيد
وقصته وسبب خروجه * وخروج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج وما
كان بينهما * وذكر خلافة عبد الملك والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز
الى انقضاء ملك بني أمية * وخبر الدولة العباسية وقصة أبي مسلم الى خلافة
المنصور وبنائه مدينة بغداد وأيام الخلفاء من بعده الى انقضاء أمر محمد الأمين
* وخبر المأمون الى آخر أيام المعتصم * وخبر بابك وحروبه وأيامه مختصراً
من السير مقتصراً على الاقتصاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(فرقة أولاد آدم)

قال أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري رحمه الله وجدت فيما كتب
أهل العلم بالأخبار الأولى أن آدم عليه السلام كان مسكنه الحرم وإن ولده
كثروا في زمان مهليل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم وكان سيّد
ولد آدم في دهره والقائم بأمرهم وكذلك كان آباؤه إلى آدم عليه السلام
ووقع بينهم التنازع في الأوطان ففرّقهم مهليل في مهبّ الرياح الأربع وخص
ولد شيث بأفضل الأرض فأسكنهم العراق

(ادريس ونوح)

وكان أول نبي بعد شيث ادريس واسمه أخنوخ بن يرد بن مهليل
وسمى ادريس لكثرة دراسته . ثم بعث الله نوحا عليه السلام إلى أهل
عصره وكان مسكنه بأرض العراق وهو نوح بن لمك بن متوشلح «فكذبوه»
فأغرقهم الله ونجّى نوحا ومن كان معه في السفينة وكان جنوح السفينة واستقرارها
على رأس الجوديّ جبل بقرّدى وبازبديّ من أرض الجزيرة . فلما مات
نوح استخلف ابنه ساماً فكان أول من وطّد السلطان وأقام منار الملك بعد

سام جَمَّ بن ويونجيان بن ايران وهو أرفخشذ بن سام بن نوح وأعقب الله جميع من نَجَّى مع نوح في السفينة إلا بنيه الثلاثة ساماً وحاماً ويافثاً . قالوا وكان لنوح ابن رابع اسمه يامٌ وهو الفريق ولم يكن له عقب وأما الثلاثة فكلهم أعقب . قالوا وكان سام هو المتولى لأمر ولد نوح من بعده وكان يشتو بأرض جَوْخى ويصيف بالموصل وكان طريقه في مَبْدئه ومنصرفه على شطِّ دجلة من الجانب الشرقى فسُمي لذلك سام راه وهو الذى تسميه العجم ايران . وكان قد تبوأ أرض العراق واختصها لنفسه فسُمي ايران شهر . وقام بالأمر بعده ابنه شاخ فلما حضرته الوفاة أسند الأمر الى ابن أخيه جَمَّ بن ويونجيان ابن أرفخشذ فبُتَّ أساس الملك ووطد أركانه وبنى معالمة واتخذ يوم النيروز عيداً

(بلبلة الألسن)

قالوا وفي زمان جَمَّ تبلبلت الألسن ببابل وذلك أن ولد نوح كثروا بها فشُخنت بهم وكان كلام الجميع السُريانية وهى لغة نوح فأصباحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم وتغيَّرت ألفاظهم وماج بعضهم فى بعض فتكلمت كل فرقة منهم باللسان الذى عليه أعقابهم الى اليوم فخرجوا من أرض بابل وتفرقت كل فرقة جهةً وكان أول من خرج منهم ولد يافث بن نوح وكانوا سبعة اخوة الترك . والخزر . وصقلاب . وتاريس . ومنسك . وكمارى . والصين . فأخذوا ما بين المشرق والشمال . ثم سار بعدهم ولد حام بن نوح وكانوا أيضاً سبعة اخوة . السند . والهند . والزنج . والقبط . وحبش . ونوبة وكنعان . فأخذوا ما بين الجنوب والدَّبُور وأقام ولد سام بن نوح

مع ابن عمهم جَمَّ الْمَلِكُ بِأَرْضِ بَابِلَ عَلَى تَغْيِيرِ الْفَاطِمِ

(الساميون)

وكان لسان بن نوح خمسة بنين . إرم وكان أكبرهم سنًا . وأرفخشذ . وعالم . واليفر . والأسور . فخصَّ ولد إرم باللسان العربيَّ عند تبليل اللسان وكانوا أيضًا سبعة أخوة عاد . وثمود . وصحار . وطسم . وجديس . وجاسم . ووبار . فارتحل عاد مع من تبعه حتى حلَّ بأرض اليمن ونزل ثمود بن إرم ما بين الحجاز إلى الشام ونزل طسم بن إرم عُمان والبحرين ونزل جديس بن إرم اليمامة ونزل صحار ما بين الطائف إلى جبلي طيِّ ونزل جاسم ما بين الحرم إلى سفوان ونزل وبار بن إرم ما وراء الرَّمْلَ بالبلاد التي تعرف بوبار . قالوا فهولاء العرب الأولى انقرضوا عن آخرهم

قالوا ولما خرج هؤلاء تحركت قلوب سائر ولد نوح للخروج من بابل فخرج خراسان بن عالم بن سام فاتخذ خراسان خطة وفارس بن الأسور بن سام . والروم بن اليفر بن سام وأرمين بن نورج بن سام وهو صاحب أرمينية وكرمان بن تارخ بن سام وهيطل بن عالم بن سام وولده من وراء نهر بلخ وتسمى بلاد الهياطلة ونزل كل رجل منهم مع ولده في الأرض التي سميت به ونسبت إليه فلم يبق مع الملك جم بارض بابل إلا ولد أرفخشذ بن سام .

(ملك بيوراسف)

قالوا ولما كثرت عاد باليمن تجبروا وعتوا وعليهم شديد بن عمليق ابن عاد بن إرم بن سام بن نوح فوجه إلى ولد سام ابن أخيه الضحاك بن

علوان بن عمليق بن عاد وهو الذي تسميه العجم بيوراسف فصار الى أرض
بابل وهرب منه جم الملك فطلبه الضحاك حتى ظفر به فأخذه وأشره بميثار .
فاستولى على ملكه

(الوليد بن الريان)

وكان الذي وجه الى ولد حام بن نوح ابن عمه الوليد بن الريان بن عاد
ابن ارم . وكان ملكهم يومئذ مصر بن القبط بن حام الذي تبوأ أرض مصر
فسار اليه الوليد بن الريان حتى قتله واستولى على ملكه ومن ولد الوليد بن
الريان الريان بن الوليد عزيز مصر صاحب يوسف صلى الله عليه وسلم ومن
ولدهما الوليد بن مصعب فرعون موسى صلى الله عليه وسلم وكان جالوت الجبار
الذي قتله داود النبي عليه السلام من ولد الوليد بن الريان .

(فراسياب)

وكان الذي وجه شديد بن عمليق الى ولد يافث بن نوح ابن أخيه
غانم بن علوان أخا الضحاك بن علوان . وكان ملك ولد يافث بن نوح يومئذ
فراسياب بن تودل بن الترك بن يافث بن نوح فغلب على ملكه أيضاً
واستولى على أرضه ومن ولد غانم بن علوان فيما يقال فور ملك الهند الذي
قتله الاسكندر مبارزة ويقال ان رُسِّم الشديد من ولد غانم

(الضحاك)

قالوا وان الضحاك الذي تسميه العجم بيوراسف عند ما كان من غلبته
جم الملك وقتله اياه واطمئنانه في الملك وفراغه أخذ يجمع اليه السحرة من

آفاق مملكته ويتعلم السحر حتى صار فيه اماما وبنى مدينة بابل وجعلها أربعة فراسخ في أربعة وشحنها بجنود من الجبابرة وسماها نخوب . وسام ولد أرخشند الخسف ونبتت في منكبها سلعتان كهيئة الحيتين تؤذيانه حتى يطعمهما أدمغة الناس فتسكنان قالوا فكان يوئى كل يوم بأربعة رجال جسام فيذبحون وتؤخذ أدمغتهم فيغذى بهاتين الحيتين وكان له وزير من قومه فولى وزارته رجلا من ولد أرخشند يسمى أرميايل فكان اذا أتى بالرجال ليذبحوا استجيا منهم اثنين وجعل مكانهما كبشين من الغنم وأمر الرجلين أن يذهبا حيث لا يوجد أثرهما فكانوا يسرون الى الجبال فيكونون فيها ولا يقربون القرى والامصار فيقال انهم أصل الاكراد .

(بعثة هود)

وملك بعد شديد بن عمليق أخوه شداد بن عمليق بن عاد بن ارم فعثا وتجر فبعث الله اليه هودا عليه السلام رسولا وكان من صميم قومه وأشرافهم وهو هود بن خالد بن الخلود بن العيص بن عمليق بن عاد فلم يحفل به فأهلكه ومن كفر به من عاد كما قد قصه الله تبارك وتعالى في كتابه وهو أصدق الحديث .

قال ونشأ في ذلك الدهر غابر بن شالخ بن أرخشند بن سام بن نوح فولد له فالغ بن غابر ثم ولد له بعد ذلك قحطان بن غابر . قال وانما سمي قحطان لقحطه القحوط وطرده بالسحاء والجود ثم ولد له لام بن غابر فكان أعبد أهل عصره وكانت أسفار آدم وشيث ونوح وقعت اليه فدرسها وعلمها .

ثم ان الضحاك البيوراسف طلبه ليفتنه عن دينه فهرب منه بأهله وولده من مدينة بابل حتى حل بمقبرة من أرض الروم فقبره بها ويقال ان مكان قبره معروف حتى الآن

(نمرود بن كنعان)

قالوا ولما أهلك الله عاداً مع شداد ضعف ركن الضحاك ووهى أمره واجترأ عليه ولد أرخشذ بن سام وكان الوباء وقع في جنده ومن كان معه من الجبابرة فخرج يريد أخاه غانم بن علوان الذي ملكه شديد على ولد يافت ويستعين به على أمره فاستغنم ولد أرخشذ بن سام خروجه فأرسلوا الى نمرود بن كنعان بن جم الملك وكان مستترا هو وأبوه في طول ملك الضحاك بجبل دُنباوند فأتاهم فلَّكوه عليهم فصمد صمداً من كان بأرض بابل من أهل بيت الضحاك فقتلهم أجمعين واستولى على ملك الضحاك وبلغ ذلك الضحاك فأقبل نحوه فظفر به نمرود وضر به على هامته بجُرز حديد فأثخنه ثم شده وثاقاً وأقبل به الى غار في جبل دُنباوند فأدخله فيه وسد عليه واستتب الملك لنمرود واستوسق وهو الذي يسميه العجم فريدون قالوا ولما توفي هود صلى الله عليه وسلم اجتمع ولد ارم بن سام من أقطار الارض فملكوا مرثد بن شداد وذلك في أول ملك نمرود بن كنعان فغزاهم نمرود في آخر ملكه وقد وهى أمرهم فقدر عليهم . وقالوا فالغ وقحطان اخوان وهما ابنا غابر ففالغ جد ابراهيم صلى الله عليه وسلم وأما قحطان فأبو اليمن . ويروى ان ابن المقفع كان يقول يزعم جهال العجم ومن لا علم له ان جمَّ الملك هو سليمان

ابن داود وهذا غلط فين سليمان وبين جم أكثر من ثلاثة آلاف سنة .
ويقال ان نمرود بن كنعان فرعون ابراهيم من ولد جم وكان ابن عم آزر
ابن تارخ أبي ابراهيم وهو ابراهيم بن آزر بن تارخ بن ناحور بن ارغو بن
شاخ بن ارفخشذ الذي ستمه العجم ايران ومن ولد ارفخشذ جميع العرب .
ومنهم أيضاً ملوك العجم وأشرفهم من أهل العراق وغيرهم

(ذكر قحطان)

قالوا ولما انقرضت عاد من أرض اليمن وبادوا وذلك في عصر نمرود
ابن كنعان اقطعها نمرود ابن عمه قحطان بن غابر فسار اليها في ولده حتى نزلها
وبها بقايا قليلة ممن آمن بهود عليه السلام من عاد فجاورهم قحطان بها فلم يكن
إلا قليل حتى انقرضوا وبادوا وصفت الأرض لقحطان . ويقال ان السائر
اليها يعرب بن قحطان بعد وفاة أبيه فسار اليها في اخوته وأولادهم فقطعها
فكانت أم يعرب دون اخوته امرأة من عاد فتكلم بلسان أمه . ودُكر
عن ابن الكييس النمرى أنه قال ان قحطان تزوج امرأة من العاليق فولدت
يعرب . وجرهم . والمُعتمر . والمتلمس . وعاصم . ومنيعاً . والقطامي . وعاصياً
وحمير . فتكلموا جميعاً بلسان أمهم بالعربية وكان قحطان في عصر نمرود
ودُكر عن ابن الشريعة انه قال كان الذي خرج اليها يعرب بن قحطان في
ولده وكان أكبرهم سنّاً وأعظمهم قدراً

(ذكر نمود)

قالوا وان نمود قفت ما كانت عليه عاد من الكفر بالله والعتو عليه

فأرسل الله اليهم صالحاً رسولا فكان من أشرفهم منصبا وأكرمهم حسبا
فدعاهم الى توحيد الله فلم يقبلوا منه ولم يراعوا فأهلكهم الله عز وجل كما
نصّ في كتابه وهو أصدق الحديث . ويقال انه كان بين مهلك عاد ومهلك
ثمود خمسمائة عام وكان ذلك في عصر ابراهيم عليه السلام

(نمرود و ابراهيم)

وفي آخر ملك نمرود وتسميته العجم فريدون تجرّ نمرود وعتا ولهج بعلم
النجوم واجتلب المنجمين من آفاق الأرض وحباهم بالأموال واختار سبعة
نفر من أهل بيته فسماهم الكوهنبارين فولاهم أموره ووكل كل رجل منهم
بعمل أفرده به وكان آزر أبو ابراهيم أحد السبعة الذين اختار . وقد كان
دان له الشرق والغرب فكان من أمر مولد ابراهيم ما قد جاءت به الآثار
وكان أول من آمن بابراهيم امرأته سارة وكانت من اجمل أهل عصرها .
ولوط كان ابن اخته فأقام ابراهيم مع أبيه ما شاء الله ثم خرج مهاجرا له .
وخرجت معه سارة وكان أبو لوط من اهل مدينة سدوم وكانت امه بنت
آزر وإنما كان قدم الى بابل زائرا لجدّه آزر فأمن بابراهيم فأقام معه ببابل
موازرا له على امره فلما خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا خرج معه لوط
فلحق بأبيه وأهل بيته بمدينة سدوم وهى فيما بين أرض الأردن ونخوم أرض
العرب وسار ابراهيم حتى أتى أرض مصر

(هجرة جرهم والمعتمر)

قالوا وان ولد قمحطان كثروا بأرض اليمن فوقع بينهم التباغى والتحاسد

فاجتمع ولد يعرب بن قحطان على ولد جرهم بن قحطان وولد المعتمر بن قحطان فنفوههم عن اليمن وأرضه فسارت جرهم نحو الحرم وسار بنو المعتمر نحو الحجاز ورئيس جرهم مُضاض بن عمرو بن عبد الله بن جرهم بن قحطان وأرادوا نزول الحرم فمنعهم العماليق من ذلك فاقتتلوا فغلبتهم جرهم على الحرم ونفوههم منه ونزلت جرهم الحرم فلما قطنوه بلغ ذلك بني المعتمر بن قحطان فاقبلوا من أرض الحجاز حتى أتوا الحرم وسألوا جرهم السكنى معهم فأبت عليهم جرهم ورئيس بني المعتمر السَّمِيدَع بن عمرو بن قنطور بن المعتمر بن قنطور بن المعتمر بن قحطان فتداعى الفريقان إلى الحرب فبحر بهم هذه سُمِّيت قُعَيْقِعَان والمطابخ وأجباد وقاضح لأن به فضيحت بنو المعتمر وقتل السَّمِيدَع وكان الظفر لجرهم

(تمليك نمرود أولاده)

قالوا وكان لنمرود ثلاثة بنين. ايرج. وطمس. وفقوص إلى ايرج ملكه وجعل سلماً على ولد حام. وطوسا على ولد يافث فحسد ايرج اخواه اذ خصه أبوه بالأمر دونهما وهو أصغر سنّاً منهما فاغتالاه فقتلاه فصير الملك إلى ابن ابنته منوشهر بن ايرج وصرفه عن ابنته سلم وطوس ثم مات فملك منوشهر بن ايرج وفي عصر منوشهر كثرت قحطان بأرض اليمن فملكوا عليهم سَبَأً بن يَشْجُب واسم سبأ عبد شمس

(أولاد اسماعيل)

قالوا وفي ذلك العصر توفي اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وخلف

ثلاثة بنين قيذر بن اسماعيل ونابت بن اسماعيل وهو كان القسيم بأمر مكة
والحرم بعد ابراهيم ومدين بن اسماعيل وهو الذي سار الى ارض مدين
فنزها ومن ولده شعيب النبي عليه السلام وقومه الذين ارسل اليهم

(غلبة جرهم على الحرم)

قالوا ولما توفي نابت بن اسماعيل غلبت جرهم على البيت والحرم فخرج
قيذر بن اسماعيل بأهله وماله يتبع مواقع القطر فيما بين كاظمة وغمر ذي كندة
والشعبيين وما الى تلك الارضين حتى كثر ولده وانتشروا في جميع ارض
تهمامة والحجاز ونجد

(بنو قحطان)

فملك سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ارض اليمن طول ملك
منوشهر مائة وعشرين سنة ثم مات وملك بعده ابنه خمير بن سبأ وجعل
ابنه كملان وزير خمير

(انقضاء ملك منوشهر وابتداء ملك فراسياب)

قالوا ولما أتى لملك منوشهر مائة سنة وعشرون سنة سار اليه فراسياب بن
فايش بن نودسف بن الترك بن يافث بن نوح وذلك حين ملك حمير ارض
اليمن وكان مسيره من ناحية المشرق في جموع من ولد يافث بن نوح حتى
اتتهى الى ارض بابل وخرج اليه منوشهر الملك في جنوده ففضت جموع
منوشهر وقفا فراسياب أثر منوشهر حتى لحقه فقتله واستولى على ملكه وجلس
على سريرته . وسام ولد ارفخشذ الخسف وهدم ما كان بأرض بابل من الحصون

وعور ما كان فيها من العيون وطم ما كان فيها من الأنهار وقحط الناس في ملكه قحطا شديدا وكان أهل إيران شهر في ملكه في أعظم بلاء

(ملك زاب بن بودكان)

فلما تمّ الملك فراسياب تسع سنين ظهر زاب بن بودكان بن منوشهر بن ايرج بن نمرود بارض فارس فخلع فراسياب ودعا لنفسه فقال اليه جميع ولد سام بن نوح للجهد الذي نالهم في ملك فراسياب فسار الى فراسياب حتى نفاه عن مملكته وعمد الى المدن والحصون التي هدمها فراسياب فاعاد بناءها وحفر الأنهار والقنى التي كان طمها وأصلح كل ما كان فراسياب أفسده . وكري بالعراق أنهاراً عظماً سماها الزابى اشتق اسمها من اسمه وهى الزابى الأعلى والزابى الأوسط والزابى الأسفل وابتنى المدينة العتيقة وسماها طيسفون ثم سار فى أثر فراسياب وقد أقام بخراسان فى جموعه وعساكره فزحف اليه فراسياب فالتقوا وأقبل ارسناس الذى كان منوشهر أمره بتعليم الناس الرمي بالشاب وقد وتر قوسه وفوق فيها نشابة فاقبل حتى دنا من فراسياب فلما تمكن رماه رمية خالطت فؤاده وخر ميتاً وانصرف ولد يافث حين قُتل ملكهم حتى لحقوا بارضهم وكان زاب قد أصابه جراحة كثيرة فمات منها بعد مهلك فراسياب بشهر . وفى ذلك العام أيضاً مات حمير بن سبأ . وقالوا كان ملك الوليد بن مصعب فرعون موسى عليه السلام على جميع أرض ولد حام وهى المملكة التى تعرف بملك مصر بن حام . قالوا ولما توفى يوسف بن يعقوب واخوته بأرض مصر بقى أعقابهم بها وكثروا فيها وكانوا فى زمان موسى عليه

السلام ستمائة ألف رجل وكان مَلِكُ اليمَن في زمن موسى المِطاط بن عمرو
ابن حمير بن سبأ .

(كيقباز بن زاب)

وكان ملك أرض بابل كيقباز بن زاب وكان المِطاط يلقَّب بالرائش لانه
راش قومه وأغناهم وكانت ملوك الارض كلها قد دانوا لكيقباز واتقوه بالأتاوة
وكان له ثلاثة بنين . قابوس وهو الذي ملك من بعده . وكيا بنه وهو جد لهراسيف
الذي ملك بعد سليمان بن داود عليه السلام . وقبوس وهو جد الاشغانيين الذين
كانوا ملوك الجبل في زمان الطوائف وفي عصره خرج موسى بن عمران
من مصر هاربا من فرعون حتى أتى أرض مدين ونزل على شعيب فأجره
نفسه ثمانى حجج كما ذكر الله جل ثناؤه في الكتاب الناطق . ثم خرج من
عند شعيب لما قضى الأجل وسار بأهله فكان من أمره وأكرام الله إياه بتكليمه
ورسالته ما قد قصَّه علينا في كتابه . وانصرف الى شعيب وردَّ أهله اليه
ومضى حتى بلغ رسالة ربه وفي ذلك العصر بُعث شعيب الى قومه فكان
منهم ما حكاه الله في كتابه .

(ملك أبرهة باليمن)

قالوا ثم ملك أرض اليمن أبرهة بن المِطاط وهو أبرهة ذو المنار سمي
بذلك لانه أمر بعمل المنار والايقاد عليها بالليل ليبتدى بها جنوده وتوفى
موسى بن عمران عليه السلام وتولى أمر بني اسرائيل من بعده يوشع بن نون فخرج
بيني اسرائيل من أرض مصر الى أرض الشام فأسكنهم بفلسطين . قالوا وان

أبرهة تجهّز وسار في بشر كثير يومّ أرض المغرب واستخافت على ملكه ابنة
أفرقيس فأوغل في أرض السودان فأعطوه الطاعة فجاز أرضهم وسار حتى
انتهى إلى أمة من الناس أعينهم وأفواههم في صدورهم ويقال أنهم أمة من
ولد نوح عليه السلام غضب الله عليهم فبدّل خلقهم فأعطوه الطاعة وانصرف
راجعا فمرّ بأمة من الناس يقال لهم النسناس للرجل والمرأة منهم نصف رأس
ونصف وجه وعين واحدة ونصف بدن ويد واحدة ورجل واحدة ينقرون
نقرا في أسرع من حُضر الفرس الجواد وهم يهيمون في الغياض التي على شاطئ
البحر خلف رمل عاجل يعني رمل بلاد اليمن فسأل عنهم فأخبر أنهم أمة من
ولد وبار بن إرم بن سام بن نوح .

(ملك كيكوس بن كيقباز)

قالوا وكان ملك العجم في عصر أبرهة بن الملقاط كيكوس بن كيقباز
وكان متشددا على الاقوياء رحما بالضعفاء وكان منصورا محمّدا إلى ان
خطرت منه خطرة ضلال فيما كان همّ به من الصعود إلى السماء فهو صاحب
التابوت والنسور . وكان قد وجد على ابنه سياوش ولم يكن له ولد غيره فأراد
قتله فهرب منه فالحق بملك الترك فحلّ منه محلا لطيفا لما بلّاه واختبره ورأى
عقله وآدابه وبأسه ونجده ففوّض إليه أمره فلما رأى ذلك أهل بيت الملك
حسدوه وخافوا أن يبرزهم الأمر فسدّوا إليه الغوائل عند الملك حتى أقدم
عليه فقتله وقد كان زوجه ابنته وحملت منه فأراد أن يقر بطنها عن جنينها
فناشده أبريان الوزير فيها وفي ولدها ان يقتلها من غير جرم فقال له دونك

فخذها اليك فاذا ولدت فاقتل ولدها فكانت عنده حتى ولدت غلاما وهو
كيخسرو الذي ملك بعده فأخرجه عن المصر واسترضع له في سكان
الجبال من الاكراد فنشأ عندهم وقال للملك انها ولدت جارية وقد قتلتها
فصدقه .

(ملك كيخسرو)

وان اهل فارس شنئوا كيكائوس لما أظهر من الجبروت والفتور والجرأة
على الله وتآمروا في خلعه وفشا ذلك حتى بلغ أم الغلام وقد آتى له سبع
عشرة سنة فدست رسولا الى اهل فارس تعلمهم مقتل سياوش وأمر الغلام
فاختاروا رجلا من افاضلهم يسمى زو فوجهوه الى ابريان الوزير في الاقبال
بالغلام فقدم عليه وأفرشه ما أجمعت عليه فارس فسلم اليه الغلام وحمله على فرس
ايه سياوش الذي قدم عليه من العراق فسار به زو يكن النهار ويسير الليل
حتى ورد يمم جيحون وهو نهر بلخ مما يلي خوارزم فعبره سباحة على فرسه
وأقبل به حتى أورده دار الملك فخلعوا كيكائوس وملكوا الغلام وسموه
كيخسرو ومنحوه الطاعة فأمر بجده فحبس فلم يزل محبوسا حتى هلك

(ملك افريقيس على اليمن)

قالوا وكان ملك كيخسرو وملك افريقيس بن ابرهة في عصر واحد
وان افريقيس تجهز يريد المغرب حتى أوغل في أرض طنجة والاندلس
فرأى بلادا واسعة فابتنى هناك مدينة وسمّاها افريقية اشتق اسمها من اسمه
ونقل اليها سكانا وهي المدينة التي ينزلها اليوم سلطان ذلك البلد وعظماؤها ثم

انصرف الى وطنه وفي ذلك العصر نشأ معد بن عدنان وفيه انقرض ولد لآرم
من جميع أرض العرب الا بقايا من طسم وجديس غبروا بعمان والبحرين واليمامة

(ملك ذى جيشان بن افريقيس وهلاك طسم وجديس)

ولما مات افريقيس بن ابرهة ملك ابنه ذو جيشان بن افريقيس فتجهز
لغزو كينسر وملك فارس وجمع جنوده وسار حتى نزل بنجران وكان بعمان
والبحرين واليمامة بشر كثير من ولد طسم وجديس ابني لآرم بن سام وكانوا
من العرب العاربة وكان ملكهم رجلا من طسم يسمى عمليقا وكان جائرا
ظلوما وبلغ من عتوه ان امر ان لا تزف امرأة من جديس الى زوجها الا
بدوؤه بها ففكثوا بذلك دهرا طويلا وان رجلا من جديس تزوج عفيرة
بنت غفار أخت الاسود بن غفار عظيم جديس وسيدها فلما أرادوا اهداءها
أدخلت على الملك فافترعها ثم خلى سبيلها فخرجت الى قومها في دماها رافعة
نوبها عن عورتها وهي تقول

أُصْلِحْ مَا يُؤْتَى إِلَى قِيَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ تُورَةُ عِدَدِ النَّمْلِ
فَلَوْ أَنَّ كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ نِسَاءً لَكُنَّا لَا تُقَرُّ عَلَى الذُّلِّ
فَبَعْدًا لِبَعْلٍ لَيْسَ فِيهِ حِمِيَّةٌ وَيَخْتَالُ يَمْشِي مِشْيَةَ الرَّجُلِ الْفَحْلِ

فحيت من ذلك جديس فاغتالوا عمليقا فقتلوه بغرة وامامهم الاسود بن غفار
يرتجز ويقول

يَا لَيْلَةً مَا لَيْلَةُ الْعُرُوسِ جَاءَتْ تَمْشِي بِدَمٍ جَعِيسِ
يَا طَسْمُ مَا لَاقَيْتَ مِنْ جَدِيسِ أَحَدِي لِيَالِيكَ فَهَيْبِي هَيْسِ

فأبادوا طسما فلم يفلت منهم إلا رجل يقال له رياح بن مروة فانه مضى على وجهه حتى أتى ذا جيشان وهو معسكر في جنوده بنجران فمثل بين يديه ثم قال

انك لم تسمع بيوم ولا ترى كيوم اباد الحى طسما به المكر

أتيناهم في أزرنا ونعالنا علينا الملاء الحمز والحلل الخضر

فصرنا لحوما بالعراء وطعمة تنازعها ذيب الوثيمة والنمر

فدونك قوما ليس لله فيهم ولا لهم منه حجاب ولاستر

فقال الملك كم بيننا وبينهم قال ثلاث فقال من حضر كذب أيها الملك بينك وبين القوم عشرون ليلة فأمر جنوده بالمسير نحو اليمامة ففى مسيرهم وقصة

الزرقاء يقول الاعشى بعد ذلك بدهر طويل

قالت أرى رجلا فى كفّه كتف أو يخصف النعل لهفى آية صنعا

فكذبوها بما قالت فصبتهم ذوال جيشان يزجى الموت والشرعا

فاستنزلوا أهل جوف من مساكنهم وهدموا مشرف البنيان فأنضعا

فأمّ جديسا واستأصلهم ثم ارتحل نحو العراق يريد كيخسرو وزحف اليه

كيخسرو فالتقوا فقتل ذو جيشان وانفضت جموعه

(ملك الفند ذى الازعار)

فلكت اليمن ابنة الفند ذا الازعار وانما لقب ذا الازعار لرعب الناس

منه فلم تكن له همة الا الطلب بثأر أبيه

(هجرة ربيعة الى اليمامة والبحرين)

قال وبقيت اليمامة والبحرين بعد قتل جديس ليس بها أحد الى أن

(٢ - الاخبار)

كثرت ربيعة وانتشرت وتفرقت في البلاد فسارت عذرة بن أسد بن ربيعة تتبّع مواقع الغيث وتقدّمها عبد العزى بن عمرو والعزى حتى هجم على اليمامة فرأى بلادا واسعة ونحلا وقصورا وإذا هو بشيخ قاعد تحت نخلة سحوق يرتجز ويقول

تَقَاصِرِي أَجْنِ جِنَاكِ قَاعِدَا إِنِّي أَرَى سَحْلَكَ يَنْبِي صَاعِدَا
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْعُزَّى مِنْ أَنْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ قَالَ أَنَا مِنْ هِزَّانِ الضَّرَاغِمَةِ الْإِقْرَانِ
غَرَانَا ذُو جِيشَانِ . الْمَلِكُ الْقَرْمُ الْيَمَانِ . فَأَعْمَلُ فِينَا الْمُرَّانِ . فَلَمْ يَبْقَ بِهَذَا
الْمَكَانِ . غَيْرِي وَانِي لَمَّانِ . فَقَالَ عَبْدُ الْعُزَّى وَمِنْ هِزَّانِ قَالَ هِزَّانُ بْنُ طَسْمِ .
أَخُو النَّهْيِ وَالْحَزْمِ . وَابْنُ الشَّجَاعِ الْقَرْمِ . فَأَقَامَ عَبْدُ الْعُزَّى أَيَّامًا ثُمَّ تَبَرَّمَ
بِمَكَانِهِ فَخَضِيَ سَائِرًا حَتَّى سَقَطَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ فَرَأَى بِلَادًا أَوْسَعَ مِنَ الْيَمَامَةِ وَبِهَا
مَنْ وَقَعَ إِلَيْهَا مِنْ وَلَدِ كَلَّانَ حِينَ هَرَبُوا مِنْ سَيْلِ الْعَرَمِ فَأَقَامَ مَعَهُمْ . وَسَارَتْ
بَنُو حَنِيفَةَ عَلَى ذَلِكَ السَّمْتِ يَتَّبِعُونَ مَوَاقِعَ الْغَيْثِ وَتَقَدَّمَهُمْ عُبَيْدُ بْنُ يَرْبُوعَ
وَكَانَ سَيِّدُهُمْ قَتْلَ قَرِيْبًا مِنْهَا فَخَضِيَ غَلَامٌ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ حَتَّى هَجَمَ عَلَى الْيَمَامَةِ
فَرَأَى نَخْلًا وَرَيْفًا وَإِذَا هُوَ بِشَيْءٍ مِنْ تَمَرٍ قَدْ تَنَاثَرَ تَحْتَ النَّخْلِ فَأَخَذَهُ وَأَتَى بِهِ
عُبَيْدًا فَأَكَلَ مِنْهُ فَقَالَ وَأَيُّكَ أَنْ هَذَا الطَّعَامُ طَيِّبٌ فَارْتَفَعَ حَتَّى أَتَى الْيَمَامَةَ
فَدَفَعَ فَرَسَهُ فَخَطَ عَلَى ثَلَاثِينَ دَارًا وَثَلَاثِينَ حَدِيقَةً فَسَمَّى ذَلِكَ الْمَكَانَ حَجْرًا
فَبُهِرَ الْيَوْمَ قَصْبَةُ الْيَمَامَةِ وَمَوْضِعُ وَلَاتِهَا وَسَوْقُهَا وَتَسَامَعَتْ بَنُو حَنِيفَةَ بِمَا أَضَابَ
عُبَيْدُ بْنُ يَرْبُوعَ فَأَقْبَلُوا حَتَّى أَتَوْا الْيَمَامَةَ فَقَطَّنُوهَا فَعَقِبَهُمْ بِهَا إِلَى الْيَوْمِ . قَالَ
وَكَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَصْرِ الْفَنَدِ ذِي الْأَذْطَارِ وَكَانَ مَلِكُ الْعَجَمِ

(ملك داود)

وكان سلطان بني اسرائيل قد وهى فكان من حولهم من الامم يغزونهم فيقتلون ويأسرون. فأتوا بنيتهم شعيبا فقالوا ابث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله فملك عليهم طالوت صمويل وكان من سبط يوسف صلى الله عليه وسلم وكان الملك في ولد يهوذا وقد كان بقي في ذلك العصر من ولد عاد جالوت الجبار فسار غازيا لبني اسرائيل في جنوده فجمع طالوت بني اسرائيل وخرج لمحاربة فمرّوا بالنهر الذي نهاهم طالوت عن شربه وشربوا منه الا ثلثمائة رجل وسبعة عشر رجلا عدد أهل بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان داود النبي حينئذ حدث السن فلما تواقف الفريقان وضع داود عليه السلام حجرا في قدّافة ثم قتلها ورماه فصكّ بين عيني جالوت فكانت نفسه فيه وانهمزم جنوده وغنم بنو اسرائيل أموالهم فاجتمع بنو اسرائيل عند ذلك على تملك داود صلى الله عليه وسلم وخلع طالوت برضا منه وداود من سبط يهوذا بن يعقوب قالوا وكان ملك الروم في ذلك العصر دقيانوس صاحب الفتية أصحاب الكهف وذكر عن عبد الله بن الصامت قال وجهني أبو بكر الصديق رضي الله عنه سنة استخلف الى ملك الروم لادعوه الى الاسلام أو آذنه بحرب قال فسرت حتى أتيت القسطنطينية فأذن لنا عظيم الروم فدخلنا عليه فجلسنا ولم نسلم ثم سألنا عن أشياء من أمر الاسلام ثم صرفنا يومنا ذلك ثم دعا بنا يوما آخر ودعا خادما له فكلمه بشيء فانطلق فأناه بعتيمة فيها بيوت كثيرة وعلى كل بيت باب

صغير ففتح بابا منها فاستخرج خرقة سوداء فيها صورة بيضاء كهيئة رجل
أجل ما يكون من الناس وجهاً مثل دائرة القمر ليلة البدر فقال أتعرفون هذا
قلنا لا قال هذا أبونا آدم عليه السلام ثم رده مكانه . وفتح بابا آخر فاستخرج
خرقة سوداء فيها صورة بيضاء كهيئة شيخ جميل الوجه في وجهه تقطيب
كهيئة المحزون المهموم فقال أتدرون من هذا قلنا لا قال هذا نوح . ثم فتح
بابا آخر فاستخرج خرقة سوداء فيها صورة بيضاء على صورة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء فلما نظرنا اليه بكينا فقال مالكم فقلنا هذه
صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال أبا دينسكم أنها صورة نبيكم قلنا نعم
هي صورة نبينا كانا نراه حيا فطواها وردّها وقال أما انها آخر البيوت الا اني
أحببت أن أعلم ما عندهم . ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه خرقة سوداء فيها
صورة بيضاء أجمل ما يكون من الرجال وأشبههم بنبينا محمد صلى الله عليه
وسلم ثم قال وهذا ابراهيم . ثم فتح بيتا آخر فاستخرج صورة رجل آدم
كهيئة المحزون المفكر ثم قال هذا موسى بن عمران . ثم فتح بيتا آخر
فاستخرج صورة رجل له ضفيران كان وجهه دائرة القمر ثم قال وهذا داود .
ثم فتح بيتا آخر فاستخرج صورة رجل جميل على فرس له جناحان ثم قال
وهذا سليمان وهذه الريح تحمله . ثم فتح بيتا آخر فاستخرج صورة شاب
جميل الوجه في يده عكازة وعليه مِدرعة صوف ثم قال وهذا عيسى روح
الله وكلمته . ثم قال ان هذه الصورة وقعت الى الاسكندر فتوارثها الملوك
من بعده حتى أفضت الى . قالوا وان ذا الازعار خرج في جنوده يطلب

بثار أبيه ذي جيشان الذي صار الى أرض فارس فخارب كيخسرو وقتل في المعركة فمات ذو الاذعار في طريقه قبل أن يدرك ما أراد .

(ملك الهدهاد وبنته بلقيس)

فلما كنت اليمن عليهم الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن مالك بن الرأش وكان الهدهاد يُلقَّب بذي شَرخ فأمر بجسم ذي الاذعار فحمل ورجع بقومه الى أرض اليمن فأمر به فدُفن بصنعاء في مقبرة الملوك . قالوا وان الهدهاد تزوج ابنة ملك الجن بأرض اليمن فولدت له بلقيس وهذا حديث منتشر قد حملته الرواة . قالوا فلما أتى لها ثلاثون سنة حضر الهدهاد الموت فجمع وجوه حمير فقال يا قوم اني قد عجمتُ الناس واختبرت أهل الرأي والعقل فلم أر مثل بلقيس واني قد وليتها أمركم لتقيم لكم الملك الى أن يبلغ ابن أخي ياسر ينعم بن عمرو وفرضوا بذلك فلما كنت بلقيس

(أسفار سليمان وملكه)

وفي أول ملكها توفي داود عليه السلام وورث سليمان ملكه وذلك كله في عصر كيخسرو بن سياوش فلما ملك سليمان سار من أرض الشام الى أرض العراق بأهله وخزائنه فلحق بخراسان فقتل مدينة بلخ وكان هو الذي بناها قبل ذلك وأقبل سليمان حتى نزل العراق فبلغ كيخسرو نزول سليمان بأرض العراق وما أعطي من عظيم السلطان فدخله فزع وأسف خامره فتهكه فلم يلبث الا قليلا حتى مات وان سليمان سار من العراق الى مرو ثم سار منها الى بلخ ثم سار من بلخ الى بلاد الترك فوغل فيها وجاوزها الى بلاد

الصين ثم عطف متيامناً عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى
القنْدَهَار وسار منها الى مُكْران وكرمان ثم جازها حتى أتى أرض فارس فنزلها
أياماً ثم سار منها الى كِسْكَر ثم عاد الى الشام فوافى تَدْمُر وكانت موطنه. قالوا
ووجد في صخر بكسك

غَدَوْنَا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ أَرْضِ فَارِسٍ فَمَا نَحْنُ قَدْ قَلْنَا بِلَدَةِ كِسْكَرٍ
وَنَحْنُ وَلَا حَوْلٌ سِوَى حَوْلِ رَبَّنَا نَرْوُحُ إِلَى الْإِطْوَاطِ مِنْ أَرْضِ تَدْمُرٍ
وكان داود عليه السلام ابتداءً ببناء مسجد بيت المقدس فتوفي قبل
استتمامه فاستتمه سليمان واستتمَّ بناء مدينة ايليا وقد كان أبوه ابتدأها قبله فبنى
مسجداً ببناءً لم ير الناس مثله وكان يُضَيُّ في ظلمة الليل الخندس اضاءة
السراج الزاهر من كثرة ما كان جعل فيه من الجواهر والذهب وجعل اليوم
الذي فرغ فيه منه عيداً في كلِّ سنة فلم يكن في الارض عيدٌ أبهى ولا أعظم
خطراً منه ولا أحسن منظراً فلم يزل المسجد على ما بناه سليمان حتى غزا بنحت نصر
بيت المقدس فأخربها وتقص المسجد وأخذ ما كان فيه من الذهب
والفضة والجواهر فنقله الى العراق قالوا وكان سليمان مطعماً للطعام فكان
يُذْبَحُ في مطابخه كلَّ غداة ستة آلاف ثور وعشرون ألف شاة قالوا ولما فرغ
سليمان من بناء مسجد ايليا تجهَّز سائراً الى تهامة يريد بيت الله الحرام فطاف
به وكساه وذبح عنده وأقام سبعة أشهر الى صنعاء وتفقد الطير فلم ير الهدد
فكان من حديثه وحديث صاحبة سبأ وهي بلقيس ما قد قصه الله تبارك وتعالى
في كتابه الى ان تزوجها. وبنى بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها وهي

سَلَحِينَ وَيَبْنُونَ وَنَحْمَدُكَ وَأَنْصَرِفُ سَلِيمَانُ إِلَى الشَّامِ فَكَانَ يَزُورُهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ
فَيَقِيمُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا. وَانْهَ غَزَا بِلَادَ الْمَغْرِبِ الْأَنْدَلُسَ وَطَنْجَةَ وَفِرَنْجِيَّةَ وَإِفْرِيقِيَّةَ
وَنَوَاحِيهَا مِنْ أَرْضِ بَنِي كَنْعَانَ بْنِ حَامَ بْنِ نُوحٍ وَعَلَيْهِمْ مَلِكٌ جَبَّارَاتٌ عَظِيمٌ
الْمَلِكُ فَدَعَاهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَخَلَعَ الْأُنْدَادَ فَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَأَصَابَ ابْنَتَهُ لَهُ
مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ فَتَسَرَّاهَا وَوَقَعَتْ مِنْهُ مَوْقِعًا لَطِيفًا وَقَفَلَ إِلَى الشَّامِ فَأَمَرَ بِمَقْصُورَةٍ
فَبُنِيَتْ لَهَا وَأَفْرَدَهَا فِيهَا مَعَ ظَوَّورَتِهَا وَخَدَمِهَا وَكَانَ سَلِيمَانُ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا إِلَّا
وَجَدَهَا بِأَكْيَافٍ حَزِينَةٍ فَكَدَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حُبَّهُ لَهَا وَعَجِبَهُ بِهَا وَهِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي نَالَ
سَلِيمَانُ فِي أَمْرِهَا مَا نَالَ مِنْ سَلْبِ مَلِكِهِ وَزَوَالِ سُلْطَانِهِ وَبِهَائِهِ حِينَ اتَّخَذَتْ
تِلْكَ الْمَرْأَةُ تَمَثَالًا أَيْبَاهَا فِي دَارِهِ وَعَبَدَتْهُ سِرًّا مِنْ سَلِيمَانَ إِلَّا أَنْ اتَّخَذَهَا التَّمَثَالَ
كَانَ عَنْ عِلْمٍ مِنْ سَلِيمَانَ وَاذْنًا لَهَا أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ تَسْكُنَ إِذَا نَظَرَتْ إِلَيْهِ
فَتَتَسَلَّى. وَيُقَالُ إِنَّ سَلِيمَانَ بْنَ فِي أَقْصَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ مَدِينَةً مِنْ نَحَاسٍ فِي
مَفَاوِزِ الْأَنْدَلُسِ وَأَوْدَعَهَا خَزَائِنَ مِنْ خَزَائِنِهِ وَإِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَتَبَ
إِلَى عَامِلِهِ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ مُوسَى بْنَ نَصِيرٍ وَكَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَجَمِ غَيْرَ أَنْ
وَلَاءَهُ كَانَ لَقَيْسٌ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ لِيَعْلَمَ لَهُ عِلْمَ خَبَرِهَا وَيَكْتُبَ إِلَيْهِ
وَإِنَّ مُوسَى بْنَ نَصِيرٍ سَارَ إِلَيْهَا وَأَنْصَرَفَ رَاجِعًا حَتَّى سَارَ إِلَى الْقَيْزَرِيَّةِ وَكَتَبَ
بِالْخَبَرِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَيَصِفُ لَهُ الْمَدِينَةَ وَمَا لَقِيَ فِي سَفَرِهِ إِلَيْهَا وَمَا رَأَاهُ عِنْدَ
مَصِيرِهِ نَحْوَهَا

(مَلِكُ أَرْخَبِيمَ بْنِ سَلِيمَانَ)

قَالُوا وَلَمَّا تَوَفَّى سَلِيمَانُ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ أَرْخَبِيمَ بْنَ سَلِيمَانَ فَتَفَرَّقَتْ بَنُو

اسرائيل ووهي امره فكث بذلك الى أن سار بخت نصر وهو يبوخت نرسي
عند العجم الى بيت المقدس فهدمه

(ملك ياسر ينعم)

قالوا وقام بالملك باليمن بعد بلقيس ياسر ينعم بن عمرو بن شرحبيل بن
عمرو وكان ابن أخي الهذهاد وانما سمي ياسر ينعم لانعامه على قومه . قالوا
وان ياسر ينعم تجهز غازيا لارض المغرب حتى بلغ وادي الرمل ولم يبلغه ملك
قبله فأراد أن يعبره فلم يجد مجازا لأنه رمل فيما زعموا يجرى كما يجرى الماء
فسكر على حافته ونصب عليه صنما وكتب على جبهته ليس ورأى مذهب
فأنصرف وأنصرف الى بلاده

(ملك هراسف واغارة بخت نصر)

قالوا وان فارس لما مات سليمان بن داود اجتمع عظماءها وأشرفها
ليختاروا رجلا من ولد كيقباز الملك فيملكوه عليهم فوقع خيرةُهم على
لهراسف بن كيميس بن كيانه بن كيقباز الملك فملكوه عليهم وان لهراسف
عقد لابن عمه بخت نصر بن كانبجار بن كيانه بن كيقباز في اثني عشر ألف
رجل من خيله وأمره أن يأتي الشام فيحارب أرخبعم بن سليمان فان كان الظفر
له قتل من قدر عليه من عظماء بني اسرائيل وهدم مدينة إيليا فسار بخت نصر
حتى أتى الشام فشن فيها الغارات وعاش فانهزم ملوك الشام منه وهرب أرخبعم
من بيت المقدس فنزل فلسطين فتوفي بها وأقبل بختنصر حتى ورد مدينة
بيت المقدس فدخلها لا يتمتع منه أحد فوضع في بني اسرائيل السيف وسبي

أبناء الملوك والعظماء وهدم مدينة ايليا فلم يدع فيها بيتاً قائماً ونقض المسجد وحمل ما كان فيه من الذهب والفضة والجوهر وحمل كرسي سليمان وقفل راجعاً الى العراق وكان في السبي دانيال النبي عليه السلام فسار حتى قدم على لهراسف الملك وهو نازل بالسوس فمات دانيال عنده بالسوس

(ملك بشتاسف على العجم وشمر على اليمن)

قالوا ولما حضر لهراسف الموت أسند الملك الى ابنه بشتاسف وفي ذلك العصر مات ياسر بن نعم صاحب اليمن وقام بالأمر بعده شمر بن افرقيس بن أبرهة بن الرائش وهو الذي يزعمون أنه أتى الصين وهدم مدينة سمرقند فيزعمون أن وزير صاحب الصين مكر به وذلك انه أمر الملك أن يجده ويخلى سبيله فسار الأجدع الى شمر فأخبره انه نصح لصاحبه يعني ملك الصين وأمره بالخوع لشمر واعطائه الطاعة والالتواة فغضب عليه وجدعه وانه سار الى شمر ليدهه على عورة صاحب الصين جزاء بما فعل به فاغتر شمر بذلك وسأله عن الرأي فقال ان بينك وبينه مفازة تُقَطَّع في ثلاثة أيام ومأتاه منها قريب فاحمل الماء لثلاثة أيام وسر حتى أفاجئه بك من كَشَب قستبيح بلده وتأخذه سلماً وأهله وماله ففعل فسلك به مفازة لا ترام فلما ساروا ثلاثاً ونفذ الماء ولم يروا علماً ولا انتهوا الى ماء قالوا له أين ما زعمت فأعلمه انه مكر به ووقى أهل بيته بنفسه لأنه قد علم أن سيقتله وقال قد أهلكتك فاصنع ما أنت صانع فما لك ولمن تبعك في الحياة مهطع فوضع شمر درعه تحت رأسه وترس حديد كان معه فوق رأسه يستكن به من الشمس قالوا وقد كان

المنجّمون قالوا له انك تموت بين جبليّ حديد فمات بين درعه وترسه عطشا فلم يبق من جنوده أحد الا هالك وقد سمعنا نحن بهذا الحديث في غير قصة شمر

(دعوة زراذشت)

قالوا وكان زراذشت صاحب المجوس أتى بشتاسف الملك فقال اني رسول الله اليك وأتاه بالكتاب الذي في أيدي المجوس فأمن له بشتاسف ودان بدين المجوسية وحمل عليه أهل مملكته فأجابوه طوعا وكرها . وكان رُستم الشديد عامله على سجستان وخراسان وكان جبارا مديد القامة شديد القوة عظيم الجسم وكان ينتمى الى كيقباز الملك لما بلغه دخول بشتاسف في المجوسية وتركه دين آباءه غضب من ذلك غضبا شديدا وقال ترك دين آباءنا الذين توارثوه آخرا عن أوّل وصبا الى دين محدث ثم جمع أهل سجستان فزَيّن لهم خلع بشتاسف وأظهروا عصيانهم فدعا بشتاسف ابنه أسفندياز وكان أشدّ أهل عصره فقال له يا بُنىّ ان الملك مُفضّ اليك وشيكا ولا تصلح أمورك كلّها الا بقتل رستم وقد عرفت شدته وقوته وأنت نظيره في الشدة والقوة فاتّخب من الجنود ما أحببت ثم سرّ اليه فاتّخب أسفندياز من جنود أبيه اثني عشر ألف رجل من أبطال العجم وسار نحو رستم وزحف اليه رستم فالتقيا ما بين بلاد سجستان وخراسان فدعاه أسفندياز الى إعفاء الجيشين من القتال وأن يبرز كلّ واحد منهما لصاحبه فأيهما قتل صاحبه استولى على أصحابه فرضي رستم بذلك وعاهده عليه وحالفه فوقف العسكران ناحية

وخرج كل واحد منهما الى صاحبه فاقتتلا بين الصفيين فيقول العجم في ذلك
 قولاً كثيراً الا ان رستم هو الذي قتل أسفندياذ وانصرف جنوده الى أبيه
 بشتاسف فأخبروه بمصاب ابنه أسفندياذ فخامره حزن أنهكه فمضى من ذلك
 فمات وأسند الملك الى ابن ابنه بهمن بن أسفندياذ . قالوا ولما رجع رستم
 الى مستقره من أرض سجستان لم يلبث ان هلك .

(ملك أبي مالك بن شمر على اليمن)

قالوا وان أهل اليمن لما بلغهم مهلك شمر وجنوده بارض الصين اجتمعوا
 فمكوا عليهم أبا مالك بن شمر وهو الذي ذكره الأعرشي في قوله
 وخان النعيم أبا مالك وأى امرئ صالح لم يُخَنِّ
 وهو الذي يزعمون انه هلك في طرف الظلمة التي في ناحية الشمال فدُفن
 على طرفها قالوا وذلك أنه بلغه مسير ذى القرنين اليها وانه أخرج منها جوهراً
 كثيراً فتجهّز يريد الدخول فيها فقطع اليها أرض الروم وجاوزها حتى انتهى
 الى طرف الظلمة وتها لا قمتحاما فمات قبل أن يدخلها فدُفن في طرفها فانصرف
 من كان معه الى أرض اليمن .

(ملك بهمن بن أسفندياذ على العجم وخلاص بني اسرائيل)

قالوا وملك بهمن بن أسفندياذ فأمر ببقايا ذلك السبي الذي سباهم بخت نصر
 من بني اسرائيل ان يُردّوا الى أوطانهم من أرض الشام . وقد كان تزوج
 قبل أن يُفَضِّي الملك اليه إيراخت بنت سامال بن أرخبعم بن سليمان
 ابن داود وملك رُوَيْيل أخا امرأته أرض الشام وأمره أن يُخرج معه من بقي

من ذلك السبي وان يعيد بناء ايليا ويسكنهم فيه كما لم يزالوا ويرد كرسى سليمان
فينصبه مكانه فخرج روييل بذلك السبي حتى ورد بهم ايليا وأعاد بناءها
وبنى المسجد وسار بهم من الى سجستان وقتل من قدر عليه من ولد رستم
وأهل بيته وأخرب قريته . قالوا وقد كان بهم من دخل في دين بنى اسرائيل
فرفضه أخيرا ورجع الى المجوسية وتزوج ابنته 'خاني' وكانت أجمل أهل
عصرها فأدركه الموت وهي حامل منه فأمر بالتاج فوضع على بطنها وأوعز الى
عظماء أهل المملكة أن ينقادوا لأمرها حتى تضع ما في بطنها فان كان غلاما
أقروا الملك في يدها الى أن يشب ويدرك ويبلغ ثلاثين سنة فيسلم له الملك .
قالوا وكان ساسان بن بهمن يومئذ رجلا ذا رواء وعقل وأدب وفضل وهو
أبوملوك فارس من الأكاسرة ولذلك يقال لهم الساسانية فلم يشك الناس ان
الملك يفضي اليه بعد أيه فلما جعل أبوه الملك لابنته خاني أنف من ذلك أنفا
شديدا فانطلق فاقتنى غنما وصار مع الكراد في الجبل يقوم عليها بنفسه وفارق
الحاضرة غيظاً من تقصير أبيه . قالوا فمن ثم يُعبر ولد ساسان الى اليوم برعى
الغنم فيقال ساسان الكردي وساسان الراعي .

(ملك خاني زوج بهمن)

فلما تم حملها وضعت غلاما وهو دارا بن بهمن . ثم انها
تمجرت غازية لارض الروم فسارت حتى أوغلت في بلاد الروم وخرج اليها
ملك الروم في جنوده فالتقوا واقتتلوا فكان الظفر لخاني فقتلت وأسرت
وغنمت فقتلت وقد حملت معها بنائين من بنائى الروم فبنوا لها بأرض فارس

ثلاثة ايوانات أحدها وسط مدينة اصطخر والثاني على المَدْرَجَة التي يسلك فيها من اصطخر الى خراسان والثالث على طريق دارا بجِرد على فرسخين من اصطخر

(ملك دارا بن بهمن)

فلما أتى لابنها دارا ثلاثون سنة جمعت عظماء المملكة ودعت بابنها دارا فاقعدته على سرير الملك وتوجته بالتاج وولته الامر

(ملك تبع بن أبي مالك)

قالوا ولما هلك أبو مالك بطرف الظلمة اجتمع أشراف أهل اليمن فملكوا أمرهم ابنه تبع الأقران وانما سُمي لنجدته تبع الاقران وقد قيل بل هو تبع الأقرن كل ذلك يقال . فلما ملك تجهز يريد بلاد الصين طالبا بثأر أبيه وجدّه فسار اليها فمرّ بسمرقند وهي خراب فأمر ببنائها فأعيد ثم ركب المفازة حتى انتهى الى بلاد التُّبَّت فرأى مكانا واسعا طاهر المياه مكتلًا فابتنى هناك مدينة فأسكن فيها ثلاثين ألف رجل من أصحابه فهم التَّبَعِيُّونَ وزيّهم الى اليوم زيُّ العرب وهيئتهم هيئة العرب ثم سار الى أرض الصين فقتل وأخرب مدينة الملك فهي خراب الى اليوم ثم قفل راجعا الى اليمن وامتدّ ملكه الى ان ملك الاسكندر فخرج الملك عنه فصار في المَقَاوِل . قالوا وفي ذلك العصر نشأ النضر بن كنانة

(حرب دارا مع الروم)

قالوا وان دارا بن بهمن لما ملك تجهز غازيا الى أرض الروم فسار حتى

أوغل في أرضهم فخرج اليه الفيلفوس ملك الروم في جنوده فالتقوا فاقْتتلوا
فكان الظفر لدارا فصالحه الفيلفوس على اتاة يؤديها اليه كل عام وهي مائة
ألف بيضة ذهب في كل بيضة أربعون مثقالا وتزوج ابنته ثم اتصرف الى فارس

(ملك داريوش)

فلما تمّ لدارا اثنتا عشرة سنة في الملك حضرته الوفاة فأُسند الملك الى
ابنه دارا بن دارا وهو الذي يعرف بداريوش مُقارع الاسكندر فلما أفضى
الملك الى دارا بن دارا تجبر واستكبر وطمع . وكانت نسخة كتبه الى عمّاله
من دارا بن دارا المضي لأهل مملكته كالشمس الى فلان وكان عظيم
السلطان كثير الجنود لم يبق في عصره ملك من ملوك الأرض الا بضع له
بالطاعة واتقاء بالاتاة

(نشأة الاسكندر)

ونشأ الاسكندر وقد اختلف العلماء في نسبه فأما أهل فارس فيزعمون
أنه لم يكن ابن الفيلفوس ولكن كان ابن ابنته وان أباه دارا بن بهمن . قالوا
وذلك ان دارا بن بهمن لما غزا أرض الروم صالحه الفيلفوس ملك الروم على
الاتاة فخطب اليه دارا ابنته وحملها بعد تزويجها إياه الى وطنه فلما أراد
مباشرتها وجد منها ذفرا فعاقبها وردّها الى قيّمة نساءه وأمرها أن تحتال لذلك
الذفر فعالجتها القيّمة بحشيشة تسمى السندر فذهب عنها بعض تلك الرائحة ودعا
بها دارا فوجد منها رائحة السندر فقال آل سندر أي ما أشد رائحة السندر
وآل كلمة في لغة فارس يراد بها الشدة وواقعها فعلفت منه ونبا قلبه عنها

لذلك الذُفرة التي كانت بها فردّها إلى أبيها الفيلفوس فولدت الاسكندر فاشتقت له اسما من اسم تلك العُشبة التي عولجت بها على ما سمعت دارا قاله ليلة واقعها فنشأ الاسكندر غلاما ليبيّا أدبيا ذهنا فولاه جده الفيلفوس جميع أمره لما رأى من حزمه وضبطه ما رأى . ولما حضر الفيلفوس الوفاة أسند الملك اليه وأوعز الى عظماء المملكة بالسمع والطاعة له

(غلبة الاسكندر على دارا)

فلما ملك الاسكندر لم تكن له همة إلا ملك أبيه دارا بن بهمن فسار الى أخيه دارا بن دارا فخاربه على الملك . وأما علماء الروم فيأبون هذا ويزعمون أنه ابن الفيلفوس لصلبه . وانه لما مات الفيلفوس وأفضى الملك الى الاسكندر امتنع على دارا بن دارا بتلك الضريبة التي كان يؤدّيها أبوه اليه فكتب اليه دارا بن دارا يأمره بحمل تلك الاتاة ويُعلمه ما كان بين أبيه وبينه من المودة عليها فكتب اليه الاسكندر ان الدجاج التي كانت تبيض ذلك البيض ماتت فغضب دارا من ذلك وآلى ليغزون أرض الروم بنفسه حتى يخرجها فلم يحفل الاسكندر بذلك ولم يعأبه وكان الاسكندر أيضا جبارا معجبا وقد كان عتافي بدء أمره عتوا شديدا واستكبر وكان بأرض الروم رجل من بقايا الصالحين في ذلك العصر حكيم فيلسوف يسمى أرسطاطاليس يوحد الله ويؤمن به ولا يُشرك به شيئا فلما بلغه عتو الاسكندر وفضاظته وسوء سيرته أقبل من أقاصي أرض الروم حتى انتهى الى مدينة الاسكندر فدخل عليه وعنده بطارقه وروّساء أهل مملكته فمثل قائما بين يديه غير هائب له فقال أيها الجبار العاتي

ألا تخاف ربك الذى خلقك فسوّاك وأنعم عليك ولا تعتبر بالجبابرة الذين كانوا قبلك كيف أهلكهم الله حين قلّ شكرهم واشتدّ عتوّهم « فى موعظة طويلة » فلما سمع الاسكندر ذلك غضب غضبا شديدا وهمّ به ثم أمر بحبيسه ليجعله عظة لأهل مملكته ثم ان الاسكندر راجع نفسه وتدبر كلامه لما أراد الله به من الخير فرقع منه فى نفسه ما غير قلبه فبعث اليه على خلاء فأصغى اليه واستمع لموعظته وأمثاله وعبره وعلم أن ما قال هو الحق وان ما خلا الله من معبود باطل فارعوى واستجاب للحق وصحّ يقينه . فقال لذلك العابد فأنى أسئلك أن تلزمنى لأقتبس من علمك وأستضيء بنور معرفتك فقال له إن كنت تريد ذلك فاحسم أتباعك عن الغشم والظلم وارتكاب المحارم فتقدّم الاسكندر بذلك وأوعد فيه وجمع أهل مملكته ورؤساء جنوده فقال لهم اعلموا أننا كنا نعبد الى هذا اليوم أصناما لم تكن تنفعنا ولا تضرنا وانى آمركم فلا تردوا على أمرى وأرضي لكم ما أرضاه لنفسى من عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما كنا نعبد من دونه فقالوا بأجمعهم قد قبلنا قولك وعلمنا أن ما قلت الحق وآمنا باللهك والها فلما صحت له نيات خاصته واستقامت له طريقته وطبقوه على الحق أمر أن يعلن للعامة إنا قد أمرنا بالأصنام التى كنتم تعبدونها أن تُكسّر فان ظننتم أنها تنفعكم أو تضرّكم فلتدفع عن أنفسها ما يحلّ بها واعلموا أنه ليس لأحد عندى هوادة فى مخالفة أمرى وعبادة غير إلهى وهو الاله الذى خلقنا جميعا ثم أمر بتفريق الكتب بذلك فى شرق الارض وغربها ليعامل الناس على قدر القبول والاباء فمضت رساله

بكتبه بذلك الى ماوك الارض فلما انتهى كتابه الى دارا بن دارا غضب
من ذلك غضبا شديدا وكتب اليه من دارا بن دارا المضيء لاهل مملكته
كالشمس الى الاسكندر بن الفيلفوس انه قد كان بيننا وبين الفيلفوس عهد
ومهادنة على ضريبة لم ينزل يؤدّيها اليها أيام حياته فاذا أتاك كتابي هذا فلا
أعلمن ما بطأت بها فأذيقك وبال أمرك ثم لا أقبل عذرک والسلام. فلما ورد
كتاب به على الاسكندر جمع اليه جنوده وخرج متوجّها نحو أرض العراق وبلغ
ذلك دارا بن دارا فأحرز خزائنه وحرمه وأولاده في حصن همدان وكان
من بنائه ثم لقي الاسكندر جادا مستنفرا فواقعه وقائع كثيرة لم يجد الاسكندر
مطمنا فيه ولا في شيء منها ثم انه دس الى رجلين من أهل همدان كانا من
بطانته وخاصة حرسه وأرغبهما فرغبا وغدرا بدارا أتياه من ورائه حين صاف
الاسكندر في بعض أيامه ففتكا به فوق صريعا وانفضت جموع دارا وأقبل
الاسكندر حتى وقف على دارا صريعا فنزل فجعل رأسه في حجره وبهرمق
فجزع عليه وقال يا أخي ان سلمت من مصر عك خلّيت بينك وبين ملكك
فاعهد الى بما أحببت أف لك به فقال دارا اعتبرني كيف كنت أمس
وكيف أنا اليوم الست الذي كان يهابني الملوك ويدعونوا لي بالطاعة ويتقوني
بالاتاوة وهأنا اليوم صريع فريد بعد الجنود الكثيرة والسلطان العظيم فقال
الاسكندر يا أخي ان المقادير لا تهاب ملكا لثروته ولا تحقر فقيرا لفاقته وانما
الدنيا ظل يزول وشيكا. وينصرم صريعا. قال دارا قد علمت ان كل شيء
بقضاء الله وقدره وان كل شيء سواء فان وأنا موصيك لمن خلّفت من أهلي

وولدى وسائلك أن تزوج رؤوسك ابنتي فقد كانت قرّة عيني وثمرة قلبي
قال الاسكندر أنا فاعل ذلك فأخبرني من فعل هذا بك لا تنقم منه فلم يحرك
في ذلك جوابا دارا واعثقل لسانه بعد ذلك ثم قضى فأمر الاسكندر بقاتليه
فصلبا على قبر دارا فقالا أيها الملك ألم تزعم أنك ترفعنا على جنودك قال قد
فعلت ثم أمر بهما فرجما حتى ماتا . ثم كتب الى أم دارا وامراته بالنعزية وهما
بمدينة همدان وكتب الى أمه وهي بالاسكندرية أن تسير الى أرض بابل
فتجهز رؤوسك بنت دارا بأحسن جهاز وتوجهها اليه الى أرض فارس ففعلت .

(غزو الاسكندر الهند واليمن)

ثم شخص الاسكندر نحو فور ملك الهند فالتقيا على تخوم أرض الهند
وان الاسكندر دعا فورا الى البراز وألا يقتل الجمعان بعضهم بعضا بينهما
فاقتبها منه فور وكان رجلا مديدا عظيما أيّدا قويا فرأى الاسكندر قليلا
قضيئا وبرزاليه فأجلى النقع عن فور قتيلا واستسلم له جنوده فقبل سلمهم
وسار حتى دخل أرض السودان فرأى نلسا كالغربان غرة حفاة يهيمون
في الغياض ويأكلون من الثمار فان أسنتوا وأجدبوا أكل بعضهم بعضا
فجاوزهم حتى انتهى الى البحر فقطع الى ساحل عدن من أرض اليمن فخرج
اليه تبّع الاقرن ملك اليمن فأذعن له بالطاعة وأقر بالانلوة وأدخله مدينة
صنعا فأنزله وألطف له من الطاف اليمن فأقام شهرا

(وصول الاسكندر الى مكة ومقابله للنضر بن كنانة)

ثم سار الى تهامة وسكان مكة يومئذ خزاعة قد غلبوا عليها فدخل عليه

النضر بن كنانة فقال له الاسكندر ما بال هذا الحى من خزاعة نزولا بهذا الحرم ثم أخرج خزاعة عن مكة وأخلصه للنضر ولبنى أبيه وحج الاسكندر بيت الله الحرام وفرق فى ولد معد بن عدنان القاطنين بالحرم صلوات وجوائز

(وصول الاسكندر الى بلاد المغرب)

ثم قطع البحر من جذة يؤم بلاد المغرب . وروى عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام قسم الارض بين ولده الثلاثة فخص ساما بوسط الارض التى تسقيه الانهار الخمسة الفرات ودجلة وسينجان وجيخان وفينسون وهو نهر بلخ وجعل لحام ما وراء النيل الى منفح الدبور وجعل ليافت ما وراء فيسون الى منفح الصبا . وقالوا الارض أربعة وعشرون الف فرسخ فبلاد الاتراك من ذلك ثلاثة آلاف فرسخ وأرض الخزر ثلاثة آلاف فرسخ وأرض الصين الفا فرسخ وأرض الهند والسند والحبشة وسائر السودان ستة آلاف فرسخ وأرض الروم ثلاثة آلاف فرسخ وأرض الصقالبة ثلاثة آلاف فرسخ وأرض كنعان وهى مصر وما وراءها مثل أفريقية وطنجة وفرنجة والاندلس ثلاثة آلاف فرسخ وجزيرة العرب وما والاها ألف فرسخ قالوا وبلغ الاسكندر أمر قنذاقة ملكة المغرب وسعة بلادها وخصب أرضها وعظم ملكها وان مدينتها أربع فراسخ وان طول الحجر الواحد من سور مدينتها ستون ذراعا . وأخبر عن حال قنذاقة وعقلها وحزمها فكتب اليها من الاسكندر بن الفيلفوس الملك المسلط على ملوك الارض الى قنذاقة ملكة سمرة أما بعد فقد بلغك ما أفاء الله على من البلاد وأعطاني من العت والنصرة

فان سمعت وأطعت وآمنت بالله وخاعت الانداد التي تُعبد من دون الله
وحملت الى وظيفة الخراج قبلت منك وكففت عنك وتكبت أرضك وان
أبيت ذلك سرت اليك ولا قوة الا بالله فكتبت اليه ان الذي حملك
على ما كتبت به فرط بغيك وعجبك بنفسك فاذا شئت أن تسير فسير تذق
غير ما ذقت من غيرى والسلام فلما رجع جواب كتابه أرسل اليها بملك
مضر وكان في طاعته ليدعوها الى الطاعة وينذرها وبال المعصية فسار اليها في
مائة رجل من خاصته فلم يجد عندها ما يجب فرجع الى الاسكندر فأعلمه
فتجهز الاسكندر اليها ومضى في جنوده حتى انتهى الى مدينة القيروان وهي
من مصر على شهر فافتتحها بالمجانيق ثم سار الى القنطرة فكانت له ولها
قصص وأبناء فمأهدها على المؤادعة والمسالمة والا يطور بسلطانها وشيء مما في
ملكاتها ثم سار من هناك قاصدا الظلمة التي في الشمال حتى دخلها فسار فيها
ما شاء الله . ثم انكفأ راجعا حتى اذا صار في تخوم أرض الروم ابتنى هناك
مدينتين يقال لاحداهما قافونية واللاخرى سورية

(مسير الاسكندر الى مشرق الشمس وبلاد الصين)

ثم همّ بالاجتياز الى أرض المشرق فقال له وزراؤه كيف يمكنك الاجتياز
الى مطلع الشمس من هذه الجهة ودون ذلك البحر الاخضر ولا تعمل فيه
السفن لان ماءه شبيه بالقليح ولا يصبر على تنن ريحه أحد فقال لا بد من
المسير ولو لم أسر الا وحدي قالوا نحن معك حيث سرت فسار حتى قطع
أرض الروم يوم مشرق الشمس ثم جازهم الى أرض الصقالبة فأذعنوا له

بالطاعة فجازهم الى أرض الخزر فأذعنوا له فجازهم الى أرض الترك فأذعنوا له فسار في أرضهم حتى بلغ المفازة التي بينهم وبين بلاد الصين فركبها وسار حتى اذا قرب من أرض الصين اجلس وزيرا له يقال له فيناؤوس في مجلسه وأمره أن يتسمى باسمه وتسمى هو فيناؤوس وقصد الملك حتى وصل اليه فلما دخل عليه قال له من أنت قال أنا رسول الاسكندر المسلط على ملوك الارض قال وأين خلفته قال على تخوم أرضك قال وبما ذا أرسلك قال أرسلني لانطلق بك اليه فان أجبت أقرّك في أرضك وأحسن حباءك وان أبيت قتلك وأخرب أرضك فان كنت جاهلا بما أقول فسل عن دارا بن دارا ملك ايران شهر هل كان في الارض ملك أعظم ملكا منه وأكثير جنودا وأقوى سلطانا وكيف سار اليه واغتصبه نفسه وسلبه ملكه وسل عن فور ملك الهند الى ما آل أمره . قال ملك الصين يافيناؤوس انه قد بلغني أمر هذا الرجل وما أعطى من النصر والظفر وكنت على توجيه وفد اليه أسأله المودعة وأصلحه على الهدنة فأبلغه أنّي له على السمع والطاعة وأداء الاتاة في كلّ عام فليست به حاجة الى دخول أرضي ثم بعث اليه بتاجه وبهدايا من تحف أرضه من السمور والقاقم والخزّ والحريز الصيني والسيوف الهندية والسروج الصينية والمسك والعنبر وصحاف الذهب والفضة والدروع والسواعد والبيض فقبض ذلك الاسكندر

(مسير اسكندر الى ياجوج وما جوج)

وسار راجعاً الى عسكره وتنكب أرض الصين وسار الى الأمة التي قصّ

الله جل ثناؤه قصتها في (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون
 في الأرض) فكان من قصته وبنائه الرِّدْمَ ما قد أخبر الله به في كتابه
 فسألهم عن أجناس تلك الأمم فقالوا نحن نسمي لك من بالقرب منا منهم فأما
 ما سوى ذلك فلا نعرفه ثم يأجوج ومأجوج وتاويل وتاريس ومنسك وكمارى
 فلما فرغ من بناء السد بينهم وبين تلك الأمم رحل عنهم فوقع إلى أمة من
 الناس حمر الألوان صبب الشعور رجالهم معزلون عن نساءهم لا يجتمعون
 الا ثلاثة أيام في كل عام فمن أراد منهم التزويج فالتما يتزوج في تلك الثلاثة
 الأيام وإذا ولدت المرأة ذكرا وفطمته دفعته إلى أبيه في تلك الثلاثة الأيام
 وإن كانت أنثى حبستها عندها فارتحل عنهم وسار حتى صار إلى فرغانة فرأى
 قوماً لهم أجسام وجمال فأعطوه الطاعة فسار من فرغانة إلى سمرقند فنزلها وأقام
 شهراً ثم رحل فسلك على بخارى حتى انتهى إلى النهر العظيم فعبره في السفن
 إلى مدينة آمويه وهي أمل خراسان ثم سلك المفازة حتى خرج إلى أرض قد
 غلب عليها الماء فصارت آجاءاً ومروجاً فأمر بتلك المياه فسدت عنها حتى جفت
 الأرض فابتنى هناك مدينة وأسكنها قُطَّاناً وجعل لها رساتيق وقرى وحصونا
 وسماها مرخانوس وهي مدينة مَرَوَ وتسمى أيضاً ميلانوس ثم اجتاز بنيسابور
 وطوس حتى وافى الري ولم تكن أيامئذ وإنما بُنيت بعد ذلك في ملك فيروز بن
 يزدجرد بن بهرام جور ثم اجتاز من هناك على الجبل وحلوان حتى وافى العراق
 فنزل المدينة العتيقة التي تسمى طيسفون فأقام حولاً ثم سار يريد الشام حتى
 أتى بيت المقدس

(تولية الاسكندر ابناء الملوك)

فلما اطمان بها قال لمودبه أرسطاطاليس انى قد وترت أهل الأرض
جميعاً لقتلى ملوكهم واحتوائى على بلدانهم وأخذى أموالهم وقد خفت أن
يتظافروا على أهل أرضى من بعدى فيقتلونهم ويبيدونهم لحقهم على وقد
رأيت أن أرسل الى كل نبيه وشريف ومن كان من أهل الرياسة فى كل
أرض والى أبناء الملوك فأقتلهم فقال له مودبه ليس ذاك رأى أهل الورع
والدين مع أنك ان قتلت أبناء الملوك وأهل النباهة والرياسة كان الناس عليك
وعلى أهل أرضك أشد حنقا من بعدك ولكن لو بعثت الى أبناء الملوك
وأهل النباهة فتجمعهم اليك فتتوَّجهم بالتيجان وتملك كل رجل منهم كورة
واحدة وبلداً واحداً فانك تشغلهم بذلك بتنافسهم فى الملك وحرص كل
واحد منهم على أخذ ما فى يدي صاحبه عن اهلاك بلادك فتلقى بأسهم
بينهم وتجعل شغلهم بأنفسهم فقبل الاسكندر ذلك منه وفعله وهم الذين
يقال لهم ملوك الطوائف

(مهلك اسكندر)

ثم هلك الاسكندر ببیت المقدس وقد ملك ثلاثين سنة جال الارض
منها أربعاً وعشرين سنة وأقام بالاسكندرية فى مبتدأ أمره ثلاث سنين
وبالشام عند انصرافه ثلاث سنين فجعل فى تابوت من ذهب وحمل
الى الاسكندرية

(مدن الاسكندر)

وبنى اثنتى عشرة مدينة الاسكندرية بأرض مصر ومدينة نجران بأرض
العرب ومدينة مرو بأرض خراسان ومدينة كجي بأرض أصبهان ومدينة على
شاطئ البحر تدعى صيدودا ومدينة بأرض الهند تدعى جروين ومدينة
بأرض الصين تدعى فرينة وسائر ذلك بأرض الروم

(ملوك الطوائف)

قالوا ولما توفي الاسكندر حي كل رجل من أولئك الذين ملكهم
حيّزه ودفعوا الحرب فلم يكن يغلب أحدهم صاحبه الا بالحكمة والآداب
يتراسلون بالمسائل فان أصاب المسئول محل اليه السائل وان بغى أحد منهم
على الآخر وانتقصه شيئاً من حيّزه أنكروا جميعاً ذلك عليه فان تآدى أجمعوا
على حربه فسمّوا بذلك ملوك الطوائف

(ملوك اليمن الاربعة)

وزعموا أن الملوك الأربعة الذين لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم ولعن
أختهم أبضعة لما همّوا بنقل الحجر الأسود الى صنعاء ليقطعوا حج العرب
عن البيت الحرام الى صنعاء وتوجّهوا لذلك الى مكة فاجتمعت كنانة الى
فهر بن مالك بن النضر فلقبهم فقاتلهم فقتل ابن فهر يسمى الحارث لم يعقب
وقتل من الملوك الأربعة ثلاثة وأسر الرابع فلم يزل مأسوراً عند فهر بن مالك
حتى مات وأما أبضعة فهي التي يقال لها العنقفير ملكة بعد اخوتها بأخبث
سيرة كانت تتخير الرجال على عينيها فن أعجبها دعتة الى نفسها فوقع بها

لا يقدر أحد أن يُنكر عليها وإنما أبصرت فتى من قيس فأعجبها فدعته الى
نفسها فوقع بها فآلقها غلامين فى بطن فسَمَّت أحدهما سهلاً والآ خر عوفاً
وفى ذلك يقول شاعر من شعراء قيس

وذى ثومةٍ فى أذنه وضميرٍ وسيمٍ جميلٍ لا يُخيل مخايله
إذا ما رآته قيلةٌ حميريةٌ تجرُّ له حبلَ الشمسِ مُهازِله
قالوا وكان ذو الشنائر ملك عنسٍ ومُحابر وكان عظيم الملك كثير الجنود وكان
ملكه على عُمان والبحرين واليمامة وسواحل البحر
(ملك أردوان بن أشه)

قالوا ولم يكن فى ملوك الطوائف الذين كانوا بأرض العجم ملكٌ أعظم
ملكاً ولا أكثر جنوداً من أردوان بن أشه بن أشغان ملك الجبل كان
اليه الماهان وهمدان وماسبذان ومهرجانتقدق وحلوان وسائر الملوك إنما كان
يكون الى الرجل منهم كورة واحدة وبلد واحد وكان الملك منهم اذا مات
قام بالملك بعده ابنه أو حميمه وكان جميع ملوك الطوائف يُقرُّون لأردوان
ملك الجبل بفضلِه لاختصاص الاسكندر إياه دونهم بفضل الملك وكان
مسكنه بمدينة نهاوند العتيقة . قالوا وفى ذلك العصر بُعث المسيح عيسى بن
مريم عليه السلام

(ملك أسعد بن عمرو اليمن)

قالوا وإن أسعد بن عمرو بن ربيعة بن مالك بن ضُبَّح بن عبد الله بن
زيد بن ياسر نعم الملك الذى ملك بعد سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم لما

نشأ وبلغ أنف من ابتزاز قبائل ولد كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب
الملك حمير وكان الملك لهم وفي عصرهم فجمع اليه حمير وذلك بعد أن ملكت
المقاول بأرض اليمن فكانوا سبعة ملوك توارثوا الملك مائتين وخمسين سنة
فسار الى ملك همدان فخار به فظفر به ثم سار الى ملك عنس ويحابر ففعل به
مثل ذلك وأتى ملك كندة وأعطى الظفر حتى اجتمع له ملك جميع أرض اليمن

(ملك القيطون بلاد الحجاز)

فلما استجمع لأسعد الملك وجه ابن عمه القيطون بن سعد الى تهامة
والحجاز وجعله ملكا عليها فنزل يثرب فاعتدى وتجير حتى أمر أن لا تهدي
امراة الى زوجها حتى يبدؤوه بها وسلك في ذلك مسالك عمليق ملك طسم
وجدس الى أن زوجت أخت لملك بن العجلان من الرضاعة فلما أرادوا
أن يذهبوا بها الى القيطون اندس معها مالك بن العجلان متنكرا فلما خلاه
البيت عدا عليه بسيفه فقتله وعدوا على أصحابه فقتلوا أجمعين وبلغ ذلك
أسعد الملك فسار اليهم فنزل بالمدينة على نهر يسمى بئر الملك فكان من
قصته ما هو مشهور قد كتبناه في غير هذا الموضع

(مبعث عيسى عليه السلام)

قالوا ولما ابتعث الله عيسى بن مريم فأقبلت اليهود لقتله فرفعه الله اليه
أتوا يحيى بن زكريا فقتلوه فسلط الله عليهم ملكا من ملوك الطوائف من
ولد بخت نصر الاول فقتل بني اسرائيل وضربت عليهم الذلة والمسكنة

(ملك أردشير بن بابك)

قالوا فلما تمّ للملك الطوائف مائتا سنة وست وستين سنة ظهر أردشير بن بابكان وهو أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر ابن فافك بن مهر يس بن ساسان الا كبير ابن بهمن الملك بن اسفندياذ بن بشتاسف فظهر بمدينة صطخر فدبّ في ردّ ملك فارس في نصابه واتّسقت له الامور فلم يزل غلب ملكا ويقتل ملكا ويحتوى على ما تحت يده حتى انتهى الى فرّخان ملك الجبل وكان آخر من ملك ولد اردوان فكتب اليه اردشير بالدخول في طاعته فلما اناه كتابه امتلأ غيظا وقال لرسله لقد ارتقى ابن ساسان الراعى رُتقى وعرا ولم يحفل به وكتب اليه ان الميعاد بيني وبينك صحراء الهرمزدجان في سلخ مهرماه فسبق أردشير الى المكان فوافاه فرّخان في سلخ مهرماه فاقتلوا فقتله اردشير وسار من فوره حتى ورد مدينة نهاوند فقلّ قصر لفرّخان فأقام شهرا ثم سار الى الرّى ثم الى خراسان لا يأتي حيزا الا أذعن له بالطاعة ثم سار الى سجستان ثم الى كرمان ثم سار الى فارس فقلّ مدينة اصطخر فأقام حولا ثم سار نحو العراق فتلّقه من كان بها من ملوك الطوائف بلاهواز فقاتلهم فقتلهم ثم سار حتى عسكر بموضع المدائن اليوم فاخطبها وبنّاها فلما استوسق له الملك دعا بابة أخى الفرّخان التي أخذها من قصر الفرّخان بنهاوند وكانت ذات جمال ولبّ وقد كان أفضى اليها وسألها عن نسبها فأخبرته فقال لها قد أسأت حين أعلمتني لاني أعطيت الله عهدا ان أظهرني الله بالفرّخان ان لا أدع من أهل بيته أحدا ثم دعا أبرسام وزيره

فقال انطلق بهذه الجارية فاقتلها فأخذ أبرسام بيد الجارية فأخرجها لينفذ فيها أمره فلما خرجت قالت لأبرسام اني حامل لاشهر فلما قالت له ذلك انطلق بها الى منزله وأمر بالاحسان اليها وقال لأردشير قد قتلها وزعموا أنه جب نفسه وأخذ هذا كيره فجعلها في حق وختم عليه وأتى به أردشير وسأله أن يأمر بعض ثقاته باحرازه فإنه سيحتاج اليه يوما فأمر أردشير بالحق فأحرز. ثم ان الجارية ولدت غلاما كاجمل ما يكون من الغلمان وهو سابور بن أردشير الذي ملك بعده وان أردشير أقام بالعراق حولا ثم سار الى الموصل فقتل ملكها ثم انصرف وجعل يسير فصار الى عمان والبحرين واليمامة فخرج اليه سنطرق ملك البحرين فخار به فقتله أردشير وأمر بمدينته فأخربت. قالوا وان أبرسام دخل على أردشير يوما وهو مستخل وحده مفكر مهموم فقال أيها الملك عمرك الله مالى أراك مهموما حزينا وقد أعطاك الله أمنيته ورد الله اليك ملك آبتك فأنت اليوم شاهان شاه قال أردشير ذاك الذي أحزننى انى قد استخوذت على الارض ودان لى جميع الملوك وليس لى ولد يرث ملكى الذى أنصبت فيه نفسى فلما سمع ذلك أبرسام قال فى نفسه هذا وقت اظهار أمر تلك المرأة الاشغانية وقد كان أتى على ابنها خمس سنين فقال أيها الملك انى كنت استودعتك يوم أمرتنى بقتل تلك المرأة الاشغانية حقا فمخنوما وقد احتجت اليه فمر باخراجه فأمر به أردشير فأخرج اليه ففتحه وأراه أردشير فاذا فيه هذا كيره قد يبست فى جوف الحق فقال له أردشير ما هذا فأخبره الخبر وأعلمه حال الغلام ففرح أردشير بذلك ثم قال لأبرسام أثبتنى بالغلام واجعله

ما بين مائة غلام من أقرانه ففعل أبرسام ذلك فلما أدخلهم عليه تأملهم غلاما غلاما حتى اذا بلغ الى سابور رأى تشابه ما بينه وبينه فتحرك له قلبه فأمسك نفسه ولم يكلمه وأمر بأن يُعطى الغلمان جميعا صوالجة ويُطرح لهم كرة في الرحبة ليلعبوا بين يديه مقابل الايوان وقال لابرسام إحْتَلْ أن تقع الكرة عندى فى الايوان ففعل ووقعت الكرة على بساطه فوقف جميع أولئك الغلمان على باب الايوان ولم يجترئ واحد منهم أن يدخل فيتناول الكرة من بين يديه الا الغلام فانه اقتحم من بينهم على أبيه فتناول الكرة من بين يديه فلما رأى ذلك أردشير مدّ يده فتناول الغلام وضمه اليه وقبله وأمر به وبأمه ان تُرَدَّ اليه وهو سابور الذى ملك بعده وأكرم أبرسام وأقطعته القطائع الكثيرة وأمر ان تُصوّر صورة أبرسام على الدراهم والبسط حتى انقضى ملكهم . قالوا وفى ملك أردشير بعث الله تعالى عيسى عليه السلام ويزعمون انه بعث بأحد حواريته الى أردشير وانه جاء الى مدينة طيسفون فنزل على ابرسام فكان اذا أمسى استُخرج له سراج فيصلى طول ليله ويتلو الانجيل فسأله ابرسام عن قصته ودينه فأخبره انه رسول المسيح عيسى بن مريم فأفضى ابرسام الخبر الى أردشير فدعا به فنظر الى سمته وهدوئه وأراه الشيخ آيات من آيات المسيح فلم يبعد عند أردشير ولا هاجه بسوء

(حديث جرجيس مع ملك الموصل)

قالوا وفى زمان ملوك الطوائف كانت قصة جرجيس واتيانه ملك الموصل وكان جبارا متمردا يعبد الاصنام ويحمل الناس على عبادتها وكان جرجيس

من أهل الجزيرة وكان من أمره وأمر ذلك الملك ماقد أتت به الاخبار .
 وكان أردشير هو الذي أكمل آيين الملوك ورتب المراتب وأحكم السير
 وتفقد صغير الامر وكبيره حتى وضع كل شئ من ذلك على مواضعه وعهد
 عهد المعروف الى الملوك فكانوا يمشون ويلزمونه ويتبركون بحفظه والعمل
 به ويجعلونه درسهم ونصب أعينهم وبني من المدن ست مدائن منها بارض
 فارس مدينة أردشير خرّه ومدينة رام أردشير ومدينة هرمزدان أردشير
 وهي قصبة الاهواز ومدينة أستاذ أردشير وهي كرخ ميسان ومدينة فوران
 أردشير وهي التي بالبحرين ومدينة الموصل تسمى خرزاد أردشير .

(ملك ملكيكر ب اليمن)

وملك بعد أسعد ملك اليمن الذي كسا البيت ونحر عنده وطاف به
 وعظمه ابن عمه ملكيكر ب بن عمرو بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو
 ذي الاذعار ملك عشرين سنة لا يبرح بيته ولا يغزو كما كانت الملوك قبله
 تفعل تخرج من الدماء

(ملك التبابعة)

نم ملك بعدد ابنه تبّع بن ملكيكر ب وهو تبّع الاخير وكانت التبابعة
 ثلاثة أولهم شمّر أبو كرب الذي غزا الصين وأخرب مدينة سمرقند والثاني
 تبّع أسعد الذي ذبح للبيت الحرام الذبائح وعلق عليه باب ذهب والثالث
 تبّع بن ملكيكر ب ولم يسم غير هؤلاء الثلاثة من ملوك اليمن تبعا . وكان تبّع
 هذا الاخير في عصر سابور بن أردشير وفي عصر هرمز بن سابور وكان تبّع

ابن ملكيكرب كبير الشأن عظيم السلطان وهو الذى غزا بلاد الهند فقتل ملكها وهو من أولاد فور الملك الذى قتله الاسكندر ثم انصرف الى اليمن ومات فى ملك بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير . ثم ملك من بعد تبّع ابنه حسان بن تبّع بن ملكيكرب وهو الذى غزا أرض فارس فيما يزعمون وهو الذى ضجرت الحميرية لكثرة غزوه بها وقلة مقامه بأرض اليمن فزینوا لأخيه عمرو بن تبّع قتله ليملكوه عليهم فطابقوه جميعا على ذلك الاذارعين فانه أبى ذلك ولم يدخل فيه مع اقربم فعدا عمرو على أخيه فقتله وملك من بعده وانصرف بقومه الى اليمن فسُلط عليهم السهر .

(ملك سابور)

فلما ملك سابور بن أردشير غزا أرض الروم فافتتح مدينة قالوقية ومدينة قبدوقية وأثنى فى الروم ثم انصرف الى العراق وسار الى أرض الاهواز ليرتاد مكانا يبنى فيه مدينة يسكنها السبي الذى قدم بهم من أرض الروم فبنى مدينة جند سابور واسمها بالخوزية نيلاط وأهلها يسمونها نيلاب فكان سابور قد أسر اليرينوس خليفة صاحب الروم فأمره ببناء قنطرة على نهر تستر على أن يخلّيه فوجه اليه ملك الروم ناسا من أرض الروم والاموال فبناها فلما فرغ منها أطلقه

(ظهورمانى)

وفى زمان سابور ظهورمانى الزنديق وأغوى الناس ومات سابور قبل أن يظفر به وملك سابور احدى وثلاثين سنة

(ملك هرمز)

وأفصى الملك بعده الى ابنه هرمز بن سابور فأخذ ماني فأمر به فسلخ جلده وحشاه بالثبن وعلقه على باب مدينة جنديسابور فهو الى اليوم يُدعى باب ماني وتتبع أصحابه ومن استجاب له فقتلهم جميعا فللك ثلاثين سنة

(ملك بهرام بن هرمز واولاده)

وأُسند الملك الى ابنه بهرام بن هرمز فللك سبع عشرة سنة ثم ملك ابنه بهرام بن بهرام ثم ملك ابنه نرسی بن بهرام بن بهرام فللك سبع سنين ومات فللك ابنه هرمزدان بن نرسی فللك سبع سنين ومات ولم يكن له ولد يرثه الملك غير أن امرأته كانت حاملا لا شهر فأمر بالتاج فوضع على بطنها وتقدم الى عطاء أهل فارس أن لا يملكوا عليهم أحدا حتى ينظروا ما يولد له فان كان ذكرا سموه سابور وأقرّوه على الملك ووكّلوا به من يحضنه ويقوم بأمر الملك الى ادراكه وان كانت أنثى اختاروا رجلا لأنفسهم من أهل بيته فلكوه عليهم فولدت المرأة ذكرا وسموه سابور وهو المنبوز بذى الاكتاف

(ملك سابور ذى الاكتاف)

فشاع لما مات هرمزدان في أطراف الأرضين انه ليس لأرض فارس ملك وانهم يلوذون بصبي في مهد فطمعوا في مملكة فارس فورد جمع عظيم من الاعراب من ناحية البحرين وكاظمة الى أبرشهر وسواحل أردشير خرّه فشنوا بها الغارة وأتى بعض ملوك غسان على الجزيرة في جموع عظيمة حتى أغار على السواد فمكثت مملكة فارس حيناً لا يمتنعون من عدوّ لو هنى أمر

الملك فلما ترعرع الغلام كان أول ما ظهر من حزمه أنه استيقظ ليلة وهو نائم في قصره بمدينة طيسفون بضوضاء الناس لازدحامهم على جسر دجلة مقبلين ومُدبرين فقال ما هذه الضوضاء فأخبر فقال ليُعقَد لهم جسر آخر يكون أحدهما لمن يُقبل والآخر لمن يُدبر ففعلوا وتباشروا بما ظهر من فطنته مع طفولته فلما أتت له خمسة عشر سنة تجرَّد لضبط الملك ونفى العدو عنه فتأهب وسار إلى أبرشهر فطرد من كان صار إليها من الأعراب وقلمهم أخبث قتلة وكذلك فعل بالجزيرة فصار إلى الضيّن الغساني فحاصره في مدينته التي على شاطئ الفرات مما يلي الرقة فرغموا أن ابنة الضيّن واسمها مليكة وزعموا أن أمها عمّة سابور دختنوس ابنة نرسی وأن الضيّن كان سباهما لما أغار على مدينة طيسفون فأشرفت مليكة على عسكر سابور وهو محاصر لأبيها فرأت سابور فعمشقه فراسلته على أن تدله على عورة أبيها على أن يتزوجها فوعدها سابور ذلك ففعلت فأسكرت بالحُصن حرس أحد الأبواب حتى ناموا وأموت بفتح الباب فدخل سابور وجنوده فأخذ الضيّن فقتله وخلع أكتاف أصحابه وخلاهم وكذا كان يفعل بمن أسر من الأعداء فبذلك سمي ذا الأكتاف ووفى لابنته بما وعدها ثم قتلها بعد ربطها بين فرسين وأجراها فقطعها وقال لها أنت إذ لم تصاحي لأبيك لا تصلحين لي وأمر سابور فبنيت له مدينة الأنبار وسمّاها فيروز سابور وكورها كورة وبنى بالسوس مدينة وهي التي إلى جانب الحصن التي تسمى سادانيال الذي كان فيه جسد دانيال عليه السلام

(ملك مانوس على الروم وحروبه مع سابور)

قالوا وكان ملك الروم في ذلك العصر مانوس وكان يدين فيما ذكرنا
 قبل أن يملك دين النصرانية فلما ملك أظهر ملة الروم الأولى وأحياها وأمر
 بتحريق الأنجيل وهدم البسيع وقتل الاساقفة فلما قتل سابور الضيزن الغساني
 غضب لذلك فجمع من كان بالشام من غسان وأقبل فيهم ومعه جيوش الروم
 حتى ورد العراق ووجه سابور عيوناً ليأتوه بخبرهم فانصرف اليه عيونه وقد
 اختلفوا عليه فخرج ليلا في ثلاثين فارساً ليشرف على عسكر الروم وقد تم أمامه
 عشرة منهم فأخذتهم الروم فأتوا بهم اليو بيانوس خليفة الملك وابن عمه فسألهم
 عن أمرهم وتوعدهم القتل فقام اليه رجل منهم مُسرّاً عن أصحابه فقال له ان
 سابور منك بالقرب فضمّ إلى خيلاً حتى آتيتك به أسيراً وكانت بين اليو بيانوس
 وسابور مودة وخلة فأرسل الى سابور يُنذره فانصرف راجعاً وسار الملك
 الرومي إلى باب مدينة طيسفون وخرج اليه سابور في جنوده فهزمه الرومي حتى
 بلغوا قنطرة جازر واحتوى الرومي على مدينة طيسفون ولم يقدرُوا على التقصير
 لحصاته ومن فيه من الحماة عنه وثاب الناس الى سابور فزحف الى جمع الروم
 ففتحهم عن المدينة وعسكر ببابها وراسل ملك الروم فينما هم في ذلك اذ أتى
 ملك الروم سهم عاثر وهو في مضر به وحواله بطارقه فأصاب مقتله فسقط في أيدي
 الروم لمكانهم الذي هم به واشراف عدوهم عليهم فطلبوا الى اليو بيانوس
 أن يملك عليهم فأبى وقال لست أملك على قوم مخالفين لي في ديني لاني على
 دين النصرانية وأتم على دين الرم الأول فقال له البطارقة والعطاء فأتانا نحن

جميعاً على مثل ما أنتم عليه غير أننا كنا نكاثم بذلك خوفاً من الملك فتملك عليهم اليويانوس ولبس التاج وبلغ سابور أمرهم فأرسل اليهم أصبحتم اليوم في قبضتي وقدرتي ولا تقتلنكم بمكانكم هذا جوعاً وهزلاً فأجمع اليويانوس على اتيان سابور لما كان بينهم من المودة فأبى عليه البطارقة والرؤساء فخالفهم وأتاه فعرف له سابور يده عنده في انذاره إياه تلك الليلة وجعل له اليويانوس نصيبين وحيّزها عوضاً مما أفسدت الروم من مملكته وكتب له بذلك كتاباً وبلغ أهل نصيبين ذلك فانتقلوا عنها رضناً بالنصرانية وكراهيةً لتمليك الفرس عليهم فنقل سابور إليها اثني عشر ألف أهل بيت من اصطخر فأسكنهم فيها فعقبهم بها إلى اليوم . وانصرفت الروم إلى أرضها . فلما تم لسابور اثنتان وسبعون سنة حضره الموت فجعل الأمر من بعده لابنه سابور بن سابور

(ملك سابور بن سابور)

فلما تم لملكه خمس سنين خرج يوماً متصيداً فقتل بمكان وضربت قبه فجلس فيها فأقبل قوم من الفسّاك ليلا فقطعوا أطباء القبة فسقطت عليه فمات

(ملك بهرام بن سابور)

فملك بعده ابنه بهرام بن سابور وكان على كرمان فلما قُتل أبوه قدم فقام بالملك فلما تم لملكه ثلاث عشرة سنة خرج يوماً متصيداً فرمى بنشابة فأصابته فلما أحسّ بالموت أوصى إلى ابن أخيه يزدجرد بن سابور بن سابور وكان أصغر سناً منه

(مالك يزدرجرد بن سابور)

فقام بالملك بعده وهو يزدرجرد الذي يُلقَّب بالأثيم وكان غَلَقَاسِيءَ الخلق لا يكافيء على حسن بلاء وكان مَنَّا لا يتجاوز عن زلة وان صغرت ويعاقب على الصغيرة كما يعاقب على الكبيرة ولم يكن أحد يقدر على كلامه لفظاظته وغلظته ألا إن وزراءه كانوا أخيارا مترفقين متعاونين فولد له بهرام الذي يقال له بهرام جُور فدفعه الى المنذر أبي النعمان ليحضره فصار المنذر بهرام الى الحيرة وكانت داره واختار له المنذر المراضع وأحسن حضائته فلما بلغ التأديب بعث اليه أبوه بمؤدبين من الفرس وأحضره المنذر مؤدبين من العرب فأحكم الأدبين وكمل فيهما ونشأ نشأ محمودا وبرع في الأدب والفروسية وخرج عاقلا ليبدأ جميلا بهيئا ومكَّنه المنذر من اللهو والقِيان فكان يركب النجائب ويُركب وراءه الصنَّاجات يُلهيه ويُطربُه وتجرَّد لطرْد الوحش على تلك الحال فضرب به المثل فتوة ورخاء بال

(قتل عمرو بن تبع ومالك صهبان اليم)

قالوا ولما قتل عمرو بن تبع أخاه حسان بن تبع وأشرف قومه تضعضع أمر الحميرية فوثب رجل منهم لم يكن من أهل بيت الملك يقال له صهبان ابن ذي خرب على عمرو بن تبع فقتله واستولى على الملك

(مسير صهبان الى حرب العدنانيين بتهامة)

قال اوهو الذي سار الى تهامة لمحاربة ولد معد بن عدنان وكان سبب ذلك أن معدا لما انتشرت تباغت وتظالمت فبعثوا الى صهبان يسألونه أن

يَمْلِكُ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يَأْخُذُ لَضَعِيفِهِمْ مِنْ قُوَّيِهِمْ مَخَافَةَ التَّعَدَّى فِي الْحُرُوبِ فُوجَهُ
إِلَيْهِمُ الْحَرْثُ بْنُ عَمْرِو السَّكَنْدِيِّ وَاخْتَارَهُ لَهُمْ لِأَن مَعْدَا أَخْوَالَهُ . أُمُّهُ امْرَأَةٌ مِنْ
بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ فَسَارَ الْحَرْثُ إِلَيْهِمْ بِأَهْلِهِ وَوَلَدَهُ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِيهِمْ وَلَّى ابْنَهُ
حُجْرُ بْنُ عَمْرٍو وَهُوَ أَبُو امْرِئِ الْقَيْسِ الشَّاعِرُ عَلَى أَسَدٍ وَكُنَانَةُ وَلَّى ابْنَهُ
شَرَحْبِيلَ عَلَى قَيْسٍ وَتَمِيمٍ وَوَلَّى ابْنَهُ مَعْدِي كَرْبٍ وَهُوَ جَدُّ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ
عَلَى رِبِيعَةَ فَمَكَثُوا كَذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ الْحَرْثُ بْنُ عَمْرٍو فَأَقْرَبَ صَهْبَانَ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي مَلِكِهِ فَلَبِثُوا بِذَلِكَ مَا لَبِثُوا ثُمَّ إِنَّ بَنِي أَسَدٍ وَثَبُوا عَلَى مَلِكِهِمْ
حُجْرُ بْنُ عَمْرٍو فَقَتَلُوهُ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ صَهْبَانَ وَجَّهَ إِلَى مُضَرَ عَمْرٍو بْنِ نَابِلٍ
الْأَخْمِيِّ وَالْإِبْرَةِ بْنِ النُّعْمَانَ الْغَسَّانِيَّ وَبَعَثَ بِرَجُلٍ مِنْ حَمِيرٍ يُسَمَّى
أَوْفَى بْنِ عُنُقٍ الْحَيَّةِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَ بَنِي أَسَدٍ أَبْرَحَ الْقَتْلَ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَسَدًا
وَكَنَانَةَ اسْتَعَدُّوا فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ انْصَرَفَ نَحْوَ صَهْبَانَ وَاجْتَمَعَتِ قَيْسُ وَتَمِيمُ
فَأَخْرَجُوا مَلِكَهُمْ عَمْرٍو بْنَ نَابِلٍ عَنْهُمْ فَلَحَقَ بِصَهْبَانَ وَبَقِيَ مَعْدِي كَرْبُ جَدُّ
الْأَشْعَثِ مَلِكًا عَلَى رِبِيعَةَ فَلَمَّا بَلَغَ صَهْبَانَ مَا فَعَلَتْ مُضَرُ بِعَمَالِهِ آلِي لَيْغَزُونَ
مُضَرَ بِنَفْسِهِ وَبَلَغَ ذَلِكَ مُضَرَ فَاجْتَمَعَ أَشْرَافُهَا فَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِمْ فَعَلَمُوا إِلَّا
طَاقَةَ لَهُمْ بِالْمَلِكِ إِلَّا بِمُطَابَقَةِ رِبِيعَةَ إِيَّاهُمْ فَأَوْفَدُوا وَفُودَهُمْ إِلَى رِبِيعَةَ مِنْهُمْ عَوْفُ
ابْنِ مَنَقْدٍ التَّمِيمِيِّ وَسُوَيْدُ بْنُ عَمْرٍو وَالْأَسَدِيُّ جَدُّ عَبِيدِ بْنِ الْبَرَصِ وَالْأَحْوَصُ
ابْنُ جَعْفَرٍ الْعَامِرِيِّ وَعُدُسُ بْنُ زَيْدٍ الْخَنْظَلِيُّ فَسَارُوا حَتَّى قَدَمُوا عَلَى رِبِيعَةَ
وَسَيِّدِهِمْ يَوْمَئِذٍ كَلْبُ بْنُ رِبِيعَةَ التَّغْلِبِيِّ وَهُوَ كَلْبُ وَائِلٍ فَأَجَابَتْهُمْ رِبِيعَةُ
إِلَى نَصْرِهِمْ وَوَلَّوْا الْأَمْرَ كَلْبًا فَدَخَلَ عَلَى مَلِكِهِمْ لَيْدِ بْنِ النُّعْمَانَ فَقَتَلَهُ ثُمَّ

اجتمعوا وساروا فلقبهم الملك بالسُلَّان فاقْتتلوا ففَلَّتْ جموع اليمَن وفي ذلك يقول الفرزدق جرير

لولا فوارسُ تغلبِ ابنةِ وائلٍ نزل العدوُّ عليك كلَّ مكانٍ
وانصرف الملك الى أرضه مفلولا فُكثَ حولاً ثم تجهز لمعاودة الحرب وسار
فاجتمعت معه وعليها كليب فتوافوا بخزازی فوجه كليب السفّاح بن عمرو
أمامه وأمره اذا التقى بالقوم أن يُوقِدَ ناراً علامةً جعلها بينه وبينه فسار السفّاح
ليلاً حتى وافى معسكر الملك بخزازی فأوقد النار فأقبل كليب في الجموع نحو
النار فوافاهم صباحاً فاقْتتلوا فقتل الملك صهبان وانفضت جموعه وفي ذلك يقول
عمرو بن كلثوم

ونحن غداة أو قد في خزازی رفدنا فوق رفدِ الرافدينَا
فلما قُتل صهبان زاد حمير قتلُهُ اتضاعاً ووهناً

(ملك ربيعة بن نصر اللخمي اليمَن)

فجمع ربيعة بن نصر اللخمي جدّ النعمان بن المنذر قومه ومن أطاعه من
ولد كهلان بن سبأ فاغتصب حمير الملك فاجتمعت له أرض اليمَن فملكها
زماناً وهو ربيعة بن نصر بن الحرث بن عمرو بن نخم بن عدى بن مرة بن
زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان فلما استجمع لربيعة بن نصر
أمرُ اليمَن رأى في منامه رؤيا هالته ووجل منها فبعث الى شقّ وسطّيح
الكاهنين فأخبرها بما رأى فأخبراه في تأويلها بما يكون من غلبة السودان
على أرض اليمَن وبغلبة فارس بعدهم ثم بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم فلما

سمع بذلك أوجس في نفسه خيفةً فأحبّ أن يُخرج ولده وخاصةً أهله من أرض اليمن

(مسير عمرو اللخمي الى الحيرة)

فوجه ابنه عمرا الى يزدجرد بن سابور ويقال بل كان ذلك في عصر سابور ذي الاكتاف فأنزله الحيرة فيومئذ بنيت الحيرة فضمّ عمر واليه اخوته وأهل بيته فمن هناك وقع آل لخم الى الحيرة واتصلوا بالاكاسرة فجعلوا لهم على العرب ساطانا .

(ملك جذيمة الحيرة)

فلما مات خلفه من بعده ابنه جذيمة بن عمرو وفزّج جذيمة أخته من ابن عمه عدى بن ربيعة بن نصر فولدت له عمرو بن عدى الذي استطاع به الجن وله حديث فلم يزل جذيمة ملكا بالخورنق زمانا حتى دعه نفسه الى تزويج مارية ابنة الزباء الغسانية وكانت ملكة الجزيرة ملكت بعد عمها الضيزن الذي قتله سابور وكان له ولها حديث مشهور فقتلت جذيمة ثم قتلها قصير مولاه

(ملك عمرو بن عدى)

فلما هلك خلفه ابن أخته وابن ابن عمه عمرو بن عدى وهو جد النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة . قالوا وكان ذلك في عصر يزدجرد ابن سابور بن بهرام جور . قالوا وفي ذلك العصر توفي عبد مناف بن قصي وخلفه في سوّده ابنه هاشم بن عبد مناف . قالوا وهلك يزدجرد الاثيم وقد

ملك احدى وعشرين سنة واصفا و بهرام جور ابنه غائب بالحيرة عند المنذر بالخورنق فتعاهدت عظماء فارس ألا يملكوا أحدا من ولد يزدجرد لما نالهم من سوء سيرته منهم إسظام أصبح بهد السواد الذي تدعى مرتبته هزارفت ويزدجشنس فاذوسفان الزوابي وفيرك الذي تدعى مرتبته مهران وجودرز كاتب الجند وجشنساذريش كاتب الخراج وفناخسرو صاحب صدقات المملكة وغير هؤلاء من أهل الشرف والبيت فاجتمعوا واختاروا رجلا من عترة أردشير بن بابكان يقال له خسرو فملكوه عليهم وبلغ ذلك بهرام جور وهو عند المنذر فأمر منذر بهرام بالخروج والطلب بثراث أبيه ووجهه معه ابنه النعمان فسار بهرام حتى قدم مدينة طيسفون فنزل قريبا منها في الابنية والفساطيط والقباب فلم يزل النعمان يسفر بينه وبين عظماء فارس وأشرافها الى أن أنابوا وثابوا الى بهرام

(ملك بهرام جور)

وبسط بهرام من آمالهم وشرط لهم المعدلة وحسن السيرة فخلوا بينه وبين الملك وسمعوا وأطاعوا . وحباً بهرام المنذر والنعمان وأكرمهما وكافأه بيده عنده في تربيته ومعاضدته ففوّض اليه جميع أرض العرب وصرفه الى مستقره من الحيرة . ولما استتب لبهرام الملك أثر اللهو على ما سواه حتى عتب عليه رعيته وطمع فيه من كان حوله من الملوك فكان أول من شخص صاحب الترك فانه نهض في جموعه من الأتراك حتى أوغل في خراسان فشن فيها الغارات وانهى النبا الى بهرام فترك ما كان فيه من الاستهتار باللهو وقصد

اعدوه فأظهر انه يريد اذرييجان ليتصيد هناك ويلهو في مسيره اليها فانتخب
 من أبطال رجاله سبعة آلاف رجل فحملهم على الابل وجنبوا الخيل واستخلف
 على ملكه أخاه نرسي ثم سار نحو اذرييجان وأمر كل رجل من أصحابه
 الذين انتخبهم أن يكون معه باز وكلب فلم يشك الناس أن مسيره ذلك
 هزيمة من عدوه واسلام للملكه فاجتمع العظماء والاشراف فتآمروا بينهم
 فاتفق رأيهم على توجيه وفد منهم الى خاقان صاحب الترك بأموال يبعثون
 بها اليه ليصدوه عن استباحة البلاد وبلغ خاقان أن بهرام مضى هاربا وان
 أهل المملكة مجمعون على الخضوع له فاغتر وأمن هو وجنوده فأقام بمكانه
 ينتظر الوفد والاموال قالوا وان بهرام أمر بذج سبعة آلاف ثور وحمل جلودها
 وساق معه سبعة آلاف مهر حوّل وجعل يسير الليل ويكن النهار وأخذ
 على طبرستان وتبطن ضفة البحر حتى خرج الى جرجان ثم سار منها الى نسا ثم منها
 الى مدينة مرو وكان خاقان معسكرا بها بكشمين حتى اذا صار بهرام منهم
 على منقلة وخاقان لا يعلم شيئا من علمه أمر بتلك الجلود فنفتحت وألقى فيها
 الحصى وجففت ثم علّقها في أعناق تلك المهارة حتى دنا من عسكر خاقان
 وكانوا نزولا على طرف المفازة على ستة فراسخ من مدينة مرو فخلّوا عن
 تلك المهارة ليلا وطردها من أدبارها فارتفع لتلك الجلود والحجارة التي فيها
 وعدو المهارة بها وضربها أيّاها بأيديها أصوات هائلة أشد من هدة الجبال
 والصواعق وسمعت الترك تلك الاصوات فزاعتها ولا يدرون ماهي وجعلت
 تزداد منهم قربا فأجلوا عن معسكرهم وخرجوا هربا وبهزام في الطلب فتقطرت

داية خاقان بخاقان وأدركه بهرام فقتله بيده وغنم عسكره وكل ما كان فيه من الاموال وأخذ خاتون امرأة خاقان ومضى بهرام على آثار الترك ليلته ويومه كله يقتل ويأسر حتى انتهى الى أموية ثم عبر نهر بلخ يتبع آثارهم حتى اذا صار بالقرب أذعن له الترك وسألوه أن يبني لهم حدا يعلم بينه وبينهم لا يجاوزونه فحد لهم مكانا واغلا في أرضهم وأمر بمنارة فبُنيَت هناك وجعلها حدا ثم انصرف الى دار المملكة ووضع عن الناس خراج تلك السنة وقسم في أهل الضعف والمسكنة شطر ما غنم وقسم الشطر الآخر بين جنده الذين كانوا معه فعم السروور أهل مملكته فلهوا جذلا وابتهاجا فبلغ أجر اللعاب في اليوم عشرين درهما وصارا كليل ربحان بدرهم . فلما أتى له في الملك ثلاث وعشرون سنة خرج متصيدا فرُفعت له عانة من الوحش فدفع فرسه في طلبها فذهبت به فرسه في جُرف مُفض الى غمر من الماء فارتطم فيه فغرق وبلغ ذلك أمه فجاءت الى ذلك المكان وأمرت بطلبه في ذلك الهور فاستخرجوا تالالا من الحصى والرمل فلم يدركوه ويقال ان ذلك المكان بموضع من الماء يسمى داي مرج سمي بامه لان الأم بلسان الفرس تسمى داي وهو مرج معروف وهذا الحديث مشهور في الموضع هو كما وصفوا في الحديث هناك كوا تنفتح في الارض الى ماء لا يدرك له غور وذلك بقرب آجام وماء راكد

(ملك يزدجرد بن بهرام)

فلما هلك بهرام ملكوا ابنه يزدجرد بن بهرام فسار بسيرة أبيه سبع

عشرة سنة وحضره الموت وله ابنان فيروز وهرمزد وكان فيروز أكبر سنًا

(النزاع بين ولدي يزدجرد)

فاستأثر هرمزد بالملك دون أخيه فيروز فهرب فيروز حتى لحق ببلاد الهياطلة وهي تخارستان والصغانيان وكابلستان والأرضون التي خلف النهر الأعظم مما يلي أرض بلخ فدخل على ملك تلك الأرض فأخبره بظلم أخيه آياه واحتوائه على الملك دونه وهو أصغر سنًا منه وسأله ان يمدّه بجيش حتى يسترجع الملك فقال لن أجيبك الى ما تسأل حتى تحلف أنك أكبر سنًا منه فحلف فيروز فأمدّه بثلاثين ألف رجل على أن يجعل له حدًا لترمذ فصار فيروز بالجيش واتبه جلّ أهل المملكة ورأوا انه أحق بالملك من هرمزد فمظاظه هرمزد وشرارته فحاربه حتى استرجع الملك وأقال أخاه عشرته ولم يؤاخذه بما كان منه

(فيروز بن يزدجرد)

قالوا وكان فيروز ملكا محمدا وكان جلّ قوله وفعله فيما لا يجدى عليه نفعه وان الناس قحطوا في سلطانه سبع سنين متواليات فغارت الأنهار وغازت المياه والعيون وقحلت الأرض وجفّ الشجر وموتت البهائم والطير وهلك الأنعام وقلّ ماء دجلة والفرات وسائر الأنهار فرجع فيروز الخراج عن الرعية وكتب الى عمّاله أن يسوسوا الناس سياسة وتوعدهم انه ان هلك أحد في أرض واحد منهم جوعا يُقيد العامل والوالى به فساس الناس في تلك الأزمنة سياسة لم يعطب فيها أحد من الناس جوعا ونادى في الناس

بالخروج الى فضاء من الأرض فخرج جميع الناس من الرجال والنساء والصبيان
 فاستسقى الله فأغاثهم فأرسل السماء وعادت الأرض الى حسن الحال وجرت
 الأنهار وجاشت العيون ورجع الناس الى أحسن عادة الله عندهم في الرفاهة
 والرفاهة والخصب وبني فيروز مدينة الري وسمّاها رام فيروز وابنتي باذريجان
 مدينة اردبيل وسمّاها باذ فيروز ثم استعدّ وتأهب لغزو الترك وأخرج معه
 الموبذ وسائر وزرائه وحمل معه ابنته فيروز دخت وحمل معه خزان وأموالا
 كثيرة وخلف على ملكه رجلا من عظماء وزرائه يُسمى شوخر وتدعى
 مرتبته قارن وسار حتى جاوز المنارة التي كان بهرام بناها حدّا بينه وبين الترك
 وأخربها ووغل في أرضهم وملك الاتراك يومئذ أخشوان خاقان فأرسل ملك
 الترك الى فيروز يعلمه أنه قد تعدّى ويحذّره عاقبة الظلم فلم يحفل فيروز
 بذلك فجعل خاقان يُظهر كراهة للحرب ويدافع الى أن هبّا خندقا عمقه في
 الأرض عشرون ذراعا وعرضه عشرة أذرع وبعد ما بين طرفيه ثم غمّاه
 بأعواد ضعاف وألقى عليه قصبا وأخفاه بالتراب ثم خرج لمحاربة فيروز فواقعه
 ساعة ثم انهزم منه وطلبه فيروز في جنوده فسلك خاقان مسالك قد فهمها بين
 ظهرى ذلك الخندق وجاء فيروز على عمياء فتورّط هو وجنوده في ذلك
 الخندق وعطف عليه أخشوان وطراخته فقتلوه بالحجارة واحتوى أخشوان
 على معسكر فيروز وكل ما كان فيه من الأموال والحرم وأخذ الموبذ أسيرا
 وأخذ فيروز دخت ابنة فيروز ولحق الفلّ بشوخر فأعلموه بمصايب فيروز
 وجنوده فاستنهض شوخر الناس للطلب بثأر ملكهم فحفّ له جميع الناس من

الجنود وأهل البلاد فسار في جموع كثيرة حتى وغل في بلاد الترك وهاب
 اخشوان ملك الترك الاقدام على شوخر لكثرة جموعه وعدته فأرسل اليه
 يسأله المودة على أن يرد عليه الموبذ وفيروز دخت وكل أسير في يده
 وجميع ما أخذ من أموال فيروز وخزائنه وآلاته فأجابه شوخر الى ذلك
 وقبضه وانصرف الى بلاده وأرضه

(بلاس بن فيروز)

فلما بعد فيروز ابنه بلاس بن فيروز فملك أربع سنين ثم مات فجعل
 شوخر الملك من بعده لأخيه قباد بن فيروز

(ملك قباد بن فيروز)

قالوا وفي ملك قباد بن فيروز مات ربيعة بن نصر اللخمي ورجع
 الملك الى حمير

(ملك ذى نواس اليمن)

فوليهم ذو نواس واسمه زُرعة بن زيد بن كعب كهف الظلم ابن زيد
 ابن سهل بن عمرو بن قيس بن جشم بن وائل بن عبد شمس بن الغوث
 ابن جدار بن قطن بن عريب بن الرأش بن حمير بن سبأ بن يشجب بن
 يعرب بن قحطان وانما سمي ذا نواس لدؤابة كانت تنوس على رأسه قالوا
 وكان لدى نواس بأرض اليمن نار يعبدها هو وقومه وكان يخرج من تلك
 النار عنق تمتد فتبلغ مقدار ثلاثة فراسخ ثم ترجع الى مكانها ثم ان من كان
 باليمن من اليهود قالوا لدى نواس أيها الملك ان عبادتك هذه النار باطلة وان

أنت دِنتَ بديننا أطفأناها باذن الله لتعلم أنك على غرر من دينك فأجابهم الى الدخول في دينهم ان هم أطفئوها فلما خرجت تلك العنق أتوا بالتوراة ففتحوها وجعلوا يقرؤونها والنار تتأخر حتى انتهوا الى البيت الذي هي فيه فما زالوا يتلون التوراة حتى انطفأت قهود ذونواس ودعا أهل اليمن الى الدخول فيها فمن أبى قتله ثم سار الى مدينة نجران ليهود من فيها من النصارى وكان بها قوم على دين المسيح الذي لم يُبدّل فدعاهم الى ترك دينهم والدخول في اليهودية فأبوا فأمر بملكهم وكان اسمه عبد الله بن الثامر فضربت هامته بالسيف ثم أدخل في سور المدينة فضمّ عليه وخدّ للباقيين أخاديد فأحرقهم فيها فهم أصحاب الاخدود الذين ذكرهم الله عز اسمه في القرآن

(استيلاء الحبش على اليمن)

وأفلت دوس ذو ثعلبان فسار الى ملك الروم فأعلمه ما صنع ذو نواس بأهل دينه من قتل الاساقفة واحراق الانجيل وهدمه البيع فكتب الى النجاشي ملك الحبشة فبعث بأرياط في جنود عظيمة وركب البحر حتى خرج على ساحل عدن وسار اليه ذو نواس فحارب به فقتل ذو نواس ودخل أرياط صنعاء واسمها ذمار وإنما صنعاء كلمة حبشية أى وثيق حصين فبتلك سميت صنعاء فلما اطمان أرياط وقتل اليهود وضبط اليمن درت عليه الاموال فجعل يؤثر بها من يحب ففضب حاشية الحبشة من ذلك فأتوا أبا يكسوم أبرهة وكان أحد قادتهم فشكوا اليه الذي يصنع أرياط ويايعوه وانصرفت الحبشة فرقتين احداهما مع أرياط والاخرى مع أبرهة واصطفوا للحرب فدعاه أبرهة للبراز

فبرز اليه فدفع أرياط عليه حربته فوقع في وجه أبرهة فشرمته ولذلك سمي
الأشرم وضرب أبرهة أرياط بالسيف على مفرق رأسه فقتله وانحازت الحبشة
اليه فملكهم وأقره النجاشي عل سلطان اليمن فكث على ذلك أربعين عاما
و بنى بصنعاء بيعة لم ير الناس مثالا وآذن في جميع أرض اليمن أن تحجها
فاستفطمت العرب ذلك فدخل رجل من أهل تهامة ليلا فأحدث فيها فلما
أصبح القوم نظروا الى السوءة السوءة في الكنيسة فقال أبرهة من تظنونه
فعل هذا قالوا لم يفعله الا بغض من غضب للبيت الذي بمكة لما أمرت بحج
هذه البيعة فغضب أبرهة عند ذلك غضبا شديدا وتجهز للمسير الى مكة
ليهدم الكعبة فأرسل الى النجاشي فبعث اليه بفيل كالجليل الراسي يقال له محمود

(مسير الحبشة لهدم الكعبة)

فسار الى مكة فكان من أمره ما قد قصه الله في سورة الفيل . قالوا
ولما أهلك الله أبرهة خلفه في ملكه بأرض اليمن ابنه يكسوم بن أبرهة فكان
شرا من أبيه وأخبت سيرة فلبث على اليمن تسع عشرة سنة ثم مات فملك
من بعده أخوه مسروق وكان شرا من أخيه وأخبت سيرة

(غلبة سيف على اليمن)

فلما طال ذلك على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميري من
ولد ذى نواس حتى أتى قيصر وهو بانطاكية فشكى اليه ما هم فيه من السودان
وسأله أن ينصرهم وينفيهم عن أرضهم ويكون ملك اليمن له فقال له قيصر
أولئك هم على ديني وأنتم عبدة أوثان فلم أكن لا أنصركم عليهم فلما يتس منه

توجه إلى كسرى فقدم الحيرة على النعمان بن المنذر فشكى إليه أمره فقال له النعمان ما كان سبب اخراج جدنا ربيعة بن نصر اينا عن أرض اليمن واسكاننا بهذا المكان الا لهذا من الشأن فاقم فان لي وفادة في كل عام إلى الملك كسرى بن قباد وقد حان ذلك فاذا خرجت أخرجتك معي واستأذنت لك وتشفعت لك إليه فيما قصدت له ففعل واستأذن وتشفع فوجه كسرى بمحشر من كان في السجون وأمر عليهم رجلا منهم يقال له وهرز بن الكاجار وكان شيخا كبيرا قد أناف على المائة وكان من فرسان العجم وابطالها ومن أهل البيوتات والشرف وكان أخاف السبيل فخبسه كسرى فصار وهرز بأصحابه إلى الأبلّة فركب منها البحر ومعه سيف بن ذى يزن حتى خرجوا بساحل عدن وبلغ الخبر مسروقا فصار اليهم فلما التقوا وتواقفوا للحرب أسرع له وهرز بشابة فرماه فلم يخطئ بين عينيه وخرجت من قفاه وخر ميتا وانفض جيشه ودخل وهرز صنعاء وضبط اليمن وكتب إلى كسرى بالفتح فكتب إليه كسرى يأمره بقتل كل أسود باليمن وبتمليك سيف عليها وبالأقبال إليه ففعل وان بقايا من السودان قد كان سيف استبقاهم وضمهم إلى نفسه يجمزون بين يديه اذا ركب شدوا على سيف يوما وهم بين يديه في موكبه فضر به بجرابهم حتى قتلوه

(ملك فارس اليمن)

فرد كسرى وهرز إلى أرض اليمن وأمره أن لا يدع بها أسود ولا من ضربت فيه السودان الا قتله فأقام بها خمسة أحوال فلما أدركه الموت دعا

بقوسه ونشابه ثم قال اسندوني ثم تناول قوسه فرمى وقال أنظروا حيث وقعت
 نشأتي فابنوا لي هناك نائسا واجعلوني فيه فوقعت نشأته من وراء الكنيسة
 وسمى ذلك المكان الى اليوم مقبرة وهرز ثم وجه كسرى الى أرض اليمن
 بادان فلم يزل ملكا عليها الى أن قام الاسلام . قالوا وكان قباد عندما أفضى
 اليه الملك حدث السن من أبناء خمس عشرة سنة غير أنه كان حسن المعرفة
 ذكي الفؤاد رحيب الذراع بعيد الغور فولّى شوخر أمر المملكة فاستخفّ
 الناس بقباد وتهيأونوا به لاستيلاء شوخر على الأمر دونه فأغضى قباد على
 ذلك خمس سنين من ملكه ثم أنف من ذلك فكتب الى سابور الرازي
 من ولد مهران الأكبر وكان عامله على بابل وخطّرية أن يقدم عليه فيمن
 معه من الجنود فلما قدم أفشى اليه ما في نفسه وأمره بقتل شوخر ففدا سابور
 على قباد فوجد شوخر عنده جالسا فمشى نحو قباد مجاوزا لشوخر فلم يابه له
 شوخر حتى أوهقه سابور فوقع الوهق في عنقه ثم اجتّره حتى أخرجته من
 المجلس فأثقله حديدا واستودعه السجن ثم أمر به قباد فقتل

(المذهب المزدكي)

فلما مضى للملك قباد عشر سنين أتاه رجل من أهل اصطخر يقال له
 مزدك فدعاه الى دين المزدكية فقال قباد اليها فغضبت الفرس من ذلك غضبا
 شديدا وتهيأوا بقتل قباد فاعتذر اليهم فلم يقبلوا عذره وخلعوه من الملك وحبسوه
 في محبسى ووكلوا به وملكوا عليهم جاماسف بن فيروز أخا قباد وان أخت
 قباد اندست لقباد حتى أخرجته بحيلة فكث أيام استخفيا الى أن أمن الطلب
 (• - الاخبار)

ثم خرج في خمس نفر من ثقاته فيهم زرمهر بن شوخر نحو الهياطة يستنصر ملكها فأخذ طريق الأهواز فأنتهى إلى أرمشير ثم صار إلى قرية في حد الأهواز وأصبهان فنزلها متسكرا وكان نزوله عند دهقانها فنظر قباد إلى بنت إصاحب منزله ذات جمال ف وقعت بقلبه فقال لزرمهر بن شوخراني قد هويت هذه الجارية و وقعت بقلبي فانطلق إلى أبيها فأخطبها على ففعل فأرسل قباد إلى الجارية بنجته وجعل ذلك مهرها فهيئت وأدخلت عليه فخلا بها قباد وسر بها سرورا شديدا لما ألفاها ذات عقل وجمال وأدب وهيئة فأقام عندها ثلاثا ثم أمرها بحفظ نفسها وخرج سائرا حتى ورد على صاحب الهياطة فشكى إليه صنيع رعيته به وسأله أن يمدّه بجيش ليسترجع ملكه فأجابه إلى ذلك وشرط عليهم أن يسلم له حيز الصفغانيان ووجه معه ثلاثين ألف رجل فأقبل بهم يريد أخاه فأخذ على طريقه الذي شخص فيه بديثا حتى نزل القرية التي تزوج فيها بتلك المرأة فنزل على أبيها وسأله عنها فأخبره أنها ولدت غلاما فأمر بإدخالها عليه مع ابنها فدخلت ومعها الغلام فاتبهج به ورآه كأجل ما يكون من الغلمان فسماه كسرى وهو كسرى أنوشروان الذي تولى الملك من بعده فقال لزرمهر اخرج فسل لي عن هذا الرجل أبي الجارية هل له قديم شرف فسأل عنه فأخبر أنهم من ولد فريدون الملك ففرح بذلك قباد وأمر بالجارية وابنها فحملا معه ولما انتهى إلى مدينة طيسفون تلاومت المعجم فيما بينها وقالوا إن قباد تنصل إلينا من شأن مزدك ورجع عما كنا اتهمناه فلم تقبل ذلك منه وظلمناه حقه وأسأنا إليه فخرجوا إليه جميعا وفيهم جاماسف

أخوه الذي ملكوه فاعتذروا اليه فقبل ذلك منهم وصفح عن أخيه جاماسف
وعنهم وأقبل فدخل قصر المملكة ووصل الجيش الذي أقبل بهم وأجازهم
وأحسن اليهم وردهم الى ملكهم وأمر بالجارية فأنزلت في أفضل مساكنه
ثم إن قباد تجهز وسار في جنوده غازيا بلاد الروم فافتتح مدينة آمد وميافارقين
وسبى أهلها وأمر فبنيت لهم مدينة فيما بين فارس والأهواز فأسكنهم فيها وسماها
ابرقباد وهي استان الأعلى وجعل لها أربعة طساسيج . طسوج الانبار وكان
منها هيت وعانات فضمها يزيد بن معاوية حين ملك الى الجزيرة . وطسوج
بادوريات . وطسوج مسكن . وكور كورة بهتقباد الأوسط وبهتقباد الأسفل وضم
اليها ثمانية طساسيج لكل كورة أربعة طساسيج وهي الاستانات وشق كورة
أصبهان كورتين شق جي وشق التيمرة وكان لقباد عدة من الأولاد لم يكن
فيهم آثر عنده من كسرى لاجتماع الشرف فيه غير أنه كانت بهظنة أي سيئ
الظن فلم يكن قباد يحمده عليها فقال له ذات يوم يا بني قد كلمت فيك الخصال
التي هي جماع أمور الملك غير أن بك ظنة وإن الظنة في غير موضعها داعية
الأوزار ومحبطة الاعمال فاعتذر كسرى الى أبيه مما وقع في قلبه من ذلك
واستصلح نفسه عنده

(ملك كسرى أنوشروان)

فلما أتى الملك قباد ثلاث وأربعون سنة حضره الموت ففوض الأمر الى
ابنه كسرى وهو أنوشروان فملك بعد أبيه وأمر بطلب مزدك بن مازيار الذي
زين للناس ركوب المحارم فخرّض بذلك السفلى على ارتكاب السيئات وسهل

للغصبة الغصب والظلمة الظلم فطُلب حتى وُجد فأمر بقتله وصلابه وقتل من دخل في ملته ثم قسم كسرى أنوشروان المملكة أربعة أرباع ولى كل ربع رجلاً من ثقاته فأحد الأرباع خراسان وسجستان وكرمان والثاني أصبهان وقم والجبل وأذربيجان وأرمينية والثالث فارس والاهواز إلى البحرين والرابع العراق إلى حد مملكة الروم وبلغ بكل رجل من هؤلاء الأربعة غاية الشرف والكرامة ووجه الجيوش إلى بلاد الهياطلة وافتتح بخارستان وزابلستان وكابلستان والصغانيان وإن ملك الترك سنجبُو خاقان جمع إليه أهل المملكة واستعدّ وسار نحو أرض خراسان حتى غلب على الشاش وفرغانة وسمرقند وكشّ ونسّف وانتهى إلى بخارى وبلغ ذلك كسرى فعقد لابنه هرمز الذي ملك من بعده على جيش كثيف ووجهه لمحاربة خاقان التركي فسار حتى إذا قرب منه خلى ما كان غلب عليه ولحق ببلاده فكتب كسرى إلى ابنه هرمز بالانصراف

(حرب فارس والروم في عهد كسرى)

قالوا وإن خالد بن جبلة الغساني غزا النعمان بن المنذر وهو المنذر الأخير وكان المنذر بن النعمانين فالمنذر الأول هو الذي قام بأمر بهرام جور والمنذر الثاني الذي كان في زمان كسرى أنوشروان وكانوا عمال كسرى على تخوم أرض العرب فقتل من أصحاب المنذر مقتلة عظيمة واستاق ابل المنذر وخيله فكتب المنذر إلى كسرى أنوشروان يُخبره بما ارتكب منه خالد بن جبلة فكتب كسرى إلى قيصر أن يأمر خالدًا بإقادة المنذر وما قتل من أصحابه وردّ ما أخذ من أمواله فلم يحفل قيصر بكتابه فتجهز كسرى لمحاربتة فسار حتى

وغل في بلاد الجزيرة وكانت اذ ذلك في يد الروم فاحتوى على مدينة دارا
 ومدينة الرها ومدينة قنسرين ومدينة منبج ومدينة حلب حتى انتهى الى
 انطاكية فأخذها وكانت أعظم مدينة بالشام والجزيرة وسبى أهلها أهل
 انطاكية وحملهم الى العراق وأمر فبنيت لهم مدينة الى جانب طيسفون على
 بناء مدينة انطاكية بأزقتها وشوارعها ودورها لا يُنَادِرُ منها شيئا وسماها
 زبرخسرو وهي المدينة التي الى جانب المدائن تسمى الرومية ثم سُرحوا
 فيها فانطلق كل انسان منها الى مثل داره بمدينة انطاكية وولى القيام
 بأمرهم رجلا من نصارى الأهواز يقال له يزدفنا وان قيصر كتب الى
 كسرى يسأله الصلح ورد ما احتوى عليه من هذه المدن على ان يؤدى
 اليه ضريبة موظفة عليه في كل عام وكره كسرى البغي فأجابه الى ما بذل
 ووكّل بقبضه وتوجيهه اليه في كل عام شرّوين اللستبائى فأقام مع ملك
 الروم هناك ومعه خربّين مملوكه المشهور الخبر وكان نجدا فارسا بطالا . ولما
 قفل كسرى منصرفا من أرض الشام أصابه مرض شديد فمال الى مدينة
 خص فأقام بها في جنوده الى أن تماثل فكان قيصر يحمل اليه كفاية عسكره
 الى ان شخص . قالوا وكان لكسرى أنوشروان ابن يسمى أنوش زاذ
 كانت أمه نصرانية ذات جمال وكان كسرى معجبا بها وأرادها على ترك
 النصرانية والدخول في المجوسية فأبت فورث ذلك منها ابنها أنوش زاذ
 وخالف أباه في الديانة فغضب عليه وأمر بحبسه في مدينة جنديسابور فلما غزا
 كسرى بلاد الشام وبلغ أنوش زاذ مرضه ومقامه بخص استغوى أهل

الحبس وبثّ رساله في نصارى جنديسابور وسائر كور الالهواز وكسر السجن
 وخرج واجتمع اليه أولئك النصارى فطرد عمال أبيه عن كور الالهواز
 واحتوى على الاموال وأشاع بموت أبيه وتهيباً للمسير نحو العراق وكتب
 خليفته بمدينة طيسفون يُعلمه خبر ابنه وما خرج اليه فكتب اليه كسرى
 وجه اليه الجنود واكش في حربه واحتل لأخذه فان يأت القضاء عليه فيقتل
 فأهون دم وأضيع نفس واللييب يعلم ان الدنيا لا يخلص صفوها ولا يدوم
 عفوها ولو كان شئ يسلم من شائبة أذن لكان الغيث الذي يحيى الارض
 الميتة وكان النهار الذي يأتى الناس رقوداً فيبعثهم وُعْمياً فيضىء لهم فكم
 مع ذلك من متأذ بالغيث ومتداع عليه من البنيان وكم في سيوله وبروقه من
 هالك وكم في هواجر النهار من ضرر وفساد فاستأصل الثؤلؤل الذى نجم
 بحدك ولا يهولئك كثرة القوم فليست لهم شوكة تبقى وكيف تبقى النصارى
 وفي دينهم ان الرجل منهم ان لطم خدّه الايسر أمكن من الايمن فان
 استسلم أنوش زاذ وأصحابه فرّد من كان منهم في المحابس الى محابسهم ولا
 تزدهم على ما كانوا فيه من ضيق وتقص المطعم والملبس ومن كان منهم من
 الاساورة فاضرب عنقه ولا يكن منك عليهم رافة ومن كان منهم من سيفل
 الناس وأوغادهم فخلّ سبيلهم ولا تعرض لهم وقد فهمت ما ذكرت مما كان
 منك في نكال القوم الذين أظهروا شتم أنوش زاذ وذكروا أمه فاعلم ان
 أولئك ذوو أحقاد كامنة وعداوة باطنة فجعلوا شتم أنوش زاذ ذريعةً لثمتنا
 ومرةً الى ذكرنا وقد وفقت في تأديبك ايهم فلا ترخص لاحد في مثل

مقاتلهم والسلام . ثم ان كسرى عوفى من مرضه فانصرف فى جنوده الى دار ملكه وقد أخذ ابنه أنوش زاذ أسيرا وانتهى فيه الى ما أمر به .

(الخراج فى عهد كسرى)

قالوا وكانت ملوك الاعاجم يضعون على غلات الارضين شيئاً معروفاً من المقاسمات النصف والثلث والرابع والخمس الى العشر على قدر قرب الضياع من المدن وعلى حسب الزكاء والرئع فهم قباذ باسقاط ذلك ووضع الخراج فمات قبل ان يستتم المساحة فأمر كسرى أنوشروان باستتمامها فلما فرغ منها أمر الكتّاب ففصلوها ووضعوا عليها الوضائع ووظف الجزية على أربع طبقات وأسقطها عن أهل البيوتات والمرازبة والاساورة والكتاب ومن كان فى خدمة الملك ولم يلزم أحداً لم يأت له عشرون سنة أوجاز الخمسين وكتب تلك الوضائع فى ثلاث نسخ نسخة خلدها ديوانه ونسخة بعث بها الى ديوان الخراج ونسخة دفعت الى القضاة فى الكور ليمنعوا العمال من اعتداء ما فى الدستور الذى عندهم وأمر أن يُجنى الخراج فى ثلاثة أنجم وسمى الدار التى يجنى فيها ذلك سراى سمره وتفسيره دار الثلاثة الأنجم وهى التى تعرف بالشمرج اليوم وقد قيل فى تفسير ذلك غير هذا أى انما هى دار الحساب والحساب شمره وهذا كلام معروف فى لغة فارس الى اليوم يسمون الخراج الشمره بالشين على معنى الحساب ورفع خراج الرؤوس عن الفقراء والزمى وكذلك خراج الغلات ورفعها عما نالته الآفة على قدر ما أصاب منها ووكّل بكل ذلك قوما ثقات ذوى عدالة يُنفذونه ويحملون الناس منه على النصف

ولم يكن في ملوك العجم ملك كان أجمع لفنون الادب والحكم ولا أطلب
للعلم منه وكان يقرب أهل الآداب والحكمة ويعرف لهم فضاهم وكان أكبر
علماء عصره بُرزجمهر بن البختكان وكان من حكماء العجم وعقلاءهم وكان
كسرى يفضل على وزرائه وعلماء دهره وكان كسرى ولي رجلا من
الكتاب نبيها معروف بالعقل والكفاية يقال له بابك بن النهر وان ديوان الجند
فقال لكسرى أيها الملك انك قد قلدتني أمرا من صلاحه ان تحتمل لي
بعض الغلظة في الأمور عرض الجند في كل أربعة أشهر وأخذ كل طبقة
بكمال آلتها ومحاسبة المؤذنين على ما يأخذون على تأديب الرجال بالروسية
والرمي والنظر في مبالغتهم في ذلك وتقصيرهم فان ذلك ذريعة الى اجراء
السياسة مجاريها فقال كسرى ما الجباب بما قال بأخطى من الجيب لاشتراكها
في فضله وانفراد الجيب بعد الراحة فحقق مقاتلك وأمر فبنيت له في موضع
العرض مسطبة وبسط له عليها الفرش الفاخرة ثم جلس ونادى مناديه لا يبقين
أحد من المقاتلة الا حضر للعرض فاجتمعوا ولم ير كسرى فيهم فأمرهم فانصرفوا
وفعل ذلك في اليوم الثاني ولم ير كسرى فانصرفوا فنادى في اليوم الثالث أيها
الناس لا يتخلفن من المقاتلة أحد ولا من أكرم بالتاج والسرير فانه عرض
لارخصة فيه ولا محابة وبلغ كسرى ذلك فتسلح سلاحه ثم ركب فاعترض
على بابك وكان الذي يؤخذ به الفارس بجفافا ودرعا وجوشنا وبيضة
ومغفرا وساعدين وساقين ورمحا وترسا وجُرزا يلزمه منطقته وطبرزينا وعمودا
وجعبه فيها قوسان وبوترهما وثلاثين نشابة ووترين ملفوفين يعاقهما الفارس

في مغفره ظهرياً فاعترض كسرى على بابك بسلاح تلمّ خلا الوترين
 اللذين يُستظهر بهما فلم يُجز بابك على اسمه فذكر كسرى الوترين فعلقهما
 في مغفره واعترض على بابك فأجاز على اسمه وقال لسيد الكُماة أربعة آلاف
 درهم ودرهم وكان أكثر من له من الرزق أربعة آلاف درهم ففضل
 كسرى بدرهم فلما قام بابك من مجلسه دخل على كسرى فقال أيها الملك
 لا تلمني على ما كان من اغلاظي فما أردتُ به إلا الدُّربة المعدلة والانصاف
 وحسَمَ المحاباة قال كسرى ما غلظ علينا أحد فيما يريد به إقامة أودنا أو صلاح
 ملكنا إلا احتملنا له غلظته كاحتمال الرجل شرب السواء الكريه لما يرجو
 من منفعتة . قالوا وكانت كسكر كورة صغيرة فزاد كسرى أنوشروان فيها
 من كورة بهر سير وكورة هرْمَز دخره وكورة ميسان فوسّعها بذلك وجعلها
 طسّوجين طسّوج جنديسابور وطسّوج الزندورد وكمور بجوخي كورة
 خسروماه وجعل لها ستة طساسيج . طسّوج طيسفون وهي المدائن وطيسفون
 قرية على دجلة أسفل من قباب حميد بثلاثة فراسخ يقال لها بالنبطية طيسفونج .
 وطسّوج جازر . وطسّوج كلواذي . وطسّوج نهر بوق . وطسّوج جلول .
 وطسّوج نهر الملك

(مقارنة التاريخ النبوي بتاريخ العجم)

وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر ملك أنوشروان فأقام بمكة الى
 أن بُعث بعد أربعين سنة منها سبع سنين بقيت من ملك أنوشروان وتسع عشرة
 سنة ملكها هرمز بن كسرى أنوشروان وبعث وقد مضى من ملك كسرى

ابرويز ستّ عشرة سنة فأقام بمكة في نبوّته صلى الله عليه وسلم وعلى عترته
ثلاث عشرة سنة وهاجر الى المدينة وقدمضى من ملك ابرويز تسع وعشرون
سنة فأقام بالمدينة عشر سنين وتوفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما بعد
موت كسرى ابرويز فكان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة
وزعموا أن بنات آوى ظهرت بالعراق في آخر ملك أنوشروان وكانت
سقطت اليها من بلاد الاتراك واستفزع الناس ذلك وتعجبوا منه وبلغ ذلك
كسرى فقال للموبد قد كثير تعجبي من هذه السباع التي قد غزت أرضنا
فقال الموبد بلغني أيها الملك فيما يؤثر من أخبار الأولين أن كل أرض يغلب
جورؤها عدلها تغزوها السباع فلما سمع ذلك ارتاب بسيرة عمّاله فوجه ثلاثة
عشر رجلا من أمثائه الذين لا يكتمون شيئا الى آفاق مملكته متكرين
لا يعرفون فأنصرفوا فأخبروه عن سوء سيرة عمّاله ما غمه فأرسل الى تسعين
رجلا منهم ذكروا بسوء السيرة فضرب أعناقهم فضبط عمّاله أنفسهم ولزموا
عدل السيرة

(ملك هرمزد)

وكان لكسرى أنوشروان عدة بنين وكانوا جميعا أولاد سوقة واماء
الآ ابنه هرمزد بن كسرى الذي ملك بعده فان أمه كانت ابنة خاقان الترك
وأمّ أمه خاتون الملكة فعزم أبوه على تملكه من بعده فوضع عليه عيونا
يأتونه بأخباره فكان يأتيه عنه ما يحبه فكتب له عهدا واستودعه رئيس
نسا كهم في دينهم فلما تمّ للملكه ثمان وأربعون سنة مات فلما مات أنوشروان

ملك ابنه هرمزد بن كسرى فقال يوم ملك الحليم عماد الملك والعقل عماد الدين والرفق ملاك الامر . والفطنة ملاك الفكرة . أيها الناس ان الله خصنا بالملك وعمكم بالعبودية وكرم ملكتنا فأعتقكم بها وأعزنا وأعزكم بعزنا وقلدنا الحكومة فيكم وألزمكم الاتقياد لامرنا وقد أصبحتم فرقتين احداهما أهل قوة والاخرى أهل ضعة فلا يستأكلن منكم قوى ضعيفا ولا يغشن ضعيف قويا ولا تتوقن نفس أحد من الغلبة الى ضيم أحد من أهل الضعة فان في ذلك وهيا لملكنا ولا يرومن أهل من أهل الضعة الاخذ بما أخذ الغلبة فان في ذلك انتشار ما نحب نظامه وزوال ما نحاول قوامه وفوت ما نحاول دركه واعلموا أيها الناس ان من سوسنا العطف على الاقوياء من الغلبة ورفع مراتبهم والرحمة على الضعفاء والذب عنهم وحسم الاقوياء عن ظلمهم والتعدي عليهم واعلموا أيها الناس أن حاجتكم الينا في نفس حاجتنا اليكم وحاجتنا اليكم هي مسد لحاجتكم الينا وان الثقل مما أنتم منزلوه بنا من أموركم عندنا خفيف والخفيف مما نحن مجشموكم ثقیل لعجزكم عما نحن مضطاعون به واضطاعنا لما أنتم عنه عاجزون وانما تحمدون حسن ملكتنا اياكم وفضل سيرتنا فيكم اذا حسمت أنفسكم عما نهيناكم عنه ولزمت ما أمرناكم به . أيها الناس مملوا بين الأمور المتشابهات . ولا تسموا النك رياء . ولا الرياء مراقبة . ولا الشرارة شجاعة . ولا الظالم حزما . ولا رحمة الله تقمة . ولا مخوف الفوت هويئا . ولا البر بالقربى ملقا . ولا العقوب موجدة . ولا الشك استبراء . ولا الانصاف ضعفا . ولا الكرم معجزة . ولا التبرم عادة . ولا الاخذ

بالفضل ذلاً . ولا الأدب عقلاً . ولا العاية غفلة . ولا الغدر ضرورة .
 ولا النزاهة تضيقاً . ولا التصنع عفاً . ولا الورع رهبةً . ولا الحذر جبناً .
 ولا الشره اجتهداً . ولا الجناية غناً . ولا القصد تقتيراً . ولا البخل اقتصاداً .
 ولا السرف توسعاً . ولا السخاء سرفاً . ولا الصلف بُعدَ همة . ولا النبل
 صلفاً . ولا البذخ تجلداً . ولا الحرمان استحقاقاً . ولا رفع الاندال صنيعاً .
 ولا المجون ظرفاً . ولا التخلف تثبّثاً . ولا الثبّت بلادةً . ولا النيمة وسيلةً .
 ولا السعاية دركاً . ولا اللين ضعفًا . ولا الفحش انتصافاً . ولا المذر بلاغةً .
 ولا البلاغة تفقيهاً . ولا الميل في هوى الأشرار سُكراً . ولا المداهنة مؤاناةً .
 ولا الاعانة على الظلم حفاظاً . ولا الزهو مروءةً . ولا اللهو فُكاهةً . ولا
 الحيف استقصاءً . ولا الاستطالة عزاً . ولا حسن الظنّ تفريطاً . ولا إيطاء
 العشوة نصيحةً . ولا الغشّ كَيْساً . ولا الرياء تعطفًا . ولا التواني تُؤدةً .
 ولا الحياء مهابةً . ولا السفه صرامةً . ولا الدغل استقامةً . ولا البغي استعاذةً .
 ولا الحسد شفاءً . ولا العجب كمالاً . ولا الفتك حميةً . ولا الحقد مكرُمةً .
 ولا الضيق احتياطاً . ولا التعسف انكماشاً . ولا الترقّ تيقظاً . ولا الأدب
 حُرقةً . ولا المعاتبة مفاودةً . ولا بُعد القدر سُموًا . ولا مجارى التقادير
 أسباب الذنوب . ولا مالا يكون كائناً . ولا كائناً ما لا يكون . اجتنبوا
 المردولات من هذه الأمور المتشابهات وثابروا على ما تحفظون به عندنا فان
 وقوفكم عند أمرنا منجاة لكم من سخطنا وتنكبكم معصيتنا سلامة لكم
 من عقابنا فأما العدل الذى نحن عليه مقتصرون وبه نصلح وتصلحون فأنتم

فيه عندنا مُستوون ستعرفون ذلك اذا قمنا أهل القوة عن أهل الضعف وتولينا بأنفسنا أمر المضطهدين الملهوفين وأخضعنا أهل الضعة لأهل العلى بانزالنا اياهم منازلهم ورددنا من رام من أهل الضعة مرتبة لا يستوجبها الا المستحقون منهم الحباء والشرف لنجدة توجد عنده أو بلاء حسن يظهر منه . واعلموا أيها الناس أنا فارقون بين سوطنا وسيفنا ومستعملوهم بثبت وحسن روية فمن غمط نعمتنا وخالف أمرنا وحاول ما نهيناه عنه فانا لانكاد نصالح رعايانا ونضبط أمورنا الا بثنكيل من خالف أمرنا وتعدى سيرتنا وسعى في فساد سلطاننا ولا يطمعن أحد في رخصة منا ولا يرجون هواده عندنا فانا غير مداهنين في حق الله الذي قلدنا فوطنوا أنفسكم على احدى خلتين ما استقامة بما تصلحون واما مخافة على ماتتفنون فان الصلاح حجتان ما معتدان لكم عندنا في تدبير ملكنا وضبطنا سلطاننا فلا تستصغروا وعيد وتهديدنا ولا تحسبوا ان فعلنا يقصر عن قولنا وانما احببنا ان نعلمكم رأينا في اجتناب الرخص والمحابة وحرصنا على الاعتذار قبل الايقاع والاخذ بقصد السيرة والعدل في الرعية واختيار طاعتكم التي بها تكون ألفتكم واستقامتكم فثقوا بما بدأنا به من وعد وخافوا ما أظهرنا من وعيد ونحن نسأل الله أن يعصمكم من استدراج الشيطان وضلاله وان يسددكم لما يقرب من طاعته وبلوغ مرضاته والسلام عليكم . فلما سمع الناس ذلك تباشر به الضعفاء وأهل الضعة وفت ذلك في أعضاء العلية وساءهم فتنكبوا ما كانوا فيه من الاستطالة على الضعفاء والقهر لأهل الضعة . وكان هرمزد ملكا متحريا لحسن السيرة مثابرا على

استصلاح الرعية رحيمًا بالضعفاء شديدًا على الأقوياء وبلغ من عدله وتحرّيه الحقّ انه كان يسير في كل عام الى أرض الماهين فيصيف بها وكان يأمر عند مسيره اليها مناديه فينادي في عسكره أن يتحاموا الحروب ويتحاموا الاضرار بالدهاقين ويوكل بتعهد ذلك ومعاقبة من تعدّى أمره فيه رجلاً من ثقاته . وكان ابنه كسرى الذي ملك من بعده ويسمى أبرويز معه في مسيره فعار ذات يوم مركب من مرا كبه فوقع في زرع على طريقه فرقع فيه وأفسد فأخذ صاحب الزرع ذلك المركب فدفعه الى الموكل بذلك الامر فلم يمكنه معاقبة كسرى فرقى أمره الى أبيه فأمر أن يُجَدَّع أذن الفرس ويُحَذَف ذنبه ويغرّم ابنه مقدار مائة ضعف مما أفسد الفرس من ذلك الزرع فخرج الموكل بذلك من عند الملك ليُنْفِذ أمر الملك فوجه كسرى رهطاً من المرازبة والاشراف الى الموكل بذلك ليسأله التغييب عن ذلك ويدفع الف ضعف مما أفسد مركبه لما في جدّع اذن الفرس وتبتير ذنبه من الطيرة فلم يجبه الموكل الى ذلك وأمر بالمركب فجُدّعت أذناه وبُتِرَ ذنبه وغرّم كسرى ما أصاب صاحب الزرع كنحو ما كان يغرّم سائر الناس فلم يكن للملك هرمزد بن كسرى همّة ولا نهمة الا استصلاح الضعفاء وانصافهم من الأقوياء فاستوى في ملكه القوى والضعيف . وكان هرمزد منصوراً مظفراً لا يروم تناول شيء الا ناله لم يُهزَم له جيش قط وكان أكثر دهره غائباً عن المدائن اما بالسواد متشتتاً واما بالماء متصيفاً فلما كانت سنة احدى عشرة من ملكه حذق به الأعداء من كل وجه فاكتنفوه اكتناف الوتر سيقى القوس اما

من ناحية المشرق فان شاهانشاه الترك أقبل حتى صار الى هراة وطرده عمال
هرمزد وأما من قبل المغرب فان ملك الروم أقبل حتى شارف نصيبين ليسترد
آمد وميًا فارقين ودارا ونصيبين . وأما من قبل أرمينية فان ملك الخزر أقبل
حتى وغل في أذربيجان فبث الغارات فيها فلما انتهى ذلك الى هرمزد بدأ
بقصر فردّ عليه المدن التي كان أبوه اغتصبه أيّاها وسأله الصلح والموادعة
فأجابه قيصر الى ذلك فانصرف ثم كتب الى عماله بأرمينية وأذربيجان
فاجتمعوا وصمدوا صمدًا صاحب الخزر حتى نفوه عن أرضه . فلما فرغ من
ذلك كله صرف همه الى صاحب الترك وكان أشدّ الاعداء عليه فكتب
الى بهرام بن بهرام جُشنس عامله على ثغر أذربيجان وأرمينية وهو الملقّب
ببهرام شو بين يأمره بالقدوم عليه فما لبث أن قدم فأذن له فدخل عليه فرفع
مجلسه وأظهر كرامته وخلا به وأخبره بالأمر الذي أراده له من التوجّه الى
شاهانشاه الترك فسارع بهرام الى طاعته واتباع أمره فأمر هرمزد ان يُسلط
بهرام على بيوت الأموال والسلاح وأن يستلم اليه ديوان الجند ليختار من
أحبّ على عينه فأحضر بهرام الديوان وجمع اليه المرازبة والاشراف فانتخب
اثني عشر ألف رجل من الفرسان ليس فيهم الا من أناف الاربعين وبلغ
ذلك الملك فقال له لم لم تنتخب الا هذا المقدار وانما تريد أن تسير بهم الى
ثلثمائة ألف رجل فقال بهرام ألم تعلم أيها الملك أن قابوس حين أسر فخبس في
حصن ماسفري انما سار اليه رستم في اثني عشر الفا فاستنقذه من أيدي مائتي
ألف وان اسفندياد انما سار الى أرجاسف ليطلب منه الوتر الذي كان له عنده

في اثني عشر الفا . وان كيخسرو انما أرسل جودرز ليطلب بدم أبيه سياوش
 في اثني عشر الفا فظهر على ثلثمائة الف فأبي جيش لا يقل باثني عشر الفا لا يقل
 بشيء أبدا . فلما فصل بهرام بالجنود من المدائن ودّعه الملك وقل له اياك
 والبغي فان البغي مصرعه بصاحبه وعليك بالوفاء فان فيه نجاة لمحاوله واياك
 أن تسير الاعلى تعبئة الحرب فاذا نزلت فاحرس عسكرك بنفسك وامنع جنودك
 من العيث والفساد واياك أن تعزم حتى تروى ولا تروى حتى تستشير أهل
 النصيح والامانة . ثم انصرف الملك ومضى بهرام فأخذ على طريق الالهواز
 وبلغ ملك الترك قدوم الجيش لمحاربتة وقد كان الملك هرمزد وجه الى ملك
 الترك رجلا من مرزبته يسمى هرمز جرابزين وكان من أدهى العجم وأشدّهم
 خلافة وكيدا وأمره أن يعامه انه رسول الملك أرسله لمصالحته واعطائه الرضى
 فأناه هرمزد جرابزين فاستعمل فيها الخديعة وكفه بها عن الفساد في أرض
 خراسان فلما علم هرمزدان بهرام قد دنامن هراة خرج ليلا فلاحق بهرام . ولما
 بلغ ملك الاتراك ورود الجيش قال لصاحب خرسه انطلق فأتني بهذا الفارسي
 الخداع فطلبوه فوجدوه قد هرب في جوف الليل . وخرج خاقان من مدينة
 هراة للقاء بهرام وعلى مقدّمته أربعون ألفا فلما التقوا أرسل الى بهرام ان
 انضم الي حتى أملكك على ايران شهر وأجعلك أخص الناس بي فأرسل
 اليه بهرام كيف تملكني على ايران شهر وانما ملكها لاهل بيت فينا لا يجوز
 أن يعدوهم الى غيرهم ولكن هلم الى الحرب فغضب ملك الترك من ذلك
 وأمر فضرب بوق الحرب وتزاحف الفريقان وملك الترك على سرير من

ذهب فوق راية يُشرف على الفريقين فلما استحررت الحرب قصد بهرام
للتل في مائة فارس من أبطال جنوده فانفض عنه من حول ملك الترك فلما رأى
الملك ذلك دعا بمركبته واستبان لبهرام فرماه بنشابة نفذته فخر صريعاً وانهزم
الأتراك وقد كان شاهانشاه خلف على ملكه ابنه يلتكين فلما أتاها مقتل
أبيه استجاش الترك وأقبل في دهم داهم من أمم الأتراك وانضم إليه الفل
و بلغ بهرام الخبر فأرسل في أقطار خراسان فاجتمع إليه بشر كثير فسار مستقبلاً
ليلتكين فالتقوا على شاطئ النهر الأعظم مما يلي الترمذ وهاب كل واحد
منهما صاحبه وجرت بينهما السفراء في الصلح وأرسل بهرام إليه انكم معاشر
الخاقانية قتلتم ملكنا فيروز فأهدرنا دمه وقبلنا الصلح منكم فكذلك فافعلوا
بنا فأجابه يلتكين الى الصلح على حكم هرمزد الملك وأقاما بمكانهما فكتب
بهرام الى هرمزد بذلك فكتب اليه هرمزد ان توجه الى يلتكين مكرماً
في خاصة طراختته وعظماء جنوده فتوجه يلتكين الى العراق فلما دنا من
المدائن خرج هرمزد متلقياً له وترجل كل واحد منهما لصاحبه وأظهر هرمزد
اكرام يلتكين وأنزله معه في قصره وأخذ كل واحد منهما عهداً وكيداً على
صاحبه بالمسألة ما بقيا ثم أذن له فانصرف الى مملكته . ولما وغل في خراسان
استقبله بهرام في جنوده وسار معه الى حد مملكته وانصرف بهرام حتى أتى
مدينة بلخ فنزلها ووجه الى الملك هرمزد ما كان غنمه من عسكر شاهانشاه
ووجه اليه بذلك السرير الذهب فبلغ ماوجه اليه وقر ثلثمائة بعير . فلما وصلت
الغنائم الى هرمزد وعرضت عليه وحوله وزراؤه وعظماء مرزبته قال يزدان
(٦ - الاخبار)

جُشنس رئيس وزرائه أيها الملك ما كان أعظم المائدة التي منها هذه اللقمة فوقعت هذه الكلمة في قلب هرمزد وارتاب بأمانة بهرام وظن أن الأمر كما قال يزدان جشنس فانظر كم داهية دهياء وحروب وبلاء جرّت هذه الكلمة ودخل هرمزد منها الغضب والغيط على بهرام ما أنساه حسن بلائه فأرسل إلى بهرام بجامعة ومنطق امرأة ومغزل وكتب إليه انه قد صبح عندي انك لم تبعث إلى من تلك الغنائم الا قليلا من كثير والذنب لي في تشريفي اياك وقد بعثت اليك بجامعة فضعها في عنقك ومنطق امرأة فتنطق بها ومغزل فليكن في يدك فان الغدر والكفران من أخلاق النساء فلما وصل ذلك إلى بهرام كظم غيظه وعلم أنه إنما أتى من الوشاة فوضع الجامعة في عنقه وصير المنطق في وسطه وأخذ المغزل في يده ثم أذن لعظماء أصحابه فدخلوا عليه ثم أقرأهم كتاب الملك إليه فلما سمع أصحابه ذلك يتسوا من خير الملك وعلموا انه لم يشكر لهم حسن بلائهم فقالوا نقول كما قال أولو خوارجنالاً أردشير ملك ولا يزدان وزير ونحن أيضا نقول لا هرمزد ملك ولا يزدان جشنس وزير وكانت قصة أولى خوارجهم ان أردشير بابكان كان صار إليه بعض الحواريين فاستجاب له ودخل في دين المسيح صلى الله عليه وسلم وكان في عصره وشايعه على ذلك وزيره يزدان فغضب العجم لذلك وهموا بخلع أردشير حتى أظهر لهم الرجوع عما هم به من ذلك فأقروه على الملك فقال أصحاب بهرام لبهرام ان أنت تابعتنا على خلع هرمزد والخروج عليه والا خلعناك ورأسنا غيرك فلما رأى اجتماعهم على ذلك أجابهم على أسف وهم وكراهية وخرج

هرمز جرابزين ويزدك الكاتب من معسكر بهرام ليلا حتى قدما المدائن وأخبرا هرمزد الخبر . ثم ان بهرام سار في جنوده نحو العراق لمحاربة هرمزد الملك حتى ورد مدينة الري فأقام واتخذ سكة للدراهم بتمثال كسرى أبرويز ابن الملك وصورته واسمه وضرب عليه عشرة آلاف درهم وأمر بالدراهم فحملت سرا حتى ألقيت بالمدائن ففشت في أيدي الناس وبلغ ذلك الملك هرمزد فلم يشك أن ابنه كسرى يحاول الملك وانه الذي أمر بضرب تلك الدراهم وذلك الذي أراد بهرام بما فعل فهم الملك بقتل ابنه كسرى فهرب كسرى من المدائن ليلا نحو أذربيجان حتى أتاه وأقام بها ودعا الملك بندوية وبسطاما وكانا خالي كسرى فسألها عن كسرى فقالا لا علم لنا به فارتاب بهما فأمر بحبسهما ثم ان الملك جمع نصحاءه فاستشارهم فقالوا أيها الملك انك عجلت في أمر بهرام وقد رأينا أن توجه الى بهرام يزدان جشنس فليس بهرام بقاتله اذا أتاه فاعتذرا اليه وباء بذنبه عنده وتكون قد طيبت بنفس بهرام ورددته الى الطاعة وحقنت بذلك الدماء فقبل الملك ذلك وبعث يزدان جشنس الوزير فلما تهيأ للمسير أرسل اليه ابن عم له كان محبوسا في حبس الملك ببعض الجرائم يسأله أن يستوهبه من الملك ويخرجه معه فان عنده غناء ومعونة في الامور ففعل يزدان جشنس وأخرجه معه فلما صار بمدينة همذان ارتاب بابن عمه ذلك وكتب كتابا الى الملك يعلمه انه قد رده اليه ليأمر بقتله أو يرده الى محبسه فانه فاجر فتاك وقال له اني قد كتبت الى الملك كتابا في بعض الامور فأغذ السير به حتى تدفعه اليه ولا تطلعن على ذلك أحدا فارتاب

الرجل بذلك فلما تغيّب عن يزدان جشنس وفكّ الكتاب وقرأه فاذا فيه حفته فرجع الى يزدان جشنس وهو مستخل فضربه حتى قتله وأخذ رأسه فانطلق به الى بهرام وهو بالرى فألقاه بين يديه وقال هذا رأس عدوك يزدان جشنس الذى وشى بك الى الملك وأفسد قلبه عليك قال له بهرام يا فاسق أقتلت يزدان جشنس فى شرفه وفضله وقد كان خرج نحوى ليعتذر الىّ مما كان منه ويصلح بينى وبين الملك ثم أمر به فضربت عنقه وبلغ من بياب الملك من العطاء والاشراف والمرازبة مقتل يزدان جشنس وكان عظيما فيهم فمضى بعضهم الى بعض وعزموا على خلع الملك وتمليك ابنه كسرى وكان الذى زين لهم ذلك وحملهم عليه بندوية وبسطام خلا كسرى وكانا محتبسين فأرسلا الى العطاء ان أريحوا أنفسكم من ابن التركيّة يعنيان الملك هرمزد فقد قتل خيارنا وأباد سراتنا وذاك أنه كان مولعا بالعليّة من أجل استطالهم على أهل الضعف فقتل منهم خلقا كثيرا فاتفقوا على يوم يجتمعون فيه لذلك فأقبلوا جميعا حتى أخرجوا بندوية وبسطاما من الحبس وجميع من كان فيه .

(فتنة بهرام جوين وتولية كسرى أبرويز)

ثم أقبلوا الى الملك هرمزد فنكسوه عن سريره وأخذوا تاجه ومنطقته وسيفه وقبائه فأرسلوا بها الى كسرى وهو بأذربيجان فلما انتهى ذلك اليه سار مقبلا حتى ورد المدائن ودخل الايوان واجتمع اليه العطاء فقام فيهم خطيبا فكان مما قال المقادير تُرى المرء مالا يخطر بباله والأسباب تأتي على

خلاف الهوى والبغى مصرعة لاهله والخائب من أورشطه رغبته والحازم من قنع بما قضى له ولم تتق نفسه الى أكثر منه . أيها الناس ثابروا على ما يقربكم إلينا من طاعتنا ومناصحتنا وإياكم ومخالفة أمرنا والبغى علينا فانالكم بمنزلة العرى والأركان . فلما تفرق الناس عنه قام يمشى حتى دخل على أبيه وهو فى بيت من بيوت القصر فقبل يديه ورجليه وقال يا أبت ما أحبت هذا الأمر فى حياتك ولا أردته ولو لم أقبله لصرف عنا وأزِيل عنا الى غيرنا فقال له أبوه صدقت وقد قبلتُ عذرَكَ فدونك الأمر فقم به وقد عرضت لى اليك حاجةٌ قال يا أبت وما عسى أن يعرض لك الى قال تنظر الذين تولوا نكسى عن السرير وأخذوا التاج عن رأسى واستخفوا بى وهم فلان وفلان وسماهم فمَجَل قتلهم واطلب لأبيك بثأره منهم قال كسرى هذا لا يمكن يومنا هذا حتى يقتل الله عدونا بهرام ويستدف لنا الأمر فتنظر عند ذلك كيف أبيرهم وأنتقم لك منهم فرضى أبوه بذلك منه وخرج كسرى من عنده فجلس مجلس الملك . وبلغ بهرام ماجرى وهو بالرى وما كان من الأمر فغضب لهرمزد غضبا شديدا وأدركته له حمية ورقةٌ وذهب عنه الحقد فسار فى جنوده جادا مجدا ليقتل كسرى ومن والاه على أمره ويردّ هرمزد الى ملكه وبلغ كسرى فصوله من الرى وما بهم به فكتم ذلك من أبيه وسار متلقيا لبهرام فى جنوده وقدّم رجلا من ثقاته وأمره أن يأتى عسكر بهرام متسكرا فينظر سيرته ويعرف له كنه أمره فسار الرجل فاستقبل بهرام بهمدان فأقام فى عسكره حتى عرف جميع أمره ثم انصرف الى كسرى فأخبره أن بهرام

إذا سار كان عن يمينه مَرْدَان سِينَه الرُّوَيْدَشْتِي وعن يساره يَزْدَجُشْنَس بن
الخلبان وأن أحدا من جنوده لا يطمع نفسه في اغتصاب أحد من الرعية مقدار
حبة فما فوقها وأنه إذا نزل المنزل دعا بكتاب كليلة ودمنة فلا يزال منكبا عليها
طول نهاره فقال كسرى لخاليه بندوية وبسطام ما خفتُ بهرام قط كخوفي
منه الساعة حين أخبرت بادماته النظر في كتاب كليلة ودمنة لأن كتاب
كيللة ودمنة يفتح للمرء رأيا أفضل من رأيه وحزما أكثر من حزمه لما فيه
من الآداب والفطن. وان كسرى وبهرام تواقفا بالنهروان فعسكر كل واحد
منهما بأصحابه في ناحية وخندق على نفسه ثم ان بهرام عقد جسرا وعبر الى
كسرى فلما تواقف الجمعان بدر بهرام حتى دنا من صفوف كسرى ثم صاح
بأعلى صوته تبا لكم يامعشر العجم في خلعتكم ملككم أيها الناس توبوا الى
ربكم مما فعلتم وانحازوا الى بجماعتكم حتى نردّ السلطان على ملككم قبل أن
يُنزل الله نقمته عليكم. فلما سمع أصحاب كسرى ذلك قال بعضهم لبعض
قد والله صدق بهرام وان الامر على ما قال فها هم بنا تتلاف أمرنا ونصلح
ما كان منا باجابه بهرام الى ما رأى فانحازوا جميعا فانضموا الى بهرام ولم يبق
مع كسرى الا خاله بندوية وبسطام وهرمز جرابزين والنخارجان وسابور
ابن أبركان ويزدك كاتب الجندوباد بن فيروز وشروين بن كاهجارو كُردى
ابن بهرام جشنس أخو بهرام شوبين لأبيه وأمه وكان من ثقات كسرى
وأحباؤه فقال هؤلاء لكسرى أيها الملك ما تفعل ألا ترى الى جميع الناس
قد فارقوك وانحازوا الى عدوك فمضى نحو المدائن حتى اذا انتهى الى

قنطرة جوذ رز التففت وراءه فاذا هو بهرام وحده قد ترك الناس خلفه حتى دنا منه
ومن أصحابه فوقف له كسرى على طرف القنطرة ووتر قوسه وكان من رماة
الناس فومح فيها نشابة وخاف أن يعمد برميته بهرام فلا يعمل السهم فيه
لجودة درعه فأراد أن يعمد وجهه فلم يأمن أن يتترس بدرقته أو يميل وجهه
عن سهمه فرمى جهة فرسه فلم يُخطئ وسط جبهته واستدار الفرس من
شدة الرمية ثم سقط وبقى بهرام راجلا فأمن كسرى ركضا حتى دخل
المدائن وأتى أباه ولم يعلمه أن بهرام إنما يحاول ردّ الملك اليه غير
أنه قال له ان أصحابي جميعا مالوا اليه ثم قال ما الذى ترى قال أرى
لك أن تلحق بقيصر فانه سينجذك وينصرك حتى يسترجع لك ملكك
فقبل كسرى يدي أبيه ورجليه وودّعه وسار نحو الجسر فى أصحابه وكانوا
تسعة هو عاشرهم فقال بعضهم لبعض ان بهرام يوافي المدائن اليوم غدا فيملك
هرمزد فيكون ملكا كمالك يزل ثم يكتب هرمزد الى قيصر فيردنا اليه فيقتلنا
جميعا وليس كسرى بملك ما دام أبوه حيّا . فقال بندوية وبسطام خلا
كسرى نحن نكفيكم ذلك فانصرفا على المتبصّ ثم أقبلّا حتى دخلا قصر
المملكة ووجلا على هرمزد البيت الذى كان فيه وقد شغل الحشم بالبكا
والعويل لهرب كسرى من عدوّه فألقيا عمامة فى عنقه فخنقاه حتى مات ثم
لحقا بكسرى ولم يُخبراه بذلك وساروا بالر كض الشديد يومهم مخافة الطلب
ومن الغد حتى شارفوا مدينة هيت وانتهوا الى دير رهبان فزلوه فأثوهم بنخبز
شعير قبلوه بالماء واكلوه وأثوهم بنخل فمزجوه بماء وشربوا منه واتّكأ كسرى

على خاله بسطام فنام لشدة ما أصابه من التعب فينأهم كذلك اذ ناداهم
الراهب من صومعته أيها نفر قد أتتكم الخيل وهم بالبعد . وقد كان بهرام
حين وافى المدائن فصادف هرمزد الملك قتيلا ازداد غيظا على كسرى وحنقا
فوجه في طلبه بهرام بن سیاوشان في ألف فارس على الخيل العتاق فلما نظر
كسرى وأصحابه الى الخيل سقط في أيديهم وأيسوا من أنفسهم فقال بندوية
لـكسرى انا أخلصك بحيلتي غير أني أغرر بنفسي قال له كسرى ياخال انك
ان وقيتني بنفسك سلمت أو قُلت فكفأك بذلك ذكرنا باقيا وشرفا ليا فقد
خاطر أرسناس بنفسه في أمر منوشهر وأتى فراسياب ملك الاتراك وهو في
وسط جنوده فرماه بسهم فقتله وأراح زاب الملك منه فأصاب يثار منوشهر
فقتل فبعد صوته في الناس وعظم ذكره وقد خاطر جوذرز بنفسه بسبب
سابور ذي الاكتاف حين قام بتدبير ملكه وضبط سلطانه فحسده الناس
لذلك فلما أدرك سابور ملكه على جميع أموره وفوض اليه سلطانه . قال
له بندوية قم فالقي عنك قباءك ومنطقتك وحل عنك سيفك وضع تاجك
واركب في سائر أصحابك فتبطنوا هذا الوادي فاغذوا فيه السير ودعوني
والقوم ففعل كسرى ما أمره وتبطن الوادي وسار في بقية أصحابه وعمد بندوية
الى قباء كسرى فلبسه وتنطق بمنطقته ووضع التاج على رأسه ثم قال للرهبان
عليكم بالجبل فالحقوا به الى ان ينصرف هذا الخيل والا لم آمن ان يقتلوكم
عن آخركم فتركوا الصومعة جميعا وخرجوا عن الدير وصعد بندوية فصار على
سطح الدير وقد اغلق عليه الباب وهو لا بس بزة كسرى فقام على رجليه

قائماً حتى علم أن القوم قد رأوه جميعاً ثم نزل إلى الدير فخلع بزة كسرى ولبس
 بزة نفسه ثم عاد إلى سطح الدير وقد حددت به الخيل فقال يا قوم من أميركم
 فاتى بهرام بن سیاوشان وقال انا أميرهم ماتشاء يابندوية قال ان الملك يُقرئك
 السلام ويقول انا انما نزلنا آتفا وقد كللنا وتعبنا وليس عليك منا قوت فدعنا
 على حالنا في هذا الدير إلى العشاء لنخرج اليك وننطلق معك إلى بهرام فيحكم
 فينا بما يرى قال بهرام بن سیاوشان ذلك له وعزازة ثم نزل بندوية والقوم
 محدقون بالدير فلما أمسوا عاد بندوية إلى سطح الدير وقال لبهرام بن سیاوشان
 ان الملك يقول لك هذا المساء وليست لنا أجنحة نطير بها وقد حددتم بالدير
 فدعنا ليلتنا هذه لنستريح وامن علينا بذلك فاذا أصبحنا خرجنا اليك ومضيئنا
 معك قال بهرام وذلك له وحباً وكرامة ثم أمر أصحابه أن يكونوا فرقتين فرقة
 تنام وأخرى تحرس نواب. فلما أصبح بندوية فتحت الباب وخرج إلى القوم
 وقال ان كسرى قد فارقني منذ أمس هذا الوقت ولو كنتم على نجائب كالريح
 ملحقتموه وانما كان ما سمعتم مني مكيدة وحيلة فلم يصدقوه ودخلوا الدير
 فقتلوه بيتا بيتا فسقط في يدي بهرام بن سیاوشان ولم يدر ما يعتذر به إلى
 بهرام شوبين فحمل بندوية وانصرف حتى دخل على بهرام شوبين وأخبره
 بالحيلة التي احتالها بندوية فدعا به بهرام وقال لم ترض بما كان منك من قتل
 الملك هرمزد حتى خلصت الفاسق كسرى فنجاني قال بندوية أما قتلي
 هرمزد فلست أعتذر منه اذ طغى وبغى وقتل صناديد العجم وألقى بأسهم بينهم
 وفرق كلمتهم وأما حيلتي في تخليص ابن أخوتي كسرى فلا لوم علي في

ذلك اذ كان ولدى قال بهرام أما إنه ليس يمنعني من تعجيل قتلك إلا ما أرجو من ظفري بالفاسق كسرى فأقتله وأقتلك على أثره ثم قال لبهرام بن سیاوشان احبسه عندك مقيداً الى أن أدعوك به ثم ان بهرام جمع اليه وجوه المملكة فقال قد علمتم ما ارتكب كسرى من الوزر العظيم بقتل أبيه وقد مضى هارباً فهل ترضون أن أقوم بتدبير هذا الملك حتى يدرك شهريار ابن هرمزد مدرك الرجال فأسلمه اليه فرضى بذلك فريق وأباه فريق فممن أبي موسى الأرمي وكان من عظماء المرازبة وقال لبهرام أيها الأصبهنيذ ليس لك أن تقوم بشيء من ذلك وكسرى صاحب الملك ووارثه في الأحياء فقال بهرام من لم يرض فليرتحل عن المدائن فاني إن صادفت بعد ثلاثة أحدا ممن لم يرض ثاوياً بالمدائن ضربت عنقه فارتحل موسى الأرمي فيمن كان على رأيه وكانوا زهاء عشرين ألف رجل فساروا الى أذربيجان فنزلوها ينتظرون قدوم كسرى من أرض الروم ولم يزل بندوقية محتبسا عند بهرام ابن سیاوشان فكان بهرام بن سیاوشان يحسن اليه في المطعم والمشرب ليتخذ بذلك زلفة عنده لما ظن أن كسرى سينصرف ويرجع اليه الملك وكان اذا جن عليه الليل أخرجه من محبسه فأجلسه معه على شرابه فقال بندوقية ذات ليلة لبهرام يا بهرام إن ما أنتم فيه سيضمحل ويذهب لظلم بهرام شوبين واعتدائه فقال بهرام والله إني لأعرف ما تقول واني لأؤتم بأمر قال بندوقية وما هو قال أقتل غدا بهرام شوبين وأريح الناس منه ليرجع الملك الى نظامه وعنصره قال بندوقية أما إذ كان رأيك فأطلقني من قيدي ورد عليّ دابتي

وسلاحى ففعل ولما أصبح بهرام بن سیاوشان تدرّع تحت ثيابه درعا واشتمل على السيف فأبصرت ذلك امرأته وكانت بنت أخت بهرام شوبين فاسترابت به فبعثت الى بهرام تعلمه ذلك وابتكر بهرام الى الميدان فكان لا يمرّ به أحد من أصحابه إلا ضرب جنبه بالصولجان فلم يسمع حسّ الدرع من أحد منهم حتى مرّ به بهرام بن سیاوشان فضرب جنبه بالصولجان فلما سمع حسّ الدرع استلّ سيفه فضربه حتى قتله وتنادى الناس قُتل بهرام فى الميدان فظنّ بندوية أن بهرام شوبين المقتول فركب دابته ومضى نحو الميدان فلما علم أن المقتول صاحبه خرج متنكرا يسير الليل ويمكن النهار حتى أتى أذربيجان فأقام مع موسيل وأصحابه هناك ولما سار كسرى من الدير سار يوماً وليلة وتلقاهم أعرابى فوقفوا عليه فسأله كسرى وكان يُحسن بالعربية شيئاً ممن هو فأخبر أنه من طيّء وان اسمه اياس بن قبيصة فقال له أين الحى فقال قريب قال فهل من قرى فقد بلغ منا الجوع قال نعم فعدلوا معه الى الحى فنزلوا به وسرّحوا خيلهم ترتع وأقاموا عنده يومهم فأحسن قراهم وزودهم وخرج بهم حين أمسوا يدلّهم الطريق حتى أخرجهم لثلاث ياليس من شاطئ الفرات ثم انصرف وسار كسرى حتى انتهى الى اليرموك فخرج اليه خالد بن جبلة الغسّانى فقراه ووجهه معه خيلاً حتى بلغ قيصر فدخل عليه وأبشّ شأنه وماتوجه له فوجده بحيث أملّ من نصره ومعونته فقال له بطارقتك أيها الملك قد علمت ما لقي من كان قبلك من آبائك من هؤلاء منذ زمان الاسكندر وكان آخر ما لقينا منهم اغتصاب جدّ هذا إيانا مدن الشام التى لم تنزل فى أيدينا إرثاً من

أبائنا منذ ألف عام فردّها عليك أبوهذا حين أجلبت بخيلك ورجلك فذع القوم
 يشتغل بعضهم ببعض فان حرب العدو بعضهم بعضا فتح عظيم فقال قيصر
 يعظيم الأساقفة ما تقول أنت يا كبيرنا فقال لا يحلّ لك خذلانه إذ كان
 مبغيا عليه والرأى أن تنصره ليكون لك سلما ما بقيت وبقى . قال قيصر وهل يجوز
 لملوك أن يستجار بهم فلا يُجبروا فأخذ على كسرى اليهود والمواثيق بالمسألة
 وزوجه ابنته مريم ثم عقد لابنه ثيادوس في أبطال جنوده وفيهم عشرة رجال
 من الهزارمردين وقوّاهم بالأموال والعتاد وأمرهم بالمسير معه وشيّعهم ثلاثة
 أيام فسار كسرى بالجليش فأخذ على أرمينية حتى اذا صار باذربيجان انضم
 اليه خاله بندوية وموسيل الأرمنى ومن معه من مرازبة ومرازبة فارس
 وبلغ خبره بهرام شوبين فسار جادا بالجنود حتى وافاه باذربيجان فعسكر على
 فرسخ من معسكر كسرى ثم تراحفوا ونصب لكسرى وثيادوس سرير من
 ذهب فوق رابية تُشرف بهما على مجتلد القوم . ولما تواقفت الخيلان أقبل
 رجل من الهزارمردين حتى دنا من كسرى فقال أرني هذا الذى غلبك على
 ملكك فدخلت كسرى أنفة من تعيره إياه بذلك فكظمها غير أنه أراه
 بهرام شوبين فقال هو صاحب الفرس الأبلق المعتجر بالعمامة الحمراء الواقف
 أمام أصحابه فمضى الرومى نحو بهرام شوبين فناداه أن هلمّ الى المبارزة فخرج
 اليه بهرام فاختلفا ضربتين فلم يصنع سيف الرومى شيئا في بهرام لجودة درعه
 وضربه بهرام على مفرق رأسه وعليه البيضة فقدّ البيضة وأفضى السيف الى
 صدر الرومى فقدّه حتى وقع نصفين عن يمين وشمال وأبصر ذلك كسرى

فاستغرب ضحكا فغضب ثيادوس وقال ترى رجلا من أصحابي يُعدُّ بألف رجل قد قُتل فتضحك كأنك مسرور بقتل الروم قال كسرى إن ضحكى لم يكن سرورا منى بقتله غير أنه عيّرني بما قد سمعت فأحيتُ أن يعلم أن الذي غلبني على ملكى وهربتُ منه اليكم هذه ضربته وإن القوم اقتتلوا يومين فلما كان في اليوم الثالث دعا بهرام كسرى الى المبارزة فهم كسرى أن يفعل فمنعه ثيادوس وأبى كسرى فخرج الى بهرام فطاردا ساعة ثم إن كسرى ولى منهزماً وعارضه بهرام فاقتطعه عن أصحابه ومضى كسرى نحو جبل و بهرام في أثره يهتف به ويده السيف وهو يقول الى أين يا فاسق فجمع كسرى نفسه فساعدته القوة على تسلّم الجبل فلما نظر بهرام الى كسرى قد علا ذروة الجبل علم أنه قد نُصر عليه فانصرف خاسئاً وهبط كسرى من جانب آخر حتى أتى أصحابه ثم ابتكر الفريقان على مصافهم في اليوم الرابع فاقتتلوا فكان الظفر لكسرى وانصرف بهرام في جنوده منهزماً الى معسكره فقال بندوية لكسرى أيها الملك ان الجنود الذين مع بهرام لو قد أمنوك على أنفسهم انجازوا اليك فأذن لي أن أُعطيهم الامان عنك فأذن له فلما أمسى بندوية أقبل حتى وقف على رابية مشرفة على معسكر بهرام ثم نادى بأعلى صوته أيها الناس أنا بندوية بن سابور وقد أمرني الملك كسرى أن أُعطيكم الأمان فمن انجاز الينا منكم في هذه الليلة فهو آمن على نفسه وأهله وماله ثم انصرف فلما أظلم الليل على أصحاب بهرام تحملوا حتى لحقوا بمعسكر كسرى الا مقدار أربعة آلاف رجل فانهم أقاموا مع بهرام . ولما

أصبح بهرام نظر الى معسكره خاليا قال الآن حسن الفرار فارتحل في أصحابه الذين أقاموا معه وفيهم مَرْدَان سِينَه ويزدجشنس وكانا من فرسان العجم فوجه كسرى في طلبه سابور بن أبركان في عشرة آلاف فارس فلحقه وعطف عليه بهرام في أصحابه فاقتتلوا فانهزم سابور ومضى بهرام على وجهه فمر في طريقه بقرية فنزلها ونزل هو ومردان سینه ويزدجشنس بيت عجوز فأخرجوا طعاما لهم فتعشوا وأطعموا فضلتهم العجوز ثم أخرجوا شرابا فقال بهرام للعجوز أما عندك شيء نشرب فيه قالت عندي قرعة صغيرة فأتتهم بها فخبوا رأسها وجعلوا يشربون فيها ثم أخرجوا ثقلا وقالوا للعجوز أما عندك شيء يجعل عليه النقل فأتتهم بمنسف فألقوا فيه ذلك النقل فأمر بهرام فبقيت العجوز ثم قال لها ما عندك من الخبر أيتها العجوز قالت الخبر عندنا ان كسرى أقبل بجيش من الروم فحارب بهرام فغلبه واسترد منه ملكه قال بهرام فما قولك في بهرام قالت جاهل أحق يدعى الملك وليس من أهل بيت المملكة قال بهرام فمن أجل ذلك يشرب في القرع ويتنقل من المنسف فجرى مثلا في العجم يتمثلون به وسار بهرام حتى انتهى الى أرض قومس وبها قارن الجبلى الهاوندى وكان والى خراسان على حربها وخراجها وعلى قومس وجرجان وكان شيخا كبيرا قد أناف على المائة وكان على تلك الناحية من قبل كسرى أنوشروان ثم أقره هرمزد بن كسرى فلما أفضى الأمر الى بهرام عرف له قدره في العجم وفضله فأقره مكانه فلما انتهى بهرام اليه وجهه قارن ابنه في عشرة آلاف فارس فخالوا بين بهرام وبين النفوذ فأرسل اليه بهرام ما هذا جزائي منك اذ

أقررتك على عملك فارس إلى قارن أن ما على من حق الملك كسرى وحق
آبائه أعظم مما على من حقك وكذلك عليك لو عرفت إذ شرفك فكافأته
أن خلعت طاعته وسعرت مملكة العجم نارا وحربا فكان قصارك أن
رجعت خائبا حسيرا وصرت أحدىثة بجميع الأمم فأرسل إليه بهرام أن
العنزي ساوي درهمين مرتين إذا كان عنقا صغيرا وإذا هرم وسقطت أسنانه
لم يساو أيضا إلا درهمين وكذلك أنت في هرمك ونقصان عقلك فلما أتت
قارن هذه الرسالة غضب وخرج في ثلاثين ألف فارس وراجل من جنوده
وتهيأ الفريقان للحرب فلما التقوا قتل ابن قارن فانهزم أصحابه حتى لحقوا
بمدينة قومن ومضى بهرام على خوارزم فغير النهر ووغل في بلاد الترك من
ذلك الوجه يوم خاقان ليستجير به فيجيره ويمنع عنه وبلغ خاقان قدوم بهرام
عليه فأمر طراخته فاستقبلوه وأقبل حتى دخل على خاقان فحياه بتحية الملك
وقال اني أتيتك أيها الملك مستجيلا بك من كسرى وأهل مملكته لتمنعي
وأصحابي فقال له خاقان لك ولاصحابك عندي الحماية والجوار والمواساة ثم
ابتنى له مدينة وبنى في وسطها قصرا فأنزله وأصحابه فيها ودوّن لهم وفرض
الاعطيات فكان بهرام يدخل على خاقان كل يوم فيجلس منه مجلس
اخوته وخاص أقاربه وكان لخاقان أخ يسمى بغاوير وكانت له نجدة وفروسية
فراه بهرام يتدرّع في منطقته غير هائب من الملك ولا مؤقر لمجلسه فقال ذات
يوم لخاقان أيها الملك اني أرى أخاك بغاوير يتدرّع في الكلام ولا يرعى
لمجلسك ما يجب أن يرعى لمجلس الملوك وعهدنا بالملوك لا يتكلم اخوتهم

وأولادهم عندهم الا بما يُسألون عنه فقال خاقان ان بغاوير قد أعطى نجدة في الحروب وفروسية فهو يدل بذلك على انه يتربص بي الدوائر ويضمّر لي الحسد والعداوة قال له بهرام أفتحب أيها الملك ان أريحك منه قال بماذا قال بقتله قال نعم ان أمكنتك ذلك من وجهه لا يكون على فيه مسبة قال بهرام سأتى من ذلك ما لا يلزمك فيه عار ولا عيب فلما أصبحوا من غد أقبل بهرام فجلس عند خان مجلسه الذي كان فيه فأقبل بغاوير فجلس وجعل يتذرع في كلامه فقال له بهرام يا أخي لم لاتوفى الملك حقه وتظهر للناس هيئته واجلاله قال له بغاوير وما أنت وذاك أيها الفارسي الطريد الشريد قال له بهرام كانك تصول بفروسية لست فيها بأكثر مني قال له بغاوير فهل لك الى مبارزتي فأعرفك نفسك قال له بهرام أما أنا فلا أحب ذلك فاني متى غلبتك لم أقتلك لمكانك من الملك قال بغاوير اكفى ان غلبتك قتلتك فاخرج بنا الى الصحراء قال بهرام على النصفة اذا قال ذلك لك قال بهرام وعلى أن لا قود على ان قتلتك ولا لائمة من الملك وطراخته قال نعم فقال خاقان مالك ولهذا الرجل المستجير بنا العائد بجوارنا قال بغاوير أدعوه الى النصفة قال وأى نصفة قال يقف لي وأقف له على مائتي ذراع فأرميه ويرميني فأينا قتل صاحبه لم يكن عليه لوم ولا عقل قال له خاقان اربع على نفسك لا أم لك قال والله ليفعلن أو لا فكن به بين يديك قال فدونك اذا فخرج بغاوير وبهرام في نفر من الطراخنة الى الصحراء فوقف الطراخنة ينظرون ووقف بغاوير من بهرام على مائتي ذراع فقال بهرام للطراخنة لا تلوموني ان أنا قتلتك فقد

بغى على كما ترون فقالوا ليس عليك لوم فصاح بغاوير بهرام أبدأ أنت أم أبدأ أنا فناده بهرام بل ابدأ أنت فارم فأنت الباغي الظالم فوتر بغاوير قوسه ووضع فيها نشابة ثم نزع حتى أغرقها ثم أرسلها فصكت بهرام أسفل من سرته في وسط منطقته فنفذت المنطقة والدرع وسائر اللباس حتى انتهت الى صفاق بطنه الظاهر وأثرت فيه وبادر بهرام فانتزعها ووقف هنيئة لا يضرب يده الى قوسه من شدة ما أصابه من ألم الرمية وظن بغاوير بأن قد قتله فركض نحوه فصاح بهرام أن ارجع الى مكانك فقف لى كما وقفت لك فانصرف الى مكانه فوقف وأخرج بهرام قوسه فوترها وكان لا يوترها سواه ثم وضع فيها نشابة ونزع حتى أغرقها ثم أرسلها فوقع من بغاوير في مثل الموضع الذى وقعت نشابته من بهرام في وسط المنطقة والدرع فنفذت المنطقة والدرع وسائر اللباس ومرقت من الجانب الآخر لم يذهب شئ من ريشها ولا عقبها وسقط بغاوير ميتا وبلغ ذلك خاقان فقال لا يبعد الله غيره قد نهيته عن البغى فأبى ثم تقدم الى طراخته وأهل بيته وقال لأعلمن أحدا منكم نوى لبهرام سوءا ولا مكروها فلما خلا بهرام بخاقان شكر له ما كان منه وقال لقد أرحمتى ممن كان يمتنى موتى ليستبد بالملك دون ولدى ثم زاده اكراما ومنزلة وبرا وعظم قدر بهرام بأرض الترك واتخذ ميدانا على باب قصره واتخذ الجوارى والقيان والجوارح وكان من أكرم الناس على خاقان . وان كسرى عند انهزام بهرام وهر به أكرم ثيادوس ومن معه فأحسن جوائزهم وصلاتهم وسرّحهم الى بلادهم وولى خاله بندوية دواوينه وبيوت أمواله وأنفذ أمره في جميع المملكة

وولّى خاله بسطام أرض خراسان وقومس وجرجان وطبرستان ووجه عماله
 فى الآفاق ووضع عن الناس نصف الخراج ولما بلغ كسرى عظيم قدر بهرام
 عند خاقان وجسيم منزلته ييلاد الترك خافه أن يستجيش ويعود الى محاربتة
 فوجه هرمزد جرابزين الى خاقان وافدا فى تجديد العهد ووجه معه بالاطاف
 وطرف وأمره أن يتلطف بخاقان حتى يفسد قلبه على بهرام فسار هرمزد جرابزين
 حتى دخل على خاقان ومعه كتاب كسرى وأوصل اليه هدايا كسرى والاطافه
 قبلها خاقان وأمره بالمقام ليقضى حوائجه فكان هرمزد يدخل على خاقان مع
 وفود الملوك فيحييه بتحية الملك ثم انه دخل ذات يوم فرآه جالسا فقال أيها
 الملك انى أراك قد استصفيت بهرام وأسنت منزلته ولم تفعل به من ذلك
 شيئا الا وما كان فعل به ملكنا أكثر منه فكان جزاؤه منه ان خلعه وأراد
 سفك دمه وخرج على ابنه كسرى حتى نفاه عن مملكته وما أحسب
 قصارى أمرك منه الا الغدر ونكت العهد فأحذره أيها الملك لا يفسد عليك
 ملكك فلما سمع خاقان منه ذلك غضب غضبا شديدا وقال لولا أنك وافد
 ورسول لمنعتك من الدخول الى ما استبان لى من خرّك وعيبك بحضرتى أخى
 وصفى فلا تعودن لمثل هذا فقال هرمزد جرابزين أما اذ كان أيها الملك هذا
 رأيك فيه فأسألك أن تكتم على لا يبلغه ذلك فيقتلنى فقال هذا لك . فخرج
 هرمزد آيسا منه فاندس الى امرأته خاتون ومن النساء السخافة وكفران
 النعم فدخل عليها ذات يوم فلم يصادف عندها أحدا يخافه فقال لها أيها
 الملكة انكم قد اصطفيتم بهرام ورفعتموه فوق قدره وليس بمأمون أن يفسد

عليكم ملككم كما أفسده على هرمزد ملكنا ثم قصّ عليها ما كان منه وقال
أيتها الملكة أقد أنسيت قتله عمك شاهان شاه واحتواءه على سريره وخزائنه
فلم يزل يذكرها هذا وأشباهه حتى أوقع في قلبها بغض بهرام والخوف منه
على زوجها وولدها قالت ويحك وما الذي يمكنني في أمره ومنزله من الملك
منزله قال الرأي أن تدسى إليه من يقتله فتأمني على زوجك وولدك فأمرت
غلاما لها قد عرفته بالفتك والاقدام فقالت له انطلق الساعة حتى تدخل على
بهرام وتلطّف لقتله ولا تأتيني الا بعد الفراغ منه فانطلق الغلام حتى استأذن
على بهرام وفي حمجزته خنجر قد ستره وكان ذلك اليوم يوم ورهام رُوز قالوا
وقد كان المنجمون قالوا في مولده ان منيته في ورهام روز فكان لا يخرج
ذلك اليوم من منزله ولا يأذن لأحد الا لثقاته وخاصته فدخل الآذن فأعلمه
أن رسول الملكة يطلب الاذن فأذن له فدخل فحيا بهرام وقال ان الملكة
قد وجهتني اليك برسالة فأخاني فقام من عند بهرام فخرجوا ودنا التركي منه كانه
يريد أن يسارّه ثم استلّ الخنجر فبعجه به وخرج فركب دابته ومضى ودخل
أصحاب بهرام فصادفوه يستدمن وييده ثوب ينشف به الدم فلما رأوه بتلك
الحال بهشوا وقالوا كيف لم تهتف بنا فنأخذة فقال انما كان كلبا أمر بشئ
ففذله وقال لهم اذا جاء القدر لم يغن الحذر وقد خلفت عليكم أخي مردان سینه
فأطيعوا أمره وأرسل الى خاقان يعلمه أمره فأقبل خاقان نحوه والمها فصادفه قد
مات فواراه في ناوس وهم بقتل خاتون فحجز عن ذلك لمكان ولده منها
وان أصحاب بهرام تناظروا فيما بينهم فقالوا مالنا عند هؤلاء خير وما الرأي

الا الخروج عن أرضهم فانهم غدرة بالعهد كفر للاحسان والانتقال الى
 بلد الديلم فانها أقرب الى بلادنا وأمكن للطلب بثأرنا من ملوكنا الذين
 شردونا فسألوا خاقان الازن لهم في الانصراف فأذن لهم وأحسن اليهم
 وقواهم وبذرهم الى حدود أرضه . وكان مع بهرام أخيه كُردية
 وكانت من أجمل نساء العجم وأبرعهن براعة وأكلمهن خلقا وأفرسهن
 فروسية فخرج أصحاب بهرام وكردية امامهم على دابة بهرام متسلحة
 بسلاحه حتى انتهوا الى نهر جيحون مما يلي خوارزم فعبروا هناك وانصرف
 عنهم الطراخنة وأخذ أصحاب بهرام على شاطئ النهر ثم انخطوا الى جرجان
 وسلكوا طبرستان ثم لزموا ساحل البحر حتى انتهوا الى بلاد الديلم فسألوهم
 السُكنى معهم في بلادهم فأجابوهم اليه وكتبوا بينهم كتابا أن لا يتأذى أحد
 باحد فأقاموا آمنين واتخذوا المعاش والقرى والمزارع وأيديهم مع أيدي الديلم
 في كل أمر . فلما قُتل بهرام رأى كسرى ان قد صفا له الملك فلم يكن له همّة
 الا الطلب بثأر أبيه هرمزد وأحب أن يبدأ بخاليه بندوية وبسطام ونسي
 أيادي بندوية عنده فمكث كسرى يكاشرها عشر سنين وأنه خرج في أيام
 الربيع كعادته يريد الجبل ليصيف فيه فنزل حلوان وبندوية معه فأمر أن
 يُضرب له قبة على الميدان لينظر الى المرازبة اذا لعبوا بالكرة فجلس على تلك
 القبة فرأى شیرزاد بن البهؤذان يضرب بالكرة ويحيد فكان كلما ضرب
 فأجاد قال له كسرى زه سوار فأحصى الموكّل ذلك مائة مرة قالها فكتب
 له الى بندوية بأربعمائة ألف درهم لكل مرة أربعة آلاف درهم فلما وصل

الصلب إلى بندوية قذفه من يده وقال ان بيوت الاموال لا تقوم لهذا التبذير
وبلغ كسرى قوله فجعل ذلك ذريعة إلى الوثب به فأمر صاحب حرسه أن
يأتيه فيقطع يديه ورجليه فأقبل صاحب الحرس لينفذ فيه أمر كسرى فاستقبله
بندوية يريد الميدان فأمر به فكس عن دابته وقطع يديه ورجليه وتركه
متسحطا في دمه بمكانه فجعل بندوية يشتم كسرى ويشتم أباه ويذكر غدر
آل ساسان ونكثهم ويقال كل ذلك لكسرى فقال لمن حوله من وزرائه
يزعم بندوية أن آل ساسان غدره نكثه وينسى نفسه في غدره بالملك
أينا حين دخل عليه مع أخيه بسطام فألقيا العمامة في عنقه ثم خنقاه بها ظلما
وعدوا ليتقربا بذلك إلى كانه ليس لى بوالد ثم ركب إلى الميدان فمر
ببندوية وهو ملقى على قارعة الطريق فأمر الناس أن يرموه بالحجارة فرجموه
حتى مات وقال هذه حتى تأتي أخيها يعنى ما أراد من الخاق بسطام بأخيه
بندوية ثم أمر كاتب السر أن يكتب إلى بسطام ليخلف على عمله ثقة ويقدم
متخففا ليناظره فى بعض الأمر ففعل بسطام ذلك وأقبل على البريد فلما
انتهى إلى حد قومس استقبله مردان به قهرمان أخيه بندوية فلما نظر إليه
من بعيد رفع صوته بالبكاء والعويل فقال له بسطام ما وراءك فأخبره بمقتل
أخيه فلم يجد مذهبا فى الأرض فعدل إلى من بالديلم من أصحاب بهرام وبلغ
مردان سنيه رئيس أصحاب بهرام قدوم بسطام عليه ففرح بذلك وخرج
متلقيا له فى جميع أصحابه لشرف بسطام فى العجم وفضله ثم أقبلوا به حتى
أنزلوه منزلا بهيا وركب إليه أشراف تلك البلاد فأقام عندهم آمنا ثم ان

مردان سینه ویزد جشنس والعظاء قالوا بسطام ما بال كسرى أحق بالملك منك وأنت ابن سابور بن خرْبُنداد من صميم ولد بهمن بن اسفندياذ وانكم لاخوة بنى ساسان وشركاؤهم فى الملك فهل نبأيعك ونزوَجك كُرْدِيَّة أخت بهرام ومعنا سرير ذهب قد كان بهرام حمله من المدائن فاجلس عليه وادع نفسك فان أهل بيتك من ولد دارا بن بهمن سينحلبون اليك واذا قويت شوكتك وكثر جنودك سرت الى الغادر كسرى فخاربتة وحاولت ملكه فان نلت ما تريد فذاك الذى نحبّ وتحبّ وان قُتلت قُتلت وأنت تحاول ملكا وأن ذلك أبعدُ لصوتك وأنبه لذكرك فلما سمع بسطام ذلك أصغى اليه وأجابهم الى ما عرضوا عليه فزوَّجوه كُرْدِيَّة وأجلسوه على سرير الذهب وعقدوا على رأسه التاج وباعوه عن آخرهم ودعوه مَلِكا وتابعه أشراف البلاد وانحلب اليه جيلان والتبر والطيلسان وقوم كثير من أهل بيته من ناحية العراق ممن كان يهواه ويهوى أخاه حتى صار فى مائة ألف رجل فخرج الى الدِستَبى وأقام بها وبث السرايا فى أرض الجبل حتى بلغوا حلوان والصيْمة وما سبذان وهرب عمال كسرى وتحصن الدهاقين فى الحصون ورؤس الجبال وبلغ ذلك كسرى فسقط فى يده وعلم أنه لم يأخذ وجه الامر فى قتله بندوية فأخذ الامر من قِبَل الخديعة فكتب الى بسطام انه قد بلغنى مصيرك الى الغدرة الفسقة أصحاب الفاسق بهرام وتزينهم لك ما لا يلىق بك ثم حملوك على الخروج على المملكة والعيث فيها والفساد من غير ان تعلم ما أنوى لك وما أنطوى عليه فى بابك فدع التماذى فى الغي وأقبل

الى آمنّا ولا يوحشك قتل أخيك بندوية فأجابه بسطام ان قد أتاني كتابك بما خبرت به من خديعتك وسطرت من مكيدتك فمت بفيظك وذق وبال أمرك واعلم انك لست بأحقّ بهذا الامر مني بل أنا أحقّ به منك لأنني ابن دارا بن دارا مقارع الاسكندر غير انكم يا بني ساسان غلبتمونا على حقنا وظلمتمونا وانما كان أبوك ساسان راعي غنم ولو علم أبوه بهمن فيه خيرا مازوى عنه الملك الى أخته خناني فلما ورد كتابه على كسرى علم ألا طمع فيه فوجه اليه ثلاثة قواد في ثلاثة عساكر كل عسكر اثنا عشر ألف رجل فنفذ العسكر الأول وعليه سابور بن ابركان ثم أردفه بالعسكر الثاني وعليه النخارجان ثم أردفهما بالثالث وعليه هرمزد جرابزين فلما اتصل بسطام فصول العساكر نحوه سار حتى أتى همدان فأقام بها ووجه الرجالة الى رؤس العقاب ليمنعوا الناس من الصعود والنفوذ قال فأقامت العساكر دون الجبل بمكان يدعى قُلُوص وكتبوا الى كسرى يُعلمونه ذلك فخرج كسرى بنفسه في خمسين ألف فارس حتى وافى جنوده وهم معسكرون بقُلُوص فأقام عندهم ريثما أراح ثم سار على رستاق يسمى شَرَاه فنفذ منه الى همدان في طريق لا جبل فيه ولا عقبة حتى أفضى الى بطن همدان فعسكر هناك وخندق على نفسه وسار اليه بسطام في جنوده فاقتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام لا ينهزم أحد من الفريقين عن صاحبه فلما رأى كسرى ذلك قال لكردى بن بهرام جشنس أخى بهرام شوبين لأبيه وأمه وكان من أنصح المرازبة لكسرى وأشدّهم له ودا وأسرعهم في طاعته

نهوضاً فقال قد ترى ما نحن فيه من شدة هذه الحروب واني قد رجوت
 الراحة مما نحن فيه يباب لطيف قال وما هو أيها الملك قال ان أختك كردية
 امرأة بسطام متشوفة لا محالة الى الرجوع الى أهلها ووطنها وأنا أعلم أنها ان
 آثرت قتل بسطام قدرت لطمأ نيتته اليها ولما بلغني من صرامتها واقدامها
 وان هي قتلتها فلها على ذمة الله أن أتزوجها وأجعلها سيدة نسائي وأجعل
 الملك بن بعدى لولد ان كان لي منها وأنا كاتب ذلك بخطي فأرسل اليها
 حتى تعرض ذلك عليها وتنظر ما عندها فيه قال له كردى أيها الملك فاكتب
 لها بخطك ما تطمئن اليه وتعرف صدق قولك فيه لأوجه اليها بالكتاب مع
 امرأتى فاني لا أثق بسواها في كتمان السر فكتب لها كسرى بذلك وأكّد
 فأخذ كردى الكتاب ووجه مع امرأته الى كردية وقد كان بسطام خرج
 بها معه لشدة وجده بها فلما قرأت كردية كتاب كسرى عرفت وثاقته فأفضت
 بسرّها الى ظو رتها وثقاتها فزّين لها ذلك لتشوفهن الى أوطانهن ولم يُنكر
 بسطام بحجى المرأة الى كردية لما عرف من ألف النساء وتزاورهن وان
 بسطام انصرف ذات عشاء الى مضربه الذى فيه كردية تعباً قدمه الكلال
 لشدة الحرب فدعا بطعام فقال منه ثم دعا بشرا به فجعلت كردية تسقيه صرفاً
 حتى غلبه السكر فقامت الى سيفه فوضعت ظبته في شندوته وتحملت عليه
 حتى خرج من ظهره ثم خرجت من ساعتها فتحملت في حشمتها وظو رتها
 وقد كان أخوها كردى وقف لها على الطريق في خيل فلما انتهت اليه انطلق
 بها فأنزلها في رحله ولما أصبح أصحاب بسطام ووجدوه قتيلاً ارتحلوا

هاربين نحو بلاد الديلم فوجه كسرى سابور بن أبركان في عشرة آلاف فارس وأمره أن يُقيم بقزوين فتكون مَسْلَحة هناك وتمنع من أراد النفوذ من أرض الديلم الى مملكته ثم تزوج كردية وضمها اليه وانصرف الى المدائن ونزلت كردية من قلبه بموضع محبة شديدة وشكر لها ما كان منها وزاح عن كسرى ما كان يجرد في نفسه من الغضاضة بالتقامه من قتلة أبيه واطمان له ملكه وهذا واستقر

(حروب ابرويز مع الروم)

قالوا ثم ان ابن قيصر ملك الروم قدم على كسرى ابرويز فأخبره أن بطارقة الروم وعظماءها وثبوا على أبيه قيصر وأخيه ثيادوس بن قيصر فقتلواهما جميعا وملكوا عليهم رجلا من قومهم يسمى كوكسان وذكره بلاء أبيه وأخيه عنده فغضب ابرويز له ووجه معه ثلاثة قواد أحدهم شاهين في أربعة وعشرين ألف رجل فوغل في أرض الروم وبث فيها الغارات حتى انتهى الى خليج القسطنطينية فعسكر هناك والقائد الآخر بُوذ فصار نحو أرض مصر فأغار وعاث وأفسد حتى انتهى الى الاسكندرية فافتتحها عنوة وسار الى البيعة العظمى التي بالاسكندرية فأخذ أسقفها فعذب به حتى دلّه على الخشبة التي تزعم النصراني أن المسيح صُلب عليها وكانت مدفونة في موضع قد زرع فوقها الرياحين والقائد الثالث شهر يار فصار حتى أتى الشام فقتل أهلها قتلا ذريعا حتى أخذها كلها عنوة فلما رأى عظماء الروم ما حلّ بهم من كسرى اجتمعوا فقتلوا الرجل الذي كانوا ملكوه وقالوا ان مثل هذا لا يصلح للملك وملكوا

عليهم ابن عمّ لقيصر المقتول يسمى هرقل وهو الذي بنى مدينة هرقله فكانت هذه الغلبة التي ذكرها الله تعالى في كتابه . وان هرقل الذي ملكته الروم استجاش أهل مملكته وسار الى القائد الذي كان معسكرا على الخليج فخاربه حتى أخرجه من أرض الروم ثم صمد للذي كان بأرض مصر فطرده عنها ثم عطف على شهربار فأخرجه عن الشام فوافقت العساكر كلها الجزيرة وسار هرقل نحوهم فواقعهم فهزمهم حتى بلغ بهم الموصل وذلك بلغ كسرى فخرج في جنوده نحو الموصل وانضم اليه قواده الثلاثة وسار نحو هرقل فاقتلوا فانهزم الفرس فلما رأى ذلك كسرى غضب على عظماء جنوده وهرأز به فأمر بهم فحبسوا ليقتلهم

(خلع ابرويزو ملك ابنه شيرويه)

ولما رأى أهل المملكة ذلك تراسلوا وعزموا على خلع كسرى وتمايك ابنه شيرويه بن كسرى فخلعوه وملكوا شيرويه وحبسوا كسرى في بيت من بيوت القصر ووكلوا به خيلوس رئيس المستميتة وكان ذلك سنة تسع من هجرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وان شيرويه أمر أن يُنقل بأبيه من دار المملكة فيحبس في دار رجل من المرازبة يسمى هرشفته ففُتِّع رأسه وحُمل على برذون فانطلق به الى تلك الدار فحبس فيها ووكل به خيلوس في خمسمائة من الجند المستميتة ثم ان عظماء أهل المملكة دخلوا على شيرويه وقالوا انه لا يصلح أن يكون علينا ملكان اثنان فاما أن تأمر بقتل أبيك وتنفرد بالأمر أو نخلعك ونرد الأمر اليه كما كان فهدت شيرويه هذه المقالة فقال أجبوني يومى هذا

(رسالة بين ابرويز وشيروه)

ثم أمر يزدان جشنس رئيس كتاب الرسائل فقال له انطلق عن رسالتنا
لى أيننا وقل له ان الذى حل بك عقوبة من الله للذى سلف من سوء أعمالك
أول ذلك ما كان منك الى أهلك هرمزد ومنها حظرك علينا معاشر أولادك
ومنعتك أيانا البراح وحبسك أيانا فى دار كهنة المحبس بلا رقة ولا رحمة
ومنها كفرانك انعام قيصر عليك وأياديه عندك فلم تحفظ فيه ابنه وأقاربه
حتى أتوك يسألونك ان ترد عليهم خشبة الصليب التى بعث بها اليك شاهين من
الاسكندرية فرددتهم عنها بلا حاجة منك اليها ولا درك لك فى حبسها ومنها
ما أمرت به من قتل الثلاثين ألف رجل من مرزبانك وعظماء أساورتك بزعمك
أنهم أول من انهزم عن الروم ومنها كثرة ما جمعت من الاموال وكنزتها
فى خزائنك من جبايتكها عن الخراج بأعنف العنف وانما ينبغى للملوك أن يملؤا
خزائنهم مما يغنمون من بلاد أعدائهم بنحور الخيل وصدور الرماح لا مما
يسألونه من رعيته ومنها قتلك النعمان بن المنذر وصرفك ملك أرضه عن
ولده وأهل بيته الى غيرهم يعنى اياس بن قبيصة الطائي فلم تحفظ فيهم ما كان
يحفظه آباؤك من حضائمه بهرام جور جدك ومعاونته بعد أن خرج الملك عنه
حتى رده عليه فكل هذه ذنوب ارتكبتها وآثام اقترقتها لم يكن الله ليرضى
منك فأخذك بها . فانطلق يزدان جشنس فأبلغ كسرى رسالة شيروه لم
يخرم منها حرفا فقال له كسرى قد أبلغت فأد الجواب كما أدت الرسالة قل
لشيروه القصير العمر القليل الغمر الناقص العقل نحن مجبوك عن جميع

ما أرسلت به إلينا من غير اعتذار لتزداد علما بجهلك أما رضانا بما ارتكب
 من أيينا فإني ما اطلعت على ما دبر القوم من الوثوب به وقد علمت لما
 استوطدت إلى السلطان أني لم أدع أحدا مالا على خلعه وأجلب عليه بارتكاب
 حقه الا قتله وختمت ذلك بخالي بندوية وبسطام مع ما كان من قيامهما
 بأمرى وأما حظري عليكم معاشر أبنائنا فإني فرغتم لتعلم الأدب ومنعتم
 من الانتشار فيما لا يعنيكم ولم أقصر في مطاعكم مع ذلك ومصارفكم وملايسكم
 وطيبكم ومراكبكم وأما أنت خاصة فإن المنجمين قضوا في مولدك بتثريب
 ملكنا وفسخ سلطاننا على يدك فلم نأمر بقتلك ومع ذلك كتاب قرميسيا ملك
 الهند إلينا يعلمنا ان في انقضاء سنة ثمان وثلاثين من ملكنا يفضى إليك هذا
 الأمر فكتمنا ذلك الكتاب عنك مع علمنا أنه لا يفضى إليك الا بهلاكنا
 وذلك الكتاب مع قضية مولدك عند شيرين صاحبتنا فان أردت فدونك
 فاقراها لتزداد حسرة وثبورا وأما ما ذكرت من كفراني نعمة قيصر بمنحى
 ولده وأهل بيته خشب الصليب فأيتها المائق ان أكثر من ذلك الخشب
 ثلاثون ألف ألف درهم فرقته في رجال الروم الذين قدموا معي وألف ألف
 درهم هدايا وجهتها إلى قيصر ومثل ذلك وصلت ابنه ثيادوس عند رجوعه
 إلى مملكته أفكنت أجودهم بخمسين ألف ألف درهم وأبخل بخشبة لا تساوي
 شيئا إنما احتبسناها لأرتهن بها طاعتهم ولينقادوا لي في جميع ما أريده منهم
 لعظيم قدر الخشبة عندهم وأما غضبي لقيصر وطلبي بثأره فقد قتلت به من
 الروم ما لم يحصى عدده وأما قولك في أولئك المرازبة ورؤساء الأساورة الذين

هممت بقتلهم فان أولئك اصطنعهم ثلاثين سنة وأسنت أعطياتهم وأعظمت
 حُبوتهم فلم أحتج اليهم في طول دهرى إلا ذلك اليوم الذى فشلوا فيه وخاموا
 فسل أيها الأخرق فقهاء هذه الملة عمن قصّر في نُصرة ملكه وخام عن
 محاربة عدوّه فسيُخبر ونك انهم لا يستوجبون العفو ولا الرحمة فأماما عنتنى به من
 جمع الاموال فان هذا الخراج لم يكن منى بدعة ولم يزل الملوك يجبونه قبلى ليكون
 قوّة للملك وظهرا للسلطان فان ملكا من ملوك الهند كتب الى جدى أنوشروان ان
 مملكتك شبيهة بباغ عامر عليه حائط وثيق وباب منيع فاذا انهدم ذلك الحائط أو
 تكسرت الأبواب لم يؤمن أن ترعى فيه الحمير والبقر وانما عنى بالحائط الجنود وبأبوابه
 لأموال فاحتفظ أيها السخيف العقل بتلك الأموال فانها حصنٌ للملك
 وقوامٌ للسلطان وظهيرٌ على الأعداء ومفخرة عند الملوك وأما ما زعمت من
 قتلى النعمان بن المنذر وازالتى الملك عن آل عمرو بن عدى الى اياس بن
 قبيصة فان النعمان وأهل بيته واطوا العرب وأعلموهم توكتهم خروج الملك
 عنا اليهم وقد كانت وقعت اليهم فى ذلك كتب فقتلته ووليت الأُمراء ايا
 لا يعقل من ذلك شيئا انطلق الى شيرويه فأخبره بذلك كله فأبلغه يزدان
 جشنس لم يخرم منه شيئا فعلت شيرويه كآبة ولما كان من الغد اجتمع
 عظماء أهل المملكة فدخلوا على شيرويه كما فعلوا بالأُمس فخاف على نفسه
 فجعل يرسل الرجل بعد الرجل من مرزبته لقتل أبيه فلا يقدم عليه أحد
 حتى بعث بشابٍ منهم يسمى يزدك بن مردان شاه مرزبان بابل وخطَرِية
 فلما دخل عليه قال من أنت قال أنا ابن مردان شاه مرزبان بابل وخطَرِية

قال له كسرى أنت لعمري صاحبى وذلك انى قتلت أباك ظلما فضر به الغلام حتى قتله وانصرف الى شيرويه فأخبره فلطم شيرويه وجهه وتنف شعره وحبسه وانطلق في عطاء أهل المملكة حتى استودعه النّاس ثم انصرف وأمر فقتل الغلام الذى قتل أباه . وفى ذلك العام الذى ملك فيه شيرويه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضى الله عنه . ثم ان شيرويه لما ملك عمد الى اخوته وكانوا خمسة عشر رجلا ف ضرب أعناقهم مخافة أن يفسدوا عليه ملكه فسلط عليه الامراض والأسقام حتى مات وكان ملكه ثمانية أشهر

(ملك شيرزاد بن شيرويه)

فلما ملك فارس عليها بعده ابنه شيرزاد بن شيرويه وكان طفلا ووكلا به رجلا يحضنه ويقوم بتدبير الملك الى أن أدرك . ولما بلغ شهر يار وهو مقيم فى وجه الروم مقتل كسرى أقبل فى جنوده حتى ورد المدائن وقد مات شيرويه وملك ابنه شيرزاد

(ملك شهر يار)

فاغتصب الامر ودخل المدائن فقتل كل من مالا على قتل كسرى وخلفه وقتل شيرزاد وحاضنه وتولى أمر الملك ودعا نفسه ملكا وذلك فى العام الثانى عشر من التاريخ .

(ملك جوان شير)

فلما تمّ للملك شهر يار حول أنف عطاء أهل المملكة من أن يلى ملكهم

من ليس من أهل بيت المملكة فوثبوا عليه فقتلوه وملكوا عليهم جُوان
شير بن كسرى وكان طفلاً وأمه كردية أخت بهرام شوبين فملك
حولاً ثم مات .

(ملك بوران)

فملكوا عليهم بوران بنت كسرى وذلك أن شيرويه لم يدع من
أخوته أحداً إلا قتلته خلا جوان شير فانه كان طفلاً فعند ذلك وهى سلطان
فارس وضعف أمرهم وفات شوكتهم

(ابتداء حرب العرب مع العجم)

قالوا فلما أفضى الملك الى بوران بنت كسرى بن هرمز شاع في أطراف الارضين
أنه لا ملك لأرض فارس وإنما يلودون بباب امرأة فخرج رجالان من بكر بن وائل
يقال لاحدهما المثني بن حارثة الشيباني والآخر سويد بن قطبة العجلي فاقبلا
حتى نزلا فيمن جمعا بتخوم أرض العجم فكانا يُغيران على الدهاقين
فيأخذان ما قدرا عليه فإذا طُلِبَا أمعنا في البر فلا يتبعهما أحد وكان المثني يغير
من ناحية الحيرة وسويد من ناحية الأُبلة وذلك في خلافة أبي بكر فكتب
المثني بن حارثة الى أبي بكر رضى الله عنه يُعلمه ضراوته بفارس ويُعرفه
وَهَنَهُمْ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُمَدَّهُ بِجَيْشٍ فَلَمَّا انْتَهَى كِتَابُهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَقَدْ كَانَ فَرَّغَ مِنْ أَهْلِ الرَّدَّةِ أَنْ يَسِيرَ
إِلَى الْحِيرَةِ فَيُحَارِبَ فَارِسَ وَيُضَمَّ إِلَيْهِ الْمُثَنَّى وَمَنْ مَعَهُ وَكَرِهَ الْمُثَنَّى وَرُودَ خَالِدٍ
عَلَيْهِ وَكَانَ ظَنُّهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ سَيُؤَيِّدُهُ الْأَمْرَ فَسَارَ خَالِدٌ وَالْمُثَنَّى بِأَصْحَابِهِمَا حَتَّى أَتَاخَا

على الحيرة وتحصن أهلها في القصور الثلاثة ثم نزل عمرو بن بقيلة وحديثه مع خالد وانه وجد معه شيئاً من البيش فاستفقه على اسم الله ولم يضره ذلك معروف ثم صالحوه من القصور الثلاثة على مائة ألف درهم يؤدونها في كل عام الى المسلمين ثم ورد كتاب أبي بكر على خالد مع عبد الرحمن بن جميل الجمحي يأمره بالشخوص الى الشام ليمدّ أبا عبيدة بن الجراح بمن معه من المسلمين فمضى وخلف بالحيرة عمرو بن حزم الانصاري مع المشي وسار على الانبار وانحطّ على عين التمر وكان بها مسلحة لاهل فارس فرمى رجل منهم عمرو بن زياد بن حذيفة بن هشام بن المغيرة بنشابة فقتله ودفن هناك وحاصر خالد اهل عين التمر حتى استنزلم بغير أمان فضرب أعناقهم وسبي ذراريهم ومن ذلك السبي أبو محمد بن سيرين وحمران بن أبان مولى عثمان ابن عفان وقتل فيها خالد خفيرا كان بها من العرب يسمى هلال بن عقبة وصلبه وكان من التمر بن قاسط ومربحجي من بني تغلب والنمر فأغار عليهم فقتل وغنم حتى انتهى الى الشام

(الفتوح في عهد سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه)

ولم يزل عمرو بن حزم والمثنى بن حارثة يتطرقان أرض السواد ويغيران فيها حتى توفي أبي بكر رضي الله عنه وولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت ولاية عمر سنة ثلاث عشرة ثم ان عمر رضي الله عنه عزم على توجيه خيل الى العراق فدعا أبا عبيد بن مسعود وهو أبو المختار بن أبي عبيد الثقفي فعقد له على خمسة آلاف رجل وأمره بالمسير الى العراق وكشب الى المثنى

ابن حارثة ان ينضم بمن معه اليه ووجه مع أبي عبيد سليط بن قيس من بني النجار الانصارى وقال لابي عبيد قد بعثت معك رجلا هو أفضل منك اسلاما فاقبل مشورته وقال لسليط لولا انك رجل عجل في الحرب لوليتك هذا الجيش والحرب لا يصلح لها الا الرجل المكث فصار أبو عبيد نحو الحيرة لا يمرّ بحى من أحياء العرب الا استنفرهم فتبعه منهم طوائف حتى انتهى الى قسّ الناطن فاستقبله المثنى فيمن معه وبلغ العجم اقبال أبي عبيد فوجهوا مردان شاه الحاجب في أربعة آلاف فارس فأمر أبو عبيد بالجرى فعمد ليعبر اليهم فقال له المثنى أيها الامير لا تقطع هذه اللجة فتجعل نفسك ومن معك غرضا لأهل فارس فقال له أبو عبيد جئنت يا أخا بكر وعبر اليهم بمن معه من الناس وولى أبا محجن الثقفي الخيل وكان ابن عمه ووقف هو في القلب وزحف اليهم الفرس فاقتلوا فكان أبو عبيد أول قتيل فأخذ الراية أخوه الحكم فقتل ثم أخذها قيس بن حبيب أخو أبي محجن فقتل وقتل سليط ابن قيس الانصارى في نفر من الأنصار كانوا معه فأخذ المثنى الراية وانهزم المسلمون فقال المثنى لعروة بن زيد الخيل الطائي انطلق الى الجسر فقف عليه وحل بين العجم وبينه وجعل المثنى يقاتل من وراء الناس ويحميهم حتى عبروا ويوم جسر أبي عبيد معروف وسار المثنى بالمسلمين حتى بلغ الثعلبية فنزل وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع عروة بن زيد الخيل فبكى عمر وقال لعروة ارجع الى أصحابك فمرهم أن يقيموا بمكانهم الذى هم فيه فان المدد وارد عليهم سريعا وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان يوم السبت سنة

ثلاث عشرة من التاريج ثم ان عمر بن الخطاب استنفر الناس الى العراق
فخفوا في الخروج ووجه في القبائل يستجيش فقدم عليه خنث بن سليم الازدي
في سبعمائة رجل من قومه وقدم عليه الحصين بن عبد بن زرارة في جمع
من بني تميم زهاء ألف رجل وقدم عليه عدى بن حاتم في جمع من طي وقدم
عليه المنذر بن حسان في جمع من ضبة وقدم عليه أنس بن سلال في جمع من
النمر بن قاسط فلما كثر عند عمر الناس عقد جرير بن عبد الله البجلي عليهم
فسار جرير بالناس حتى وافى الثعلبية فضم اليه المشي فيمن كان معه وسار نحو
الحيرة فمسكر بدير هند ثم بث الخيل في أرض السواد تذاير وتخصن منه
الدماقين واجتمع عطاء فارس الى بوران فأمرت أن يتخير اثنا عشر ألف
رجل من أبطال الأساورة وولت عليهم مهران بن مروة الهذلي فسار
بالجيش حتى وافى الحيرة وزحف الفريقان بعضهم لبعض ولهم زجل كزجل
الرعد وحمل المشي في أول الناس وكان في ميمنة جرير وحملوا منه وثرا المعجاج
وحمل جرير بسائر الناس من الميسرة والقلب وصادقتهم المعجم القتال فجبال
المسامون جولة فقبض المشي على لحيته وجعل ينتف ما تبعه منها من الأسف
ونادي أيها الناس إلى إلى أنا المشي فثاب المسامون فحمل بالناس ثانية والى
جانبه مسعود بن حارثة أخوه وكان من فرسان العرب فقتل مسعود فنادى
المشي يا معشر المسامين هكذا مصرع خياركم ارفعوا راياتكم وحض عدى بن
حاتم أهل الميسرة وحرص جرير أهل القلب وذمرهم وقال لهم ياه مشر بجيلة
لا يكونن أحد أسرع الى هذا العدو منكم فان لكم في هذه البلاد إن فتحها

الله عليكم حُطوة ليست لأحد من العرب فقاموا بهم التماس إحدى الحُسَيْنين
فقد اعى المسلمون وتحاضوا وثاب من كان انهزم ووقف الناس تحت رايتهم ثم
زحفوا فحمل المسلمون على العجم حملة صدقوا الله فيها وباشروا مهران الحرب
بنفسه وقاتل قتالاً شديداً وكان من أبطال العجم فقتل مهران وذكروا ان
المثنى قتله فانهمزمت العجم لما رأوا مهران صريعاً واتبعهم المسلمون وعبد الله
ابن سائيم الأزدى يتقدمهم واتبعه عروة بن زيد الخليل فصار المسلمون الى
الجسر وقد جازه بعض العجم وبقى بعض فصار من بقي منهم في أيدي المسلمين
وهضمت العجم حتى لحقوا بالمدائن وانصرف المسلمون الى معسكرهم فقال
عروة بن زيد الخليل في ذلك

هاجرت لعمرو دار أسنى أحرانا	واستبدات بعد عبد القيس همدانا
وقد أراها والشمل مجتمعا	إذ بالخنيلة قتلى جند مهرانا
أيام سار المثنى بالجنود لهم	فقتل القوم من رجل ورؤبانا
سما لأجناد مهران وشيعته	حتى أبادهم مثنى ووحدانا
ما إن رأينا أميرا بالعراق مضى	مثل المثنى الذي من آل شيبانا
إن المثنى الأمير القرم لا كذب	في الحرب أشجع من ليث بخفانا

قالوا ولما أهلك الله مهران ومن كان معه من عطاء العجم استمكن المسلمون
من الغارة في السواد وانتقضت مسالح الفرس وتشتت أمرهم واجتروا المسلمون
عليهم وشنوا الغارات ما بين سورا وكسكر والصراة الى الفلاليج والاستانات
فقال أهل الحيرة المثنى إن بالقرب منا قرية فيها سوق عظيم تقوم في كل

شهر مرة فتأتىها تجار فارس والأهواز وسائر البلاد فان قدرت على الغارة على تلك السوق أصبت أموالا رغبة يعنون سوق بغداد وكانت قرية تقوم بها سوق فى كل شهر فأخذ المثنى على البر حتى أتى الأنبار فتحصن منه أهلها فأرسل الى بسفروخ مرزبانها ليسير اليه فيكلمه بما يريد وجعل له الأمان فأقبل المرزبان حتى عبر اليه فخلا به المثنى وقال انى أريد أن أغير على سوق بغداد فأريد أن تبعث معى أدلاء فيدلوني على الطريق وتُسَوِّى لى الجسر لأعبر الفرات ففعل المرزبان ذلك وقد كان قطع الجسر لثلاثعبر العرب اليه فعبر المثنى مع أصحابه وبعث المرزبان معه الأدلاء فسار حتى وافى السوق ضحوة فهرب الناس وتركوا أموالهم فملؤا أيديهم من الذهب والفضة وسائر الأمتعة ثم رجع الى الأنبار ووافى معسكره ولما بلغ سويد بن قطبة العجلي أمر المثنى بن حارثة وما نال من الظفر يوم مهران كتب الى عمر بن الخطاب يعلمه وهن الناحية التى هو بها ويسأله أن يمدّه بجيش فندب عمر بن الخطاب لذلك الوجه عتبة بن غزوان المازنى وكان حليفا لبني نوفل بن عبد مناف وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وضم اليه ألفى رجل من المسلمين وكتب الى سويد بن قطبة يأمره بالانضمام اليه فلما سار عتبة شيعه عمر رضى الله عنه فقال يا عتبة إن إخوانك من المسلمين قد غلبوا على الحيرة وما يليها وعبرت خيلهم الفرات حتى وطئت بابل مدينة هاروت وماروت ومنازل الجبارين وإن خيلهم اليوم لتغير حتى تُشارف المدائن وقد بعثتك فى هذا الجيش فاقصد قصد أهل الاهواز فاشغل أهل تلك الناحية أن يمدوا

أصحابهم بناحية السواد على اخوانكم الذين هناك وقتلهم مما يلي الأبلّة فسار
عتبة بن غزوان حتى أتى مكان البصرة اليوم ولم تكن هناك يومئذ إلا الخريبة
وكانت منازل خربة وبها مسالح لكسرى تمنع العرب من العيث في تلك
الناحية فترّلها عتبة بن غزوان بأصحابه في الاخبية والقباب ثم سار حتى نزل
موضع البصرة وهي اذ ذاك حجارة سود وحصى وبذلك سميت البصرة ثم
سار حتى أتى الأبلّة فافتتحها عنوة وكتب الى عمر رضي الله عنه أما بعد فان
الله وله الحمد فتح علينا الأبلّة وهي مرقى سفن البحر من عُمان والبحرين
وفارس والهند والصين وأغنمنا ذهبهم وفضتهم وذراريهم وأنا كاتب اليك
ببيان ذلك إن شاء الله وبعث بالكتاب مع نافع بن الحرث بن كلابه الثقفي
فلما قدم على عمر رضي الله عنه تباشر المسلمون بذلك فلما أراد نافع الانصراف
قال لعمر يا أمير المؤمنين اني قد اقليت فلاءً بالبصرة واتخذت بها تجارة
فاكتب الى عتبة بن غزوان أن يحسن جوارى فيكتب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الى عتبة أما بعد فان نافع بن الحرث ذكر أنه قد اقلى فلاءً
وأحب أن يتخذ بالبصرة داراً فاحسن جواره واعرف له حقه والسلام فخط
له عتبة بالبصرة خطّة فكان نافع أول من خطّ خطّة بالبصرة وأول من اقلى
بها الافلاء وارتبط بها رباطاً ثم ان عتبة سار الى المذار وأظهره الله عليهم ووقع
مرزبانها في يده فضرب عنقه وأخذ برّته وفي منطقته الزمرد والياقوت وأرسل
بذلك الى عمر رضي الله عنه وكتب اليه بالفتح فتباشر الناس بذلك وأكبوا
على الرسول يسألونه عن أمر البصرة فقال ان المسلمين يهلون بها الذهب

والفضة هبلا فرغب الناس اليها في الخروج حتى كثروا بها وقوى أمرهم
فخرج عتبة بهم إلى فرات البصرة فافتتحها ثم سار إلى دسيت ميسان فافتتحها
بعد أن خرج إليه مرزبانها بجنوده فالتقوا فقتل المرزبان وأهزمت العجم
فدخل مدينتها لا يمنعه شيء فخلف بها رجلا وسار إلى أبرقباد فافتتحها ثم
انصرف إلى مكانه من البصرة وكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فتح الله
عليه من هذه المدن والبلدان وبعث بالكتاب مع أنس بن الشيخ بن النعمان
فاختلفت القبائل إليها حتى كثروا بها ثم إن عتبة استأذن عمر في القدوم عليه
فأذن له فاستخاف المغيرة بن شعبه ثم خطب الناس حين أراد الخروج خطبة
طويلة قال فيها أعوذ بالله أن أكون في نفسي عتيا وفي أعين الناس صغيرا
وأنا سائر ولا قوة إلا بالله وستجربون الأمراء بعدى فتعرفون وكان الحسن
البصري يقول إذا تحدث بهذا الحديث قد جربنا الأمراء بعده فوجدنا له
النضل عليهم . وإن عمر رضي الله عنه أقر المغيرة على ثغر البصرة فسار بالناس
نحو ميسان فخرج إليه مرزبانها فخاربه فأظهر الله المسامين وافتتح البلاد عنوة
وكتب إلى عمر بالفتح ثم كان من أمر المغيرة والنفر الذين رموه ما كان وبلغ
ذلك عمر رضي الله عنه فأمر أبا موسى الأشعري بالخروج إليها وأن يصرف
الخطاط من هناك من العرب ويجعل كل قبيلة في محلة وأن يأمر الناس بالبناء
وأن يبني لهم مسجدا جامعاً وأن يشخص إليه المغيرة بن شعبه فقال أبو موسى
يا أمير المؤمنين فوجهه معي نفراً من الأنصار فإن مثل الأنصار في الناس
كمثل الملح في الطعام فوجهه معه عشرة من الأنصار فيهم أنس بن مالك والبراء بن

مالك فقدم أبو موسى البصرة وبعث إليه بالمغيرة بن شعبة والنفر الذين شهدوا عليه فبألهم عمر رضى الله عنه فلم يصبر حوا فجلدهم وأمر المغيرة أن يلحق بالبصرة فيعاون أبا موسى على أمره ونظر أبو موسى إلى زياد بن عبيد وكان عبداً مملوكاً أثقيف فأعجبه عتقه وأدبه فاتخذته كاتباً وأقام معه وقد كان قبل ذلك مع المغيرة بن شعبة

(مالك يزدجرد بن شهر بار وواقعة القادسية)

دلوا فلما نظرت الفرس إلى العرب قد حشدوا بهم وبشوا الغارات في أرضهم قالوا فيما بينهم إنما أئتنا من تلك النساء علينا فاجتمعوا على يزدجرد ابن شهر بار بن كسرى أبرويز فملكوه عليهم وهو يومئذ غلام ابن ست عشرة سنة وثبتت طائفة على آرميدخت فتحارب الفريقان فكان الظفر ليزدجرد فخامت آرميدخت وتلك يزدجرد فجمع إليه أطرافه واستجاش أقطار أرضه وولى أمرهم رستم بن هرمز وكان محنكا قد جربته المهور فصار رستم نحو القادسية وبلغ ذلك جبرير بن عبد الله والمثنى بن حارثة فكتبوا إلى عمر رضى الله عنه يخبرانه فندب عمر الناس فاجتمع له نحو من عشرين ألف رجل فولى أمرهم سعد بن أبي وقاص فصار سعد بالجيش حتى وافى القادسية فضم إليه من كان هناك وتوفى المثنى بن حارثة رحمه الله فلما انتقضت عدة امرأة المثنى تزوجها سعد بن أبي وقاص وأقبل رستم بجنوده حتى نزل دير الأعور وان سعدا بعث طليحة بن خويلد الأسدي وكان من فرسان العرب في جمع ليأتيه بنجر القوم فلما عاينوا سوادهم ورأوا كثرتهم قالوا لطليحة انصرف بنا

فقال لا ولكنى ماض حتى أدخل عسكرهم وأعلم علمهم فاتهموه وقالوا له
 ما نحسبك تريد الا اللحاق بهم وما كان الله ليهديك بعد قتلك عكاشة
 ابن محصن وثابت بن أقرم فقال لهم طليحة ملأ الرعب قلوبكم وأقبل طليحة
 حتى دخل عسكر الفرس ليلا فلم يزل يجوسه ليلته كلها حتى اذا كان وجهه
 السحر مرّ بفارس منهم يعدّ بالف فارس وهو نائم فرسه مقيد فنزل ففكّ
 قيده ثم شدّ مقوده بثفر فرسه وخرج من العسكر واستيقظ صاحب الفرس
 فنادى فى أصحابه وركب فى أثره فلحقوه وقد أضاء الصبح فبدر صاحب
 الفرس اليه ووقف له طليحة فاطعنا فقتله طليحة ولحقه فارس آخر فقتله طليحة
 ولحقه ثالث فأسره طليحة وحمله على دابته وأقبل به نحو عسكر المسلمين فكبر
 الناس ودخل على سعد وأخبره الخبر . وأقام رستم بدير الاعور معسكرا
 أربعة أشهر وأرادوا مطاولة العرب ليضجروا وكان المسلمون اذا فئت أزوادهم
 وأعلافهم جردوا الخيل فأخذت على البرّ حتى تهبط على المكان الذى
 يريدون ويغيرون فينصرفون بالطعام والعلف والمواشى ثم ان عمر رضى الله
 عنه كتب الى أبى موسى يأمره أن يمدّ سعدا بالخيال فوجه اليه أبو موسى
 المغيرة بن شعبة فى ألف فارس وكتب الى أبى عبيدة بن الجراح وهو بالشام
 يحارب الروم أن يمدّ سعدا بخيل فأمدّه بقيس بن هبيرة المرادى فى
 ألف فارس وكان فى القوم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وكانت عينه فقمت
 يوم اليرموك وفيهم الأشعث بن قيس والأشتر النخعي فساروا حتى قدموا
 على سعد بالقادسية . وان يزدجرد الملك كتب الى رستم يأمره بمناجزة

العرب فرحف رستم بجنوده وعساكره حتى وافى القادسية فمعسكر على ميل من معسكر المسلمين وجرت الرسل فيما بينه وبين سعد شهرا ثم أرسل الى سعد أن ابعث الى من أصحابك رجلا له فهم وعقل وعلم لأكله فبعث اليه بالمغيرة بن شعبة فلما دخل عليه قال له رستم ان الله أعظم لنا السلطان وأظهرنا على الأمم وأخضع لنا الأقاليم وذلل لنا أهل الأرضين ولم يكن في الأرض أمة أصغر قدرا عندنا منكم لأنكم أهل قلة وذلة وأرض جعدة ومعيشة ضنك فما حملكم على تخطيتكم الى بلادنا فان كان ذلك من قحط نزل بكم فانا نوسعكم ونفضل عليكم فارجعوا الى بلادكم فقال له المغيرة أما ما ذكرت من عظيم سلطانكم ورفاهة عيشكم وظهوركم على الأمم وما أوتيتم من رفيع الشأن فنحن كل ذلك عارفون وسأخبرك عن حالنا ان الله وله الحمد أنزلنا بقفار من الأرض مع الماء النزر والعيش القشف يا كل قوينا ضعيفنا وتقطع أرحامنا ونقتل أولادنا خشية الأملاق ونعبد الأوثان فبينما نحن كذلك بعث الله فينا نبيا من صميمنا وأكرم أرومة فينا وأمره أن يدعو الناس الى شهادة أن لا اله الا الله وأن نعمل بكتاب أنزله الينا فأما به وصدقناه فأمرنا أن ندعو الناس الى ما أمره الله به فمن أجابنا كان له ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى ذلك سألناه الجزية عن يد فمن أبى جاهدناه وأنا أدعوك الى مثل ذلك فان أبيت فالسيف وضرب يده مشيرا بها الى قائم سيفه فلما سمع ذلك رستم تعاظمه ما استقبله به واغتاظ منه فقال والشمس لا يرتفع الضحى غدا حتى أقتلكم أجمعين . فانصرف المغيرة الى سعد فأخبره بما جرى بينهما وقال لسعد

استعد للحرب فأمر الناس بالتهيؤ والاستعداد فبات الفريقان يكتبون الكتابات ويعبئون الجنود وأصبحوا وقد صفوا الصفوف ووقفوا تحت الرايات وكانت بسعد علة من خراج في فخذة قد منعه الركوب فولى أمر الناس خالد بن عرفة وولى القلب قيس بن هبيرة وولى المينة شرحبيل بن السمط وولى الميسرة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وولى الرجل قيس بن خريم وأقام هو في قصر القادسية مع الحرم والذرية معه في القصر أبو محجن الثقفي محبسا في شراب شربه . ثم ان سعدا تقدم الى عمرو بن معدى كرب وقيس بن هبيرة وشرحبيل بن السمط وقال انكم شعراء وخطباء وفرسان العرب فدوروا في القبائل والرايات وحرضوا الناس على القتال . قال ثم زحف الفريقان بعضهم الى بعض وقد صف العجم ثلاثة عشر صفيا بعضها خلف بعض وحصنت الحرب ثلاثة صفوف فرشقهم العجم بالنشاب حتى فشت فيهم الجراحات فلما رأى قيس بن هبيرة ذلك قال لخالد بن عرفة وكان أمير الأمراء أيها الأمير انا قد صرنا لهؤلاء القوم غرضا فاحمل عليهم بالناس حملة واحدة فتطاعن الناس بالرمح مليا ثم أفيضوا الى السيف وكان زيد بن عبد الله النخعي صاحب الحملة الأولى فكان أول قتيل فأخذ الراية أخوه أرجاء فقتل ثم حلت بحيلة وعليها جرير بن عبد الله وحملت الازد وثار القمام واشتد القتال فانهزمت العجم حتى لحقوا برستم فترجل رستم وترجل معه الاساورة والمرازبة وعظماء الفرس وحملوا فجال المسلمون جولة وكلم أبو محجن أم ولد سعد فقال أطلقيني من قيدي ولك على عهد الله أن لم أقتل أن أرجع الى محبسى هذا وقيدى

ففعلت وحملته على فرس لسعد أبلق فأنتهى الى القوم مما يلي الازد وبجيلة
مما يلي الميمنة فجعل يحمل ويكشف العجم وقد كانوا كثروا على بجيلة فجعل
سعد يعجب ولا يدري من هو ويعرف الفرس . وبعث سعد الى جرير
ابن عبد الله وكان معه لواء بجيلة والى الأشعث بن قيس ومعه لواء كندة
والى رؤساء القبائل أن اجعلوا على القوم من ناحية الميمنة على القلب فحمل
الناس عليهم من كل وجه وانتفضت تهبية الفرس وقتل رستم وولت العجم
هاربة وانصرف الى محبسه أبو مخجن وطلب رستم في المعركة فأصيب بين
القتلى وبه دابة جراحة ما بين طمعة وضربة ولم يدر من قتله ويقال بل ارتطم
في نهر القادسية فغرق . وانتهت هزيمة العجم الى دير كعب فأنزلوا هناك فاستقبلهم
النخارجان وقد وجهه يزدجرد مددا فوقف بدير كعب فكان لا يمر به أحد
من الفل إلا حبسه قبله . ثم عبي القوم وكتبوا كتابهم ووقفوا موافقهم حتى
واقفهم العرب وتواقف الفريقان وبرز النخارجان فنادى مرد ومردأى رجل
ورجل فخرج اليه زهير بن سليم أخو مخنف بن سليم الأزدى وكان النخارجان
سمينا بدينا جسيما وزهير رجلا مربوعا شديد العضدين والساعدين فرمى
النخارجان بنفسه عن دابته عليه فاعتركا فصرعه النخارجان وجلس على صدره
واستلّ خنجره ليذبحه فوقمت ابهام النخارجان في فم زهير فمضغها واسترخى
النخارجان وانقلب عليه زهير وأخذ خنجره وأدخل يده تحت ثيابه فبعجه
وقتله . وكان برذون النخارجان مدربا فلم يبرح فركبه زهير وقد سلبه سواريه
ودرعه وقبائه ومنطقته فأتى به سعدا فأغرمه آياه وأمره سعد أن يتزيا بزيه

ودخل على سعد فكان زهير بن سليم أول من لبس من العرب السوارين .
وحمل قيس بن هبيرة على جيلوس رأس المستميتة فقتله وحمل المسلمون من
كل جانب فانهزمت العجم وبادر جرير بن عبد الله الى القنطرة فعطفوا
عليه فاحتلوه برماحهم فسقط الى الأرض ولحقه أصحابه وهربت عنه العجم
ولم يصبه شيء وعار فرسه فلم يلحق فأتى بيرذون من مراكب الفرس في عنقه
قلادة زمرد فركبه وذهبت العجم على وجوهها حتى لحقت بالمدائن وكتب
سعد الى عمر رضى الله عنه بالفتح وكان عمر رضى الله عنه يخرج في كل يوم
ماشيا وحده لا يدع أحدا يخرج معه فيمشى على طريق العراق ميلين أو
ثلاثة فلا يطلع عليه راكب من جهة العراق الا سأله عن الخبر فيينا هو كذلك .
يوما طلع عليه البشير بالفتح فلما رآه عمر رضى الله عنه ناداه من بعيد ما الخبر
قال فتح الله على المسلمين وانهزمت العجم وجعل الرسول يُخبّ ناقته وعمر
يعدو معه ويسأله ويستخبره والرسول لا يعرفه حتى دخل المدينة كذلك
فاستقبل الناس عمر رضى الله عنه يسلمون عليه بالخلافة وإمرة المؤمنين فقال
الرسول وتخير سبحانه الله يا أمير المؤمنين ألا أعلمتني فقال عمر لا عليك ثم
أخذ الكتاب فقرأه على الناس

(تصير الكوفة)

وأقام سعد في عسكره بالقادسية الى أن أتاه كتاب عمر يأمر أن يضع
لمن معه من العرب دار هجرة وان يجعل ذلك بمكان لا يكون بين عمر وبينهم
بحر فصار الى الأنبار ليجعلها دار هجرة فكرها الكثرة الذباب بها ثم ارتحل

الى كوفية ابن عمر فلم يعجبه موضعها فأقبل حتى نزل موضع الكوفة اليوم
فخطا خططا بين من كان معه وبنى لنفسه القصر والمسجد . وبلغ عمر أن
سعدا علق بابا على مدخل القصر فأمر محمد بن مسلمة أن يسير الى الكوفة
فيدعو بنار فيحرق ذلك الباب وينصرف من ساعته وأقبل محمد فصار حتى
دخل الكوفة وفعل ما أمر به وانصرف من ساعته وأخبر سعد فلم يخرج جوابا
وعلم أن ذلك من أمر عمر فقال بشر بن أبي ربيعة

أَلَمْ تَخَيَّلْ مِنْ أُمَيْمَةَ مَوْهِنًا	وقد جعلت أحدى النجوم تغور
ونحن بصحراء العذيب ودونها	حجازية أن المحل شطير
فزارت غريبًا نازحًا جل ماله	جواد ومفتوق الغرار طير
وحلت ياب القادسية ناقتي	وسعد بن وقاص على أمير
تذكر هداك الله وقع سيوفنا	ياب قديس والمكر غرير
عشية ود القوم لو أن بعضهم	يعار جناح طائر فيطير
إذا برزت منهم إلينا كتيبة	أتونا بأخرى كالجبال تمور
فضاربهم حتى تفرق جمعهم	وطاعنت انى بالطعان بصير
وعمر أبو ثور شهيد وهاشم	وقيس ونعمان الفتى وجري

وقال عروة بن الورد

لقد علمت عمرو ونهبان أني	أنا الفارس الحامي اذا القوم أذبروا
واني اذا كروا شددت أمامهم	كأني أخو قصباء جهنم غضنفر
صبرت لأهل القادسة معلمًا	ومثلي اذا لم يصبر القرن يصبر

فطاعنهم بالرُمح حتى تبدّدوا وضاربهم بالسيف حتى تَكَرُّروا
 بذلك أوصاني أبي وأبو أبي بذلك أوصاه فليستُ أَقْصَرُ
 حمدتُ إلهي اذ هداني لدينه فله أسعى ما حيتُ وأشكرُ
 وقال قيس بن هُبيرة

جلبتُ الخيلَ من صنعاء تردى بكلِّ مدججٍ كاللَيْثِ حامي
 الى واد القرى فديارِ كلب الى اليرموك والبلدِ الشامي
 فلما أن زوينا الروم عنها عطفناها ضوامر كالجلام
 فأبنا القادسية بعد شهرٍ عطفناها ضوامر كالجلام
 فناهضنا هناك جموع كسرى وأبناء المرازبة العظام
 فلما أن رأيتُ الخيلَ جالت قصدتُ لموقف الملك الهمام
 فاضربُ رأسه فهوى صريهاً بسيفٍ لا أفلَّ ولا كهام
 وقد أبلى الاله هناك خيراً وفعلُ الخير عند الله نامي
 ففلقُ هامهم بمهنداتٍ كأنَّ فراشها قيصُ النعام

(فتح المدائن)

قالوا ولما انهزمت العجم من القادسية وقتل صناديدهم مروا على وجوههم
 حتى لحقوا بالمدائن وأقبل المسلمون حتى نزلوا على شطِّ دجلة بازاء المدائن
 فعسكروا هناك وأقاموا فيه ثمانية وعشرين شهراً حتى أكلوا الرطب مرتين
 وضحووا أضحيتين فلما طال ذلك على أهل السواد صالحه عامة الدهاقين بتلك
 الناحية ، ولما رأى يزيد جرد ذلك جمع اليه عظماء مرازبة فقسم عليهم بيوت

أمواله وخزائنه وكتب عليهم بها التبعالات وقال ان ذهب ملكنا فنتم أحق به وان رجع رد دتموه علينا ثم تحمّل في حرّه وحشمه وخاصة أهل بيته حتى أتوا لحوان فنزلها وولى خرزاد بن هرمز أخا رستم المقتول بالمقادسية الحرب وخلفه بالمداين . وبلغ ذلك سعدا فتأهب وأمر أصحابه أن يقتحموا دجلة وابتدأ فقال بسم الله ودفع فرسه فيها ودفع الناس فسلموا عن آخرهم إلا رجلا غرق وكان على فرس شقراء فخرج الفرس تنفض عرقها وغرق راكبها وكان من طيء يسمى سليلك بن عبد الله فقال سلمان وكان حاضرا يومئذ يامعشر المساهين ان الله ذل لكم البحر كما ذل لكم البر أما والذي نفس سلمان بيده ليغيرن فيه وليبدلن قالوا ولما نظرت الفرس الى العرب قد أقحموا دوابهم الماء وهم يعبرون تنادوا ديوان آمدند ديوان آمدند فخرج خرزاد في الخيل حتى وقف على الشريعة ونادى يامعشر العرب البحر بحرنا فليس لكم أن تقتحموه علينا وأقبلوا يرمون العرب بالثياب واقتحم منهم ناس كثير الماء فقاتلوا ساعة وكأثرتهم العرب فخرجت الفرس من الشريعة وخرج المساهون وقتلواهم مليا وانهمزمت العجم حتى دخلت المداين فتحصنوا فيها وأناخ المساهون عليهم مما يلي دجلة فلما نظر خرزاد الى ذلك خرج من الباب الشرقي ليلا في جنوده نحو جلولاء وأخلى المداين فدخلها المساهون فأصابوا فيها غنائم كثيرة ووقعوا على كافور كثير فظنوه ملحا فجعلوه في خبزهم فأمر عليهم . وقال مخنف ابن سليم لقد سمعت في ذلك اليوم رجلا ينادى من يأخذ صحيفة حمراء بصحفة بيضاء لصحفة من ذهب لا يعلم ما هي . وكتب سعد الى عمر رضي الله

عنه بالفتح وأقبل عِلج من أهل المدائن إلى سعد فقال أنا أدلكم على طريق
تدركون فيه القوم قبل أن يُعنعوا في السير فقدمه سعد إمامه واتبعته الخيل
فقطع بهم مخاض وصحارى

(وقعة جلولا)

ثم ان خرزاد لما انتهى إلى جلولا أقام بها وكتب إلى يزيد جرد وهو
بمحلوان يسأله المدد فأمدّه فخندق على نفسه ووجهوا بالذراري والانتقال إلى
خاتقين ووجه سعد اليهم بخيل وولى عليها عمرو بن مالك بن نجبة بن نوفل
ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة فصار حتى وافى جلولا والعجم مجتمعون
قد خندقوا على أنفسهم فنزل المسلمون قريبا من معسكرهم وجعلت الامداد
تقدم على العجم من الجبل واصبهان فلما رأى المسلمون ذلك قالوا لا ميرهم
عمرو بن مالك ما تنتظر بمناهضة القوم وهم كل يوم في زيادة فكتب إلى
سعد بن أبي وقاص يعلمه ذلك ويستأذنه في مناجزة القوم فأذن له سعد
ووجه اليه قيس بن هبيرة مددا في ألف رجل أربع مائة فارس وست مائة راجل
وبلغ العجم أن العرب قد أتاهم المدد فتأهبوا للحرب وخرجوا ونهض اليهم
عمرو بن مالك في المسلمين وعلى ميمته حنجر بن عدي وعلى ميسرته زهير
ابن جوية وعلى الخيل عمر بن معدى كرب وعلى الرجال طليحة بن خويلد
فتزاحف الفريقان وصبر بعضهم لبعض فتراموا بالسهم حتى أنفدوها وتطاعنوا
بالرمح حتى كسروها ثم أفضوا إلى السيوف وعمد الحديد فاقتلوا يومهم ذلك
كله إلى الليل ولم يكن للمسلمين فيه صلاة الا ايماء والتكبير حتى اذا اصفرت

الشمس أنزل الله على المسلمين نصره وهزم عدوهم فقتلوهم الى الليل وأغنهم
الله عسكرهم بما فيه . فقال محقن بن ثعلبة فدخلت في معسكرهم الى فسطاط
فاذا أنا بجارية على سرير في جوف الفسطاط كأن وجهها دارة القمر فلما نظرت
إلى فرغت وبكت فأخذتها وأتيت الأمير عمرو بن مالك فاستوهبته إياها
فوهبها لي فأخذتها أم ولد . وأصاب خراجة بن الصلت في فسطاط من
فساطيطهم ناقة من ذهب موشحة بالولوء والدرّ الفارد والياقوت عليها تمثال
رجل من ذهب وكانت على كبر الظبية فدفعها الى المتولى لقبض الغنائم .
قال ومرت الفرس على وجوهها لا تلوى على شيء حتى انتهت الى يزدجرد
وهو بمخلوان فسقط في يديه فتحمل بحرمه وحشمه وما كان معه من أمواله
وخرائنه حتى نزل قم وقاشان . وأصاب المسلمون يوم جلولاء غنيمة لم يغنموا
مثلا قط وسبوا سبيا كثيرا من بنات أحرار فارس فذكروا أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان يقول اللهم اني أعوذ بك من أولاد سبايا الجلوليات فأدرك
أبنائهن قتال صفين . فخلف عمرو بن مالك بجلولاء جرير بن عبد الله البجلي
في أربعة آلاف فارس مسلحة بها ليردوا العجم عن نفوذها الى ما يلي
العراق وسار ببقية المسلمين حتى وافى سعد بن أبي وقاص وهو مقيم بالمدائن
فارتحل سعد بالناس حتى ورد الكوفة وكتب الى عمر رضي الله عنه بالفتح
وأقام سعد أميرا على الكوفة وجميع السواد ثلاث سنين ونصف ثم عزله عمر
وولى مكانه عمار بن ياسر على الحرب وعبد الله بن مسعود على القضاء وعمرو
ابن حنيفة على الخراج

(فتح تستر)

قالوا ولما انتهت هزيمة العجم الى حلوان وخرج يزدجرد هارباً حتى نزل قم وقاشان ومعه عظماء أهل بيته وأشرافهم قال له رجل من خاصته وأهل بيته يسمى هرمزان وكان خال شيرويه بن كسرى ابرويز أيها الملك ان العرب قد اقتحمت عليك من هذه الناحية يعني حلوان ولهم جمع بناحية الاهواز ليس في وجوههم أحد يردهم ولا يمنعهم من العيث والفساد يعني خيل أبي موسى الاشعري ومن كان معه قال يزدجرد فما الرأي قال الهرمزان الرأي أن توجهني الى تلك الناحية فأجمع إلى العجم وأكون رداء في ذلك الوجه وأجمع لك الأموال من فارس والاهواز وأحملها اليك لتتقوى بها على حرب أعدائك فأعجبه ذلك من قوله وعقد له على الاهواز وفارس ووجه معه جيشاً كثيفاً فأقبل الهرمزان حتى وافى مدينة تستر فزّلها ورمّ حصنها وجمع الميرة فيها لحصار ان رَهَقَه وأرسل فيمن يليه يستنجدهم فوافاه بشر عظيم فكتب أبو موسى الى عمر يخبره الخبر فكتب عمر رضى الله عنه الى عمار بن ياسر يأمره أن يوجه النعمان بن مقرن في ألف رجل من المسلمين الى أبي موسى فكتب عمار الى جرير وكان مقبلاً بجاولاء يأمره باللاحاق بأبي موسى فخلف جرير بجاولاء عروة ابن قيس البجلي في ألفي رجل من العرب وسار ببقية الناس حتى لحق بأبي موسى . فكتب أبو موسى الى عمر يستزيده في المدد فكتب عمر الى عمار يأمره أن يستخلف عبد الله بن مسعود على الكوفة في نصف الناس ويسير بالنصف الآخر حتى يلحق بأبي موسى فسار عمار حتى ورد على أبي موسى

وقد وافاه جرير من ناحية جلولا فلما توافت العساكر عند أبي موسى ارتحل
بالناس وسار حتى أناخ على تستر وتحصن الهرمزان منه في المدينة ثم تاهب
للحرب وخرج إلى أبي موسى وعبي أبو موسى المسلمين فجعل على ميمته البراء
ابن مالك أخا أنس بن مالك وعلى ميسرته مجزأة بن ثور البكري وعلى جميع
الناس أنس بن مالك وعلى الرجالة سلحة بن رجاء وتزاحف الفريقان فاقتتلوا
قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بين الفريقين ثم أنزل الله نصره فانهمزمت
الأعاجم حتى دخلوا مدينة تستر فتحصنوا بها وقتل البراء بن مالك ومجزأة
ابن ثور وقتل من الأعاجم في المعركة ألف رجل وأسروا منهم ستمائة أسير فقدّمهم
أبو موسى فضرب أعناقهم . وأقام المسلمون على باب مدينة تستر أياما كثيرة
وحاصروا العجم بها فخرج ذات ليلة رجل من أشرف أهل المدينة فأتى
أبا موسى مستسرا فقال تؤمنني على نفسي وأهلي وولدي ومالي وضياعي حتى
أعمل في أخذك المدينة غنوة قال أبو موسى إن فعلت فلك ذلك قال الرجل
وكان اسمه سينة ابعث معي رجلا من أصحابك فقال أبو موسى أيها الناس
من رجل يشري نفسه ويدخل مع هذا العجمي مدخلا لا آمن عليه فيه
الهلاك ولعل الله أن يسلمه فان يهلك فإلى الجنة وإن يسلم عمت منفعة جميع
الناس فقام رجل من بني شيبان يقال له الأشرس بن عوف فقال أنا فقال
أبو موسى أمض كلاك الله فمضى حتى خاض به دجيل ثم أخرجه في مَرَب
حتى انتهى به إلى داره ثم أخرجه من داره وألقى عليه طيلسانا وقال امش
ورأى كأنك من خدمي ففعل فجعل سينة يمرّ به في أقطار المدينة طولا وعرضا حتى

انتهى به الى الاحراس الذين يحرسون أبواب المدينة ثم انطلق حتى مرّ به على الهرمزان وهو على باب قصره ومعه ناس من مرابته وشمع أمامه حتى نظر الرجل الى جميع ذلك ثم انصرف الى داره وأخرجه من ذلك السرب حتى أتى به أبا موسى فأخبره الاشرس بجميع ما رأى وقال وجهه معى مائتى رجل حتى أقصد بهم الحرس فاقتلهم وأفتح لك الباب ووافنا أنت بجميع الناس فقال أبو موسى من يشتري نفسه لله فيمضى مع الاشرس فانتدب مائتا رجل فمضوا مع الاشرس وسينة حتى دخلوا من ذلك النقب وخرجوا في دار سينة وتأهبوا للحرب ثم خرجوا والاشرس أمامهم حتى انتهوا الى باب المدينة وأقبل أبو موسى في جميع الناس حتى وافوا الباب من خارج وأقبل الاشرس وأصحابه حتى أتوا الاحراس فوضعوا فيهم السيف وتداعى الناس وأسندوا ظهورهم الى حائط السور وأبو موسى أصحابه يكبرون لتشتدّ بذلك ظهورهم وأفضى أصحاب الاشرس الى الباب فضربوا القفل حتى كسروه وفتحوا الباب ودخل أبو موسى والمسلمون فوضعوا فيهم السيوف وهرب الهرمزان في عظماء مرابته حتى دخلوا الحصن الذى فى جوف المدينة وأخذ أبو موسى المدينة بما فيها وحاصروا الهرمزان حتى فنى ما كان أعده فى الحصن من الميرة ثم سأل الأمان فقال أبو موسى أوثمنك على حكم أمير المؤمنين فرضى بذلك وخرج فيمن كان معه من أهل بيته ومرابته الى أبى موسى فوجه به وبهم أبو موسى الى عمر رضى الله عنه ووجه معه ثلثمائة رجل وأمر عليهم أنس بن مالك فساروا حتى انتهوا الى ماء يقال له السمينه فأقبل أهل الماء يمنعونهم من

النزول خوفا من أن ينفوا ماءهم فلما علموا أن أنسا صاحب القوم جاؤهم فنزلوا فقال رجل من أصحاب أنس لأنس أخبر أمير المؤمنين بما صنع هؤلاء بنا ليخرجهم من هذا الماء قال الهرمزان وإن أراد مريد أن يحوهم الى مكان شر منه هل كان يجده ثم ساروا حتى وافوا المدينة فأتوا دار عمر وقد زينوا الهرمزان بقبائه ومنطقته وسيفه وسواريه وتوأمته وكذلك من كان معه لينظر عمر رضى الله عنه الى زى الملوك والمرآة وهيئتهم فكان من خبره ماهو مشهور. وانصرف عمار بن ياسر فيمن كان معه من أصحابه الى أوطانهم بالكوفة وسار أبو موسى من تستر حتى أتوا السوس فحاصرها فسأله مرزبانها أن يؤمنه في ثمانين رجلا من أهل بيته وخاصة أصحابه فأجابته الى ذلك فخرج اليه فعده ثمانين رجلا ولم يعد نفسه فأمر أبو موسى به فضربت عنقه وأطلق الثمانين الذين عهدهم ثم دخل المدينة فغضم ما فيها ثم بعث منجوف ابن ثور الى مهرجاننقذق فافتتحها ومعه السائب بن الأقرع فاتهمى السائب الى قصر الهرمزان صاحب تستر وكان موطنه الصيمرة فدخل القصر وكان من المدينة على ميل فنظر في بعض البيوت الى تمثال في الحائط ماذا أصعبه مصوبها الى الارض فقال السائب ما صوبت أصبع هذا التمثال الى هذا المكان الا لأمر أحفروا هاهنا فحفروا فأصابوا سفطا كان للهرمزان مملوءا جوهرها فاحتبس منه السائب فص خاتم وسرح بالباقي الى أبي موسى وأعلمه أنه أخذ منه فصا فسأله أن يهبه له ففعل أبو موسى ووجهه بالسفط الى عمر رضى الله عنه فأرسل عمر الى الهرمزان وقال هل تعرف هذا السفط فقال

انعم أفقد منه فصا قال عمر ان صاحب المقسم استوهبه فوهبه له أبو موسى
فقال ان صاحبكم لبصير بالجواهر ثم ان عمرو بن عثمان بن أبي العاص أرض
البحرين فلما بلغه فتح الأهواز سار بمن كان معه حتى وغل في أرض فارس
فزل مكانا يسمى توج فصيره دار هجرة وبني مسجدا جامعاً فكان يحارب
أهل أردشير حتى غلب على طائفة من أرضهم وغلب على ناحية من بلاد
سابور وبلاد اصطخر وأرجان فكث بذلك حولاً ثم خلف أخاه الحكم
ابن أبي العاص على أصحابه ولحق بالمدينة . وان مرزبان فارس جمع جموعاً
عظيمة وزحف الى الحكم فظفر به الحكم فقتله وكان اسمه سهرك

(وقعة نهاوند)

ثم كانت وقعة نهاوند سنة احدى وعشرين وذلك أن العجم لما قتلوا
بجلولاء وهرب يزدجرد الملك فصار بقوم ووجه رساله في البلدان يستجيش
فغضب له أهل مملكته فأنحلت اليه الأعاجم من أقطار البلاد فأتاه أهل
قومس وطبرستان وجرجان ودنباوند والري وأصبهان وهمدان والماهين
 واجتمعت عنده جموع عظيمة فولى أمرهم مردان شاه بن هرمز ووجههم الى
نهاوند وكتب عمار بن ياسر الى عمر بن الخطاب بذلك فخرج عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ويده الكتاب حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
يامعشر العرب ان الله أيدكم بالاسلام وألف بينكم بعد الفرقة وأغناكم بعد
الفاقة وأظفركم في كل موطن لقيتم فيه عدوكم فلم تغلبوا ولم تغلبوا وأن الشيطان
قد جمع جموعاً ليظني نور الله وهذا كتاب عمار بن ياسر يذكر ان أهل

قومس وطبرستان ودنباوند وجرجان والرى وأصبهان وقمّ وهمدان والماهين
وماسبذان قد أجفلوا الى ملكهم ليسيروا الى اخوانكم بالكوفة والبصرة
حتى يطردوهم عن أرضهم ويغزوكم فى بلادكم فأشيروا علىّ فتكلم طلحة
ابن عبيد الله فقال ياأمير المؤمنين ان الأمور قد حنكتك وان الدهور قد
جرّبتك وأنت الوالى فمرنا نطع واستنهضنا. نهض ثم تكلم عثمان بن
عفان فقال ياأمير المؤمنين أكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم والى
أهل اليمن فيسيروا من بينهم والى أهل البصرة فيسيروا من بصرتهم وسرّ
أنت بأهل هذا الحرم حتى توافى الكوفة وقد وافاك المسلمون من أقطار
أرضهم وآفاق بلادهم فانك اذا فعلت ذلك كنت أكثر منهم جمعاً وأعز نفراً
فقال المسلمون من كل ناحية صدق عثمان فقال عمر اعلّى رضى الله عنهما
ما تقول أنت ياأبا الحسن فقال علىّ رضى الله عنه انك ان أشخّصت أهل
الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان سirt أهل اليمن من بينهم
خلقت الحبشة على أرضهم وان شخّصت أنت من هذا الحرم انتقضت عليك
الأرض من أقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العيالات أهمّ اليك
مما قدامك وان العجم اذا رأوك عياناً قالوا هذا ملك العرب كلها فكان
أشدّ لقتالهم وانا لم تقاتل الناس على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم ولا بعده
بالكثرة بل أكتب الى أهل الشام أن يُقيم منهم بشامهم الثلثان ويشخص
الثلث وكذلك الى عُمان وكذلك سائر الامصار والكور فقال عمر هو الرأى
الذى كنت رأيتة ولكنى أحببت أن تتابعونى عليه فكتب بذلك الى الامصار

ثم قال لأولين الحرب رجلا يكون غدا لاسنة القوم جزرا فولى الامر النعمان ابن مقرن المزني وكان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان على خراج كسكر فدعا عمر السائب بن الاقرع فدفع اليه عهد النعمان ابن مقرن وقال له ان قُتل النعمان فولى الأمر حذيفة بن اليمان وان قُتل حذيفة فولى الأمر جرير بن عبد الله البجلي وان قُتل جرير فالامير المغيرة ابن شعبة وان قُتل المغيرة فالامير الاشعث بن قيس وكتب الى النعمان بن مقرن ان قبلك رجلين هما فارسا العرب عمر بن معدى كرب وطليحة بن خويلد فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئا من الامر ثم قال للسائب ان أظفر الله المسلمين فتول أمر المغنم ولا ترفع اليّ باطلا وان يهلك ذلك الجيش فاذهب فلا أرينك فسار السائب حتى ورد الكوفة ودفع الى النعمان عهده ووافى الامداد وخلف أبو موسى بالبصرة ثلثي الناس وسار بالثلث الآخر حتى وافى الكوفة فتجهز الناس وساروا الى نهاوند فنزلوا بمكان يسمى الاسفيذهان من مدينة نهاوند على ثلاثة فراسخ قرب قرية يقال لها قديسجان وأقبلت الاعاجم يقودها مردان شاه بن هرمزد حتى عسكروا قريبا من عسكر المسلمين وخندقوا على أنفسهم وأقام الفريقان بمكانيهما فقال النعمان لعمر وطليحة ما تريان فان هؤلاء القوم قد أقاموا بمكانهم لا يخرجون منه وامدادهم تترى عليهم كل يوم فقال عمرو والرأى أن تُشيع ان أمير المؤمنين توفي ثم ترتحل بجميع من معك فان القوم اذا بلغهم ذلك طلبونا فنقف لهم عند ذلك ففعل النعمان ذلك وتباشرت الاعاجم وخرجوا في آثار المسلمين

حتى اذا قاربوهم وقفوا لهم ثم تراحفوا فاقتتلوا فلم يُسمع الا وقع الحديد على الحديد وكثرت القتلى من الفريقين وحال بينهما الليل فانصرف كل فريق الى معسكرهم وبات المسلمون لهم أنين من الجراح ثم أصبحوا وذلك يوم الاربعاء فتراحفوا واقتتلوا يومهم كله وصبر الفريقان ثم كان ذلك دأبهم يوم الخميس وتراحفوا يوم الجمعة وتواقفوا وركب النعمان بن مقرن برذونا أشهب ولبس ثيابا بيضا وسار بين الصفوف يذمر المسلمين ويحضرهم وجعل ينتظر الساعة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل فيها ويستنزل النصر وهي زوال النهار ومهبُّ الرياح وسار في الرايات يقول لهم اني هاز لكم الراية ثلاثا فاذا هزتها أول مرة فليشدُّ كل رجل منكم حزام فرسه وليستلم شكته فاذا هزتها الثانية فصوصوا برماحكم وهزوا سيوفكم فاذا هزتها الثالثة فكبروا واجملوا فاني حامل فلما زالت الشمس بأذني صلوا ركعتين ركعتين ووقف ونظر الناس الى الراية فلما هزها الثالثة كبروا وحملوا فانتقضت صفوف الاعاجم وكان النعمان أول قتيل فحملة أخوه سُويد بن مقرن الى فسطاطه فخلع ثيابه فلبسها وتقلد سيفه وركب فرسه فلم يشكَّ أكثر الناس انه النعمان وثبتوا يقاتلون عدوهم ثم أنزل الله نصره وانهزمت الاعاجم فذهبت على وجوهها حتى صاروا الى قرية من نهاوند على فرسخين تسمى دزيزيد فزلوها لان حصن نهاوند لم يسعهم وأقبل حذيفة بن اليمان وقد كان تولى الامر بعد النعمان حتى أناخ عليهم فحاصرهم بها قال وانهم خرجوا ذات يوم مستعدين للحرب فقاتلهم المسلمون فانهزمت الاعاجم وانقطع عظيم من عظامهم يسمى دينار

فحال المسلمون بينه وبين الدخول الى الحصن واتبعه رجل من عبس يسمى
سماك بن عبيد فقتل قوما كانوا معه واستسلم له الفارسي فاستأسره سماك فقال
لسماك انطلق بي الى أميركم فاني صاحب هذه الكورة لاصالحه على هذه الارض
وأفتح له باب الحصن فانطلق به الى حذيفة فصالحه حذيفة عليها وكتب له
بذلك كتابا فأقبل دينار حتى وقف على باب حصن نهاوند ونادى من فيه
افتحوا باب الحصن وانزلوا فقد أمنكم الأمير وصالحني على أرضكم فتنزلوا
اليه فبذلك سُميت ماه دينار وأقبل رجل من أشراف تلك البلاد الى
السائب بن الاقرع وكان على المغانم فقال له أنصالحني على ضياعي وتؤمنني
على أموالى حتى أدلك على كنز لا يُدري ما قدره فيكون خالصا لأمركم
الاعظم لانه شئ لم يؤخذ في الغنيمة. وكان سبب هذا الكنزان النُخارجان
الذى كان يوم القادسية أقبل بالمدد فألفى العجم قد انهزموا فوقف فقاتل حتى
قتل كان من عظماء الاعاجم وكان كريما على كسرى أبرويز وكانت له امرأة
من أجمل النساء جمالا وكانت تختلف الى كسرى فبلغ النُخارجان ذلك فرفضها
فلم يقربها وبلغ ذلك كسرى فقال يوما للنُخارجان وقد دخل عليه مع العظماء
والأشراف بلغني أن لك عينا عذبة الماء وانك لا تشرب منها فقال النُخارجان
أيها الملك بلغني ان الاسد ينتاب تلك العين فاجتنبتها مخافة الأسد فاستحلى
كسرى جواب النُخارجان وعجب من فطنته فدخل دار نسائه وكانت له
ثلاثة آلاف امرأة لفراشه فجمعهن وأخذما كان عليهن من حلي فجمعه ودفعه
الى امرأة النُخارجان ودعا بالصاغة فأتخذوا للنُخارجان تاجا من ذهب مكللا

بالجوهر الثمين فتوجه به فبقى ذلك التاج وتلك الحللى عند ولد بنى تلك المرأة فلما وقعت الحروب بناحيهم ساروا به الى قرية لا يهيم سميت باسمه يقال لها الخوارجان وفيها بيت نار فاقتلعوا الكانون ودفنوا الحللى تحته وأعادوا الكانون كهيئته فقال له السائب ان كنت صادقاً فانت آمن على أموالك وضياحك وأهلك وولدك فانطلق به حتى استخرجه في سفطين أحدهما التاج والآخر الحللى فما قسم السائب الغنائم بين من حضر القتال وفرغ حمل السفطين في خرجين على ناقته وقدم بهما على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكان من أمرهما الخبر المشهور اشتراها عمرو بن الحارث بعتاء المقاتلة والذرية جميعاً ثم حملهما الى الحيرة فباع بفضل كثير واعتقد بذلك أموالاً بالعراق وكان أول قرشى اعتقد بالعراق فقال عروة بن زيد الخيل يذكرا أيامهم

الاطرقت رَحلى وقد نام صُحْبى
ولو شهدت يومى جلولا حربنا
إذ الرأت ضرب امرى غير خامل
ولما دعوا ياعروة بن مهمل
دفعت عليهم رجلى وفوارسى
وكم من عدو أشوس مُتمرّد
وكم كربة فرجتها وكربة
وقد أضحت الدنيا لدى ذميمة
وأصبح همى فى الجهاد وتليق
بايوان سيرين المزخرف خلّى
ويوم نهاوند المهول استهلت
مجيد بطعن الرُمح أروع مصلت
ضربت جموع الفرس حتى تولّت
وجردت سيفى فيهم ثم ألقى
عليه بخيل فى الهياج أظلت
شدت لها أزرى الى أن تجلّت
وسلّيت عنها النفس حتى تسلّت
فله نفس أدبرت وتولّت

فلا ثروة الدنيا نريدُا كتبنا بها ألا انها عن وفورها قد تجلت
وما ذا أُرَجَى من كنوز جمعها وهذي المنايا شرعاً قد أظلت

(مقتل عمر وولاية عثمان رضي الله عنهما)

وتوفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة لاربع ليال بقين من
ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر
واستخلف عثمان بن عفان فعزل عمار بن ياسر عن الكوفة وولي الوليد بن عتبة
ابن أبي معيط وكان أخا عثمان لأمه أمهم أروى بنت أم حكيم بن عبدالمطلب
ابن هاشم وعزل أبا موسى الاشعري عن البصرة وولاهها عبد الله بن عامر
ابن كرز وكان ابن خال عثمان وكان حدث السن واستعمل عمرو بن العاص
على حرب مصر واستعمل عبد الله بن أبي سرح على خراجها وكان أخاه
من الرضاة ثم عزل عمرو بن العاص وجمع الحرب والخراج لعبد الله بن
أبي سرح

(فتح سابور)

ثم كانت غزوة سابور من أرض فارس وافتتاحها وأميرها عثمان بن
أبي العاص

(فتح افريقية)

ثم كان فتح افريقية سنة تسع وعشرين وأميرها عبد الله بن أبي سرح

(فتح قبرس)

ثم كان فتح قبرس وأميرها معاوية بن أبي سفيان

(خلع أهل اصطخر وإعادة فتحها)

ثم ان أهل اصطخر نزعوا يداً من الطاعة وقدمها يزدجرد الملك في جمع من الأعاجم فسار اليهم عثمان بن أبي العاص وعبد الله بن عامر فكان الظفر للمسلمين

(وصول يزدجرد الى مرو ومقتله)

وهرب يزدجرد نحو خراسان فأتى مرو فأخذ عامله بها وكان اسمه ماهوية بالأموال وقد كان ماهوية صاهر خاقان ملك الأتراك فلما تشدد عليه أرسل الى خاقان يعلمه ذلك فأقبل خاقان في جنوده حتى عبر النهر مما يلي أموية ثم ركب المفازة حتى أتى مرو ففتح له ماهوية أبوابها وهرب يزدجرد على رجله وحده فمشى مقدار فرسخين حتى انتهى في السحر الى رحي فيها سراج يتقد فدخلها وقال للطحان آوئني عندك الليلة قال الطحان أعطني أربعة دراهم فاني أريد أن أدفعها الى صاحب الرحا فناوله سيفه ومنطقته وقال هذا لك ففرش له الطحان كساءه فنام يزدجرد لما ناله من شدة التعب فلما استثقل نوما قام اليه الطحان بمنقار الرحا فقتله وأخذ سلبه وألقاه في النهر . ولما أصبح الناس تداعوا فأحلبوا على الأتراك من كل وجه فخرج خاقان منهزماً حتى وغل في المفازة فطلبوا الملك فلم يجدوه فخرجوا ينفون أثره حتى انتهوا اليه فوجدوه قتيلاً مطروحاً في الماء وأصابوا بزته عند الطحان فأخذوها وقتلوا الطحان وذلك في السنة السادسة من خلافة عثمان وهي سنة ثلاثين من التاريخ فعند ذلك انتضى ملك فارس فأرخوا عليه تاريخهم الذي يكتبون به اليوم .

وهرب ماهوية حتى نزل أبرشهر مخافة أن يقتله أهل مرو فمات بها

(فتح سرخس)

وسار عبد الله بن خازم السلمي الى سرخس فافتتحها أيضا وسار عبد الله

ابن عامر الى كرمان وسجستان فافتتحهما

(مقتل عثمان وبيعة على رضي الله عنهما)

ثم قتل عثمان رضي الله عنه فلما قتل بقي الناس ثلاثة أيام بلا امام وكان الذي يصلي بالناس الغافقي ثم بايع الناس عليا رضي الله عنه فقال أيها الناس بايعتموني على ما بويغ عليه من كان قبلي وانما الخيار قبل أن تقع البيعة فاذا وقعت فلا خيار وانما على الامام الاستقامة وعلى الرعية التسليم وان هذه بيعة عامة من ردّها رغب عن دين الاسلام وانها لم تكن فلتة . ثم ان عليا رضي الله عنه أظهر أنه يريد السير الى العراق وكان على الشام يومئذ معاوية بن أبي سفيان وليها لعمر بن الخطاب سبعا ووليها جميع ولاية عثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة فواتاه الناس على السير الا ثلاثة نفر سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة الأنصاري وبعث على رضي الله عنه عماله الى الامصار فاستعمل عثمان بن حنيف على البصرة وعمار بن حسان على الكوفة وكانت له هجرة واستعمل عبد الله بن عباس على جميع أرض اليمن واستعمل قيس بن سعد بن عباد على مصر واستعمل سهل بن حنيف على الشام فأما سهل فانه لما انتهى الى تبوك وهي تخوم أرض الشام استقبله خيل لمعاوية فردّوه فانصرف الى على فعلم على رضي الله عنه

عند ذلك أن معاوية قد خالف وان أهل الشام بايعوه . وحضر الموسم فاستأذن الزبير وطلحة عليا في الحج فأذن لهما وقد كانت عائشة أم المؤمنين خرجت قبل ذلك معتمرة وعثمان محصور وذلك قبل مقتله بعشرين يوما فلما قضت عمرتها أقامت فوافاها الزبير وطلحة . وكتب علي رضي الله عنه الى معاوية أما بعد فقد بلغك الذي كان من مصاب عثمان رضي الله عنه واجتماع الناس علي ومبايعتهم لي فادخل في السلم أو ائذن بحرب وبعث الكتاب مع الحجاج بن غزية الانصاري فلما قدم علي معاوية وأوصل كتاب علي اليه فقرأه فقال انصرف الى صاحبك فان كتابي مع رسولي علي أترك فانصرف الحجاج وأمر معاوية بطومارين فوصل أحدهما بالآخر ولما ولم يكتب فيهما شيئا الا بسم الله الرحمن الرحيم وكتب علي العنوان من معاوية بن أبي سفيان الى علي بن أبي طالب ثم بعث به مع رجل من عبس له لسان وجسارة فقدم العباسي علي فناوله الكتاب ففتحه فلم يرف فيه شيئا الا بسم الله الرحمن الرحيم وعند علي وجوه الناس فقام العباسي فقال أيها الناس هل فيكم أحد من عبس قالوا نعم قال فاسمعوا مني وافهموا عني اني قد خلفت بالشام خمسين ألف شيخ خاضى لحاهم بدموع أعينهم تحت قميص عثمان رافعيه على أطراف الرماح قد عاهدوا الله ألا يشيموا سيوفهم حتى يقتلوا قتلته أو تلحق أرواحهم بالله فقام اليه خالد بن زفر العباسي فقال بئس لعمر الله وافد أهل الشام أنت أتخوف المهاجرين والأنصار بجنود أهل الشام وبكائهم علي قميص عثمان فوالله ما هو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ولئن بكوا عليه بالشام فقد خذلوه

بالعراق . ثم ان المغيرة بن شعبة دخل على علي رضي الله عنه فقال ياأمير المؤمنين ان لك حق الصحبة فأقر معاوية على ما هو عليه من امرة الشام وكذلك جميع عمال عثمان حتى اذا أتتك طاعتهم ويعتهم استبدلت حينئذ أو تركت فقال علي رضي الله عنه أنا ناظر في ذلك وخرج عنه المغيرة ثم عاد اليه من غد فقال ياأمير المؤمنين اني أشرت أمس عليك برأى فلما تدبرته عرفت خطأه والرأى أن تعاجل معاوية وسائر عمال عثمان بالعزل لتعرف السامع المطيع من العاصي فتكافى كلا مجزائه ثم قام فتلقيه ابن عباس داخلا فقال اعلني رضي الله عنه فيم أتاك المغيرة فأخبره علي بما كان من مشورته بالامس وما أشار عليه بعد فقال ابن عباس أما أمس فانه نصيح لك وأما اليوم فغشك وبلغ المغيرة ذلك فقال صدق ابن عباس نصيحت له فلما رد نصحي بدلت قولي ولما خاض الناس في ذلك سار المغيرة الى مكة فأقام بها ثلاثة أشهر ثم انصرف الى المدينة . ثم ان عليا رضي الله عنه نادى في الناس بالتأهب للسير الى العراق فدخل عليه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة فقال لهم قد بلغني عنكم هنات كرهتها لكم فقال سعد قد كان ما بلغك فأعطني سيفا يعرف المسلم من الكافر حتى أقاتل به معك وقال عبد الله بن عمر أنشدك الله أن تحملني على ما لا أعرف وقال محمد بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أقاتل بسيفي ما قوتل به المشركون فاذا قوتل أهل الصلاة ضربت به صخر أحد حتى ينكسر وقد كسرتة بالامس ثم خرجوا من عنده . ثم ان أسامة بن زيد دخل فقال

اعفنى من الخروج معك فى هذا الوجه فأتى عاهدت الله أن لا أقاتل من يشهد أن لا إله إلا الله وبلغ ذلك الاشترا فدخل على على فقال يا أمير المؤمنين إنا وإن لم نكن من المهاجرين والأنصار فإنا من التابعين بإحسان وإن القوم وإن كانوا أولى بما سبقونا إليه فليسوا بأولى مما شركناهم فيه وهذه بيعة عامة الخارج منها طاعن مستعيب فعرض هؤلاء الذين يريدون التخلف عنك باللسان فإن أبوا فأدبهم بالحبس فقال على بل أدعهم ورأيهم الذى هم عليه . ولما هم على رضى الله عنه بالمسير إلى العراق اجتمع أشرف الأنصار فأقبلوا حتى دخلوا على على فتكلم عتبة بن عامر وكان بدرية فقال يا أمير المؤمنين إن الذى يفوتك من الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والسعى بين قبره ومنبره أعظم مما ترجو من العراق فإن كنت إنما تسير لحرب أهل الشام فقد أقام عمر فينا وكفاه سعد زحف القادسية وأبو موسى زحف الأهواز وليس من هؤلاء رجل إلا ومثله معك والرجال أشباه الأيام دول فقال على إن الأموال والرجال بالعراق ولأهل الشام وثبة أحب أن أكون قريبا منها ونادى فى الناس بالمسير فخرج وخرج معه الناس

(مخرج طلحة والزبير ووقعة الجمل)

قالوا ولما قضى الزبير وطلحة وعائشة حجهم تأمروا فى مقتل عثمان فقال الزبير وطلحة لعائشة إن أطعنا طلبنا بدم عثمان قالت ومن تطلبون دمه قالوا أنهم قوم معروفون وإنهم بطانة على ورؤساء أصحابه فاخرجى معنا حتى نأتى لبصرة فيمن تبعننا من أهل الحجاز وإن أهل البصرة لو قدر أولئك كانوا جميعا

(١٠ - الاخبار)

واحدة معك فأجابتهم الى الخروج فسارت والناس حولها يمينا وشمالا . ولما
فصل على من المدينة نحو الكوفة بلغه خبر الزبير وطلحة وعائشة فقال لاصحابه
ان هؤلاء القوم قد خرجوا يؤمّون البصرة لما دبروه بينهم فسيروا بنا على
أثرهم لعلنا نلحقهم قبل موافاتهم فانهم لو قد وافوها لمال معهم جميع أهلها قالوا
سرّ بنا يا أمير المؤمنين فسار حتى وافى ذا قار فأتاه الخبر بموافاة القوم البصرة
ومبايعة أهل البصرة لهم الا بنى سعد فانهم لم يدخلوا فيما دخل فيه الناس
وقالوا لاهل البصرة لا نكون معكم ولا عليكم وقعد عنهم أيضا كعب بن سور
في أهل بيته حتى أتته عائشة في منزله فأجابه وقال اكره ألا أجيب أمي
وكان كعب على قضاء البصرة ولما انتهى الخبر الى عليّ وجه هاشم بن عتبة
ابن أبي وقاص ليستنفض أهل الكوفة ثم أردفه بابنه الحسن وبعار بن ياسر
فساروا حتى دخلوا الكوفة وأبو موسى يومئذ بالكوفة وهو جالس في المسجد
والناس محتوشوه وهو يقول يا أهل الكوفة أطيعوني تكونوا جرتومة من
جرائم العرب يا أوى اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف أيها الناس ان الفتنة
اذا أقبلت شبت واذا ادبرت تبينت وان هذه هي الفتنة الباقرة لا يذرى من
أين تأتي ولا من أين توثى شيموا سيوفكم وانزعوا أسنّة رماحكم واقطعوا
أوتار قسيكم والزموا قعور البيوت أيها الناس ان النائم في الفتنة خير من القائم
والقائم خير من الساعي فاتتهى الحسن بن علي وعمار رضى الله عنهما الى
المسجد الاعظم وقد اجتمع عالم من الناس على أبي موسى وهو يقول لهم هذا
وأشباهه فقال له الحسن اخرج عن مسجدنا وامض حيث شئت ثم صعد

الحسن المنبر وعمّار صعد معه فاستنمرا الناس فقام حُجر بن عدى الكندى
وكان من أفاضل أهل الكوفة فقال انفروا خفافاً وثقالاً رحمكم الله فأجابته الناس
من كل وجه سمعاً وطاعة لأُمير المؤمنين نحن خارجون على اليسر والعسر والشدة
والرخاء فلما أصبحوا من الغد خرجوا مستعدين فأحصاهم الحسن فكانوا تسعة
آلاف وستمئة وخمسين رجلاً فوافوا علياً بذى قار قبل أن يرتحل فلما هم بالمسير
غلس الصبح ثم أمر منادياً فنادى فى الناس بالرحيل فدنا منه الحسن فقال يا أبت
أشرت عليك حين قُتل عثمان وراح الناس إليك وغدوا وسألوك أن
تقوم بهذا الأمر ألا تقبله حتى تأتيك طاعة جميع الناس فى الآفاق وأشرت
عليك حين بلغك خروج الزبير وطلحة بعائشة الى البصرة أن ترجع
الى المدينة فتقيم فى بيتك وأشرت عليك حين حوَصر عثمان أن تخرج
من المدينة فان قُتل قُتل وأنت غائب فلم تقبل رأى فى شىء من ذلك
فقال له علىّ أما انتظارى طاعة جميع الناس من جميع الآفاق فان البيعة
لا تكون الا لمن حضر الحرمين من المهاجرين والانصار فاذا رضوا وسلموا
وجب على جميع الناس الرضا والتسليم وأما رجوعى الى بيتى والجلوس فيه
فان رجوعى لو رجعت كان غدرا بالامة ولم آمن أن تقع الفرقة وتتصدع
عصا هذه الامة وأما خروجي حين حوَصر عثمان فكيف أمكننى ذلك وقد
كان الناس أحاطوا بى كما أحاطوا بعثمان فاكفف يابنى عما أنا أعلم به منك ..
ثم سار بالناس فلما دنا من البصرة كتب الكتائب وعقد الألوية والرايات
وجعلها سبع رايات عقد لمحير وهذان راية وولى عليهم سعيد بن قيس

الحمداني وعقد لمدحج والاشعريين راية وولى عليهم زياد بن النضر الحارثي
 ثم عقد للطائي راية وولى عليهم عدى بن حاتم وعقد لقيس وعبس وذبيان
 راية وولى عليهم سعد بن مسعود بن عمرو الثقفي عم المختار بن أبي عبيد وعقد
 الكندة وحضرموت وقضاة ومهرة راية وولى عليهم حجر بن عدى
 السكندى وعقد للأزد وبجيلة وخشم وخزاعة راية وولى عليهم مخنف بن
 سليم الأزدى وعقد لبكر وتغلب وأفناء ربيعة راية وولى عليهم محدوج
 الدهلي وعقد لسائر قريش والانصار وغيرهم من أهل الحجاز راية وولى
 عليهم عبد الله بن عباس فشهد هؤلاء الجمل وصفين والنهر وهم أسباع كذلك
 وكان على الرجالة جندب بن زهير الأزدى . ولما بلغ طلحة والزبير ورود
 على رضى الله عنه بالجيش وقد أقبل حتى نزل الخريبة فعباهم طلحة والزبير
 وكتباهم كتاب وعقدا الألوية فجعلوا على الخليل محمد بن طلحة وعلى الرجالة
 عبد الله بن الزبير ودفعوا اللواء الأعظم الى عبد الله بن حرام بن خويلد
 ودفعوا لواء الأزد الى كعب بن سور وولياه الميمنة ووليا قريشا وكنانة عبد
 الرحمن بن عتاب بن أسيد ووليا أمر تميم هلال بن وكيع الدارمي وجعلاهم
 في الميسرة ووليا أمر الميسرة عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وهو الذي قالت
 عائشة فيه وددت لو قعدت في بيتي ولم أخرج في هذا الوجه لكان ذلك
 أحب إلي من عشرة أولاد لو رزقن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على فضل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعقله وزهده ووليا على قيس
 مجاشع بن مسعود وعلى تيم الرباب عمرو بن يثربى وعلى قيس والانصار

وثقيف عبد الله بن عامر بن كُرَيْز وعلى خُزاعة عبد الله بن خلف الخزاعي
وعلى قُضاعة عبد الرحمن بن جابر الراسبي وعلى مَذْحِج الربيع بن زياد
الحارثي وعلى ربيعة عبد الله بن مالك . قالوا وأقام على رضي الله عنه ثلاثة
أيام يبعث رسله الى أهل البصرة فيدعوهم الى الرجوع الى الطاعة والدخول
في الجماعة فلم يجد عند القوم اجابة فزحف نحوهم يوم الخميس لعشر مضين من
جمادى الآخرة وعلى ميمته الاشر وعلى ميسرته عمار بن ياسر والراية
العظمى في يد ابنه محمد بن الحنفية ثم سار نحو القوم حتى دنا بصيفوفه من
صفوفهم فواقفهم من صلاة الغداة الى صلاة الظهر يدعوهم ويناشدهم وأهل
البصرة وقوف تحت رايتهم وعائشة في هودجها أمام القوم . قالوا وان الزبير
لما علم أن عمارا مع علي رضي الله عنهم ارتاب بما كان فيه لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحق مع عمار وتقتلك الفئة الباغية . قالوا ثم ان عليا دنا
من صفوف أهل البصرة وأرسل الى الزبير يسأله ليدنوفيكلمه بما يريد
وأقبل الزبير حتى دنا من علي رضي الله عنه فوقفا جميعا بين الصفين حتى
اختلفت أعناق فرسيهما فقال له علي ناشدتك الله يا أبا عبد الله هل تذكر
يوما مررنا أنا وأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ويدي في يدك فقال لك
رسول الله صلى الله عليه وسلم أُنْجِبْه قُلْتَ نعم يا رسول الله فقال لك أما انك
تقاتله وأنت له ظالم فقال الزبير نعم أنا ذا كر له ثم انصرف علي الى موقفه
وقال لأصحابه احمِلوا على القوم فقد أعذَرنا اليهم فحمل بعضهم على بعض
فاقتتلوا بالقتل والسيوف . وأقبل الزبير حتى دنا من ابنه عبد الله ويده الراية

العظمى فقال يا بُنَيَّ أنا منصرف قال وكيف يا أبت قال ما لي في هذا الأمر من بصيرة وقد أذكركني عليٌّ أمراً قد كنت غفلت عنه فانصرف يا بُنَيَّ معي فقال عبد الله والله لا أرجع أو يحكم الله بيننا فتركه الزبير ومضى نحو البصرة ليتحمل منها ويمضى نحو الحجاز . ويقال ان طليحة لما علم بانصراف الزبيرهم بأن ينصرف فعلم مروان بن الحكم ما يريد فرماه بسهم فوقع في ركبته فنزف حتى مات . وأقبل الزبير حتى دخل البصرة وأمر غلمانه أن يتحملوا فيلحقوا به وخرج من ناحية الخريبة فمر بالاحنف بن قيس وهو جالس بفناء داره وحوله قومه وقد كانوا اعتزلوا الحرب فقال الاحنف هذا الزبير ولقد انصرف لأمر فهل فيكم من يأتينا بخبره فقال له عمرو بن جرموز أنا آتيك بخبره فركب فرسه وتقلد سيفه ومضى في أثره وذلك قبل صلاة الظهر فلحقه وقد خرج من دور البصرة فقال له أبا عبد الله ما الذي تركت عليه القوم قال الزبير تركتهم وبعضهم يضرب وجوه بعض بالسيف قال فأين تريد قال أنصرف لحال بالي فإلى في هذا الأمر من بصيرة قال عمرو بن جرموز وأنا أيضاً أريد الخريبة فسر بنا فسارا حتى دنا وقت الصلاة فقال الزبير ان هذا وقت الصلاة وأنا أريد أن أقضيها قال عمرو وأنا أريد أن أقضيها قال الزبير أنت مني في أمان فهل أنا منك كذلك قال نعم فنزلا جميعاً وقام الزبير في الصلاة فلما سجد حمل عليه عمرو بالسيف فضربه حتى قتله وأخذ درعه وسيفه وفرسه وأقبل حتى أتى علياً وهو واقف والناس يجتلدون بالسيوف فألقى السلاح بين يديه فلما نظر علي رضي الله عنه الى السيف قال ان هذا السيف طالما

فَرَجَ بِهِ صَاحِبَهُ السَّكْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْشَرَ يَا قَاتِلَ
 ابْنِ صَفِيَّةٍ بِالنَّارِ فَقَالَ عَمْرُو نَقْتُلُ أَعْدَاءَكُمْ وَنُبَشِّرُوكُمْ بِالنَّارِ . قَالُوا ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا
 أَمْرَ ابْنِهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ فَقَالَ تَقْدِّمُ بَرَايَتِكَ وَكَانَ مَعَهُ الرَّايَةُ الْعَظِيمَى فَتَقَدَّمَ
 بِهَا وَقَدْ لَاحَظَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ وَقَدْ دَوَّاهُ الْأَمْرَ فَتَقَدَّمَ مُحَمَّدٌ
 بِالرَّايَةِ فَاسْتَقْبَلَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِالْقَنَا وَالسِّيُوفِ فَوَقَفَ بِالرَّايَةِ فَتَنَّاوَلَهَا مِنْهُ عَلِيٌّ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ وَحَمَلَ وَحَمَلَ مَعَهُ النَّاسُ ثُمَّ نَالُوا ابْنَ مُحَمَّدٍ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَحَمَيْتِ الْحَرْبُ
 وَانْكَشَفَ النَّاسُ عَنِ الْجَمَلِ وَقُتِلَ كَعْبُ بْنُ ثُورٍ وَثَبَّتَ الْأَزْدُ وَضَبَةُ فَقَاتَلُوا
 قِتَالًا شَدِيدًا فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ شِدَّةَ صَبْرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَمَعَ إِلَيْهِ حُمَاهُ أَصْحَابَهُ
 فَقَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ مَحَكُوا فَأَصْدَقُوهُمْ الْقِتَالَ فَخَرَجَ الْأَشْتَرُ وَعَدِيُّ بْنُ
 حَاتِمٍ وَعَمْرُو بْنُ الْحَمَقِ وَعُمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فِي عِدَدِهِمْ مِنْ أَصْحَابِهِمْ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ
 يَثْرِبِ لِقَوْمِهِ وَكَانُوا فِي مِيمَنَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ قَدْ بَرَزُوا
 إِلَيْكُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ هُمْ قَتَلَةُ عُمَانَ فَعَلَيْكُمْ بِهِمْ وَتَقَدَّمَ أَمَامَ قَوْمِهِ بَنِي ضَبَّةٍ
 فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا وَكَثُرَتِ النَّبْلُ فِي الْهُودِجِ حَتَّى صَارَ كَالْقَنْفَذِ وَكَانَ الْجَمَلُ
 مَجْجَفًا وَالْهُودِجُ مُطْبَقٌ بِصَفَائِحِ الْحَدِيدِ وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ حَتَّى
 كَثُرَتِ الْقَتْلَى وَنَارُ الْقَتَامِ وَطَلَّتِ الْأَثْوِيَّةُ وَالرَّايَاتُ وَحَمَلَ عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ وَقَاتَلَ
 حَتَّى انْثَنَى سَيْفُهُ وَخَرَجَ فَارِسُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَمْرُو بْنُ الْأَشْرَفِ لَا يُخْرِجُ إِلَيْهِ
 حُدَّ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ إِلَّا قَتْلَهُ وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ

يَا أَمَّنَّا يَا خَيْرَ أُمَّ نَعْلَمُ وَالْأُمَّ تَغْدُو وَلَدَهَا وَتَرْجُمُ
 أَلَا تَرَيْنَ كَمْ جَوَادٍ يُكَلِّمُ وَتُحْتَلِي هَامَتَهُ وَالْمِعْصَمُ

فخرج اليه من أهل الكوفة الحرث بن زهير الأزدى وكان من فرسان
على فاختلفا ضربتني فأوهط كل واحد منهما صاحبه فخرا جميعا صر يمين
يفحصان بأرجلهما حتى ماتا . قالوا وانكشف أهل البصرة انكشافا وانتهى
الاشترى الى الجمل وعبد الله بن الزبير أخذ بخطامه فرمى الأشر بنفسه على
عبد الله بن الزبير فصار تحته فصاح عبد الله بن الزبير اقتلوني وما لك
قواب الى ابن الزبير أصحابه فلما خاف الاشر على نفسه قام عن عبد الله
ابن الزبير وقاتل حتى خلص الى أصحابه وقد عار فرسه فقال لهم ما أنجاني
الا قول اقتلوني ومالك فلم يدر القوم من مالك ولو قال اقتلوني والأشر
لقتلوني وقاتل عدى بن حاتم حتى فقتت إحدى عينيه وقاتل عمرو بن الحمق
وكان من عباد أهل الكوفة ومعه النساء قتالا شديدا فضرب بسيفه حتى
انثنى ثم انصرف الى أخيه رياح فقال له رياح يا أخى ما أحسن ما صنع اليوم
ان كانت الغلبة لنا . قالوا ولما رأى على لوث أهل البصرة بالجمل وانهم كلما
كشفوا عنه عادوا فلاثوا به قال لعمار وسعيد بن قيس وقيس بن سعد بن
عبادة والاشترى وابن بديل ومحمد بن أبى بكر وأشباههم من حماة أصحابه
ان هؤلاء لا يزالون يقاتلون مادام هذا الجمل نصب أعينهم ولو قد عقر فسقط
لم تثبت له نابتة فقصدها بذوى الجذ من أصحابه قصد الجمل حتى كشفوا
أهل البصرة عنه وأفضى اليه رجل من مراد الكوفة يقال له أعين بن ضبيعة
فكشف عرقوبه بالسيف فسقط وله رغاء ففرق فى القتلى ومال الهودج
بعائشة فقال على لمحمد بن أبى بكر تقدم الى أختك فدنا محمد فأدخل يده فى

الهودج فنالت يده ثياب عائشة فقالت انا لله من أنت ثكلتك أمك فقال
 أنا أخوك محمد ونادى علي رضي الله عنه في أصحابه لا تتبعوا موليا ولا تجهزوا
 على جريح ولا تنهبوا مالا ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابيه فهو آمن
 قال فجعلوا يمشون بالذهب والفضة في معسكرهم والمتاع فلا يعرض له أحد
 الا ما كان من السلاح الذي قاتلوا به والدواب التي حاربوا عليها فقال بعض
 أصحابه يا أمير المؤمنين كيف حل لنا قتالهم ولم يحل لنا سبيهم وأموالهم فقال علي
 رضي الله عنه ليس على الموحدين سبي ولا يغنم من أموالهم الا ما قاتلوا به وعليه فدعوا
 مالا تعرفون والزمو ما تؤمرون. قال وأمر علي محمد بن أبي بكر أن ينزل عائشة فأنزلها
 دار عبد الله بن خلف الخزاعي وكان عبد الله فيمن قتل ذلك اليوم فنزلت
 عند امرأته صفية وقال علي رضي الله عنه لمحمد انظر هل وصل الى أختك
 شيء قال أصاب ساعدها خدش سهم دخل بين صفائح الحديد. ودخل علي
 رضي الله عنه البصرة فأتى مسجدتها الأعظم واجتمع الناس اليه فصعد المنبر
 فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فإن
 الله ذو رحمة واسعة وعقاب أليم فما ظنكم بي يا أهل البصرة جند المرأة واتباع
 البهيمة رغا فقاتلتم وعقر فانهزمت أخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق وماؤكم زقاق
 أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء وأيم الله لياتين عليها زمان لا يرى
 منها الا شرفات مسجدتها في البحر مثل جؤجؤ السفينة انصرفوا الى منازلكم
 ثم نزل وانصرف الى معسكره وقال لمحمد بن أبي بكر سر مع أختك حتى
 توصلها الى المدينة وعجل اللحوق بي بالكوفة فقال اعفني من ذلك يا أمير

المؤمنين فقال عليّ لا أعفبك ومالك بُدّ فسار بها حتى أوردوها المدينة وشخص
عليّ عن البصرة واستعمل عليها عبد الله بن عباس فلما انتهى الى المربد
التفت الى البصرة ثم قال الحمد لله الذي أخرجني من شر البقاع ترابا وأسرعها
خرابا وأقربها من الماء وأبعدها من السماء ثم سار فلما أشرف على الكوفة
قال ويحك يا كوفان ما أطيب هواءك وأغذى تربتك الخارج منك بذنب
والداخل اليك برحمة لا تذهب الأيام والليالي حتى يجيء اليك كل مؤمن
ويُبغض المقام بك كل فاجر وتعمرين حتى ان الرجل من أهلك ليُسَكر الى
الجمعة فلا يلحقها من بعد المسافة . قالوا وكان مقدمه الكوفة يوم الاثنين
لاثنى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين فقبل له يأمر المؤمنين
أنزل القصر قال لا حاجة لي في نزوله لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
كان يبغضه ولكنى نازل الرخبة ثم أقبل حتى دخل المسجد الاعظم فصلى
ركعتين ثم نزل الرخبة فقال الشئ يحرض عليّا على المسير الى الشام

قل لهذا الامام قد خبت الحر ب وتمت بذلك النعماء
وفرغنا من حرب من نكث العهد وبالشام حية صماء
تنفث السم ما لمن نهشته فارمها قبل أن تعض شفاء

قالوا وان أول جمعة صلى بالكوفة خطب فقال الحمد لله أحمده وأستعينه
وأستهديه وأومن به وأتوكل عليه وأعوذ بالله من الضلالة والردى من يهده
الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اتخذه لرسالته واختصه لتبليغ

أمره أكرم خلقه عليه وأحبهم اليه فبلغ رسالة ربه ونصح لأمته وأدى الذي
عليه صلى الله عليه وسلم أوصيكم عباد الله بتقوى الله فان تقوى الله خيراً ما
تواصى به عباد الله وأقر به لرضوان الله وأفضله في عواقب الامور عند الله
وبتقوى الله أمرتم وللإحسان خلقتهم فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه فانه
حذر بأساً شديداً واخشوا الله خشيةً ليست بتعذير واعملوا في غير رياء
ولا سُمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى ما عمل ومن عمل لمخلصه
تولاه الله وأعطاه أفضل نيته واشفقوا من عذاب الله فانه لم يخلقكم عبثاً
ولم يترك شيئاً من أمركم سُدىً قد سمي آثاركم وعلم أسراركم وأحصى
أعمالكم وكتب آجالكم فلا تُغرّنكم الدنيا فانها غرارة لاهلها والمغرور من
اغتربها والى فناء ما هي وان الآخرة هي دار القرار نسأل الله منازل الشهداء
ومرافقة الأنبياء ومعيشة السعداء فاما نحن به وله . ثم وجه عمله الى البلدان
فاستعمل على المدائن وجوخى كلها يزيد بن قيس الأرحبي وعلى الجبل
وأصبهان محمد بن سليم وعلى البهقباذات قرط بن كعب وعلى كسكر وحيزها
قدامة بن عجلان الأزدي وعلى بهر سير واستانها عدى بن الحارث وعلى
استان العالى حسن بن عبد الله البكري وعلى استان الزوابي سعيد بن مسعود
الثقي وعلى سجستان وحيزها رباعي بن كاس وعلى خراسان كلها خليل بن
كاس . فاما خليل بن كاس فانه لما دنا من خراسان بلغه ان أهل نيسابور
خلعوا يدا من طاعة وانه قدمت عليهم بنت لكسري من كابل فمالوا معها
فقاتلهم خليل فهزمهم وأخذ ابنة كسري بأمان وبعث بها الى علي فلما دخلت

عليه قال لها أئحبين أن أزوجك من ابني هذا يعني الحسن قالت لا أتزوج أحدا على رأسه أحد فان أنت أحببت رضى بك قال انى شيخ وابني هذا من فضله كذا وكذا قالت قد أعطيتك الجملة فقام رجل من عطاء دهاقين العراق يسمى نرسي فقال يا أمير المؤمنين قد بلغك أنى من سنخ المملكة وأنا قرابتها فزوجنيها فقال هي أملك بنفسها ثم قال لها انطلقى حيث شئت وانكحى من أحببت لا بأس عليك . واستعمل على الموصل ونصيبين ودارا وسنجار وآمدوميا فارقين وهيت وعانات وما غلب عليها من أرض الشام الاشر فصار اليها فلقية الضحاك بن قيس الفهرى وكان عليها من قبل معاوية بن سفيان فاقتلوا بين حران والرقّة بموضع يقال له المرج الى وقت المساء وبلغ ذلك معاوية فأمد الضحاك بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فى خيل عظيمة وبلغ ذلك الاشر فانصرف الى الموصل فأقام بها يقاتل من أتاه من اجناد معاوية

(وقعة صفين)

ثم كانت وقعة صفين . قالوا وضربت الركب ان الى الشام بنى عثمان وتحريرى معاوية على الطلب بدمه فيينا معاوية ذات يوم جالس اذ دخل عليه رجل فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال معاوية وعليك من أنت لله أبوك فقد روعتنى بتسليمك على بالخلافة قبل أن أنا لها فقال أنا الحجاج بن خزيمة بن الصمة قال فميم قدمت قال قدمت قاصدا اليك بنى عثمان ثم أنشأ يقول

ان بنى عمك عبد المطلب هم قتلوا شيخكم غير الكذب

وأنت أولى الناس بالوثب فشب وسر مسير المحزئ للثلب
قال ثم انى كنت فيمن خرج مع يزيد بن أسد لنصر عثمان فلم نلحقه فلقيت
رجلا ومعى الحارث بن زفر فسألناه عن الخبر فأخبرنا بقتل عثمان وزعم انه
من شايع على قتله فقتلناه وانى أخبرك انك تقوى بدون ما يقوى به على
على لان معك قوما لا يقولون اذا سكت ويسكتون اذا نطقت ولا يسألون
اذا أمرت ومع على قوم يقولون اذا قال ويسألون اذا سكت فقليلك خير
من كثيره وعلى لا يرضيه الا سخطك ولا يرضى بالعراق دون الشام وأنت
ترضى بالشام دون العراق فضاق معاوية بما آتاه به الحجاج بن خزيمة ذروا فقال

أتانى أمر فيه للناس غمة وفيه بكاء للعيون طويل
مصاب أمير المؤمنين وهذه تكاد لها صم الجبال تزول
فله عينا من رأى مثل هالك أصيب بلا دخل وذاك جليل
تداعت عليه بالمدينة عصبه فريقان منهم قاتل وخذول
دعاهم فصموا عنه عند دعائه وذاك على مافي النفوس دليل
سأبى أبا عمرو بكل مثقف ويض لها في الدارين صليل
تركك للقوم الذين تظافروا عليك فماذا بعد ذاك أقول
فلست مقبلا ما حيت ببلدة أجز بها ذيلي وأنت قتل
وأما التي فيها مودة بيننا فليس اليها ما حيت سبيل
سألقحها حربا عوانا ملحة وانى بها من عامنا لكفيل

وكتب على الى جرير بن عبد الله البجلي وكان عامل عثمان بأرض الجبل

مع زحر بن قيس الجعفي يدعوهُ الى البيعة له فبايع وأخذ بيعة من قبله
وسار حتى قدم عليه الكوفة وكتب الى الأشعث بن قيس بمثل ذلك وكان
مقيماً بأذربيجان طول ولاية عثمان بن عفان وكانت ولايته مما عتب الناس فيه
على عثمان لانه ولاه عند مصاهرته إياه وتزويج ابنة الأشعث من ابنه ويقال
ان الأشعث هو الذي اقتتح عامّة أذربيجان وكان له بها أثرٌ ونصحٌ واجتهاد
وكان كتابه اليه مع زياد بن مرحب فبايع لعلّ وسار حتى قدم عليه الكوفة
وان علياً أرسل جرير بن عبد الله الى معاوية يدعوهُ الى الدخول في طاعته
والبيعة له أو الايدان بالحرب فقال الاشترا بعت غيره فإني لا آمن مداهنته
فلم يلتفت الى قول الاشترا فسار جرير الى معاوية بكتاب علىّ فقدم على
معاوية فألقاه وعنده وجوه أهل الشام فناوله كتاب علىّ وقال هذا كتاب
علىّ اليك والى أهل الشام يدعوكم الى الدخول في طاعته فقد اجتمع
له الحرمان والمصران والحجازان واليمن والبحران وعمان واليمامة ومصر
وفارس والجبل وخراسان ولم يبق الا بلادكم هذه وان سال عليها واد من
أوديته غرقها وفتح معاوية الكتاب فقرأه بسم الله الرحمن الرحيم من
عبد الله علىّ أمير المؤمنين الى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فقد
لزمك ومن قبلك من المسلمين بيعتي وانا بالمدينة وأنتم بالشام لانه بايعني
الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فليس للشاهد أن يختار ولا
للغائب أن يرد وإنما الامر في ذلك للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على
رجل مسلم فسموه اماماً كان ذلك لله رضي فان خرج من أمرهم أحد بطعن

به أو رغبة عنه رُدَّ إلى ما خرج منه فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل
لؤمنين وولاه الله ماتولى ويُصلِّه جهنم وساءت مصيراً فادخل فيما دخل فيه
لهاجرون والانصار فإن أحبَّ الأمور فيك وفيمن قبلك العافية فإن قبلتها
إلا فإذن بحرب وقد أكرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس
م حاكم القوم إلى أحملك وإياهم على ما في كتاب الله وسنة نبيه فاماتلك التي
ريدها فانما هي مُخدعة الصبي عن الرضاع. فجمع معاوية إليه أشراف أهل بيته
فاستشارهم في أمره فقال أخوه عتبة ابن أبي سفيان استعن على أمرك بعمر وبن
لعاص وكان مقبياً في ضيعة له من حيز فلسطين قد اعتزل الفتنة فكتب إليه
معاوية انه قد كان من أمر على في طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ما بلغك
وقد قدم علينا جرير بن عبد الله في أخذنا ببيعة على فحبست نفسي عليك فاقبل
أنظرك في ذلك والسلام. فسار ومعه أبناء عبد الله ومحمد حتى قدم على معاوية
وقد عرف حاجة معاوية إليه فقال له معاوية أبا عبد الله طرقتنا في هذه الأيام
ثلاثة أمور ليس فيها ورد ولا صدر قال وما هن قال أما أولهنَّ فإن محمد بن
حذيفة كسر السجن وهرب نحو مصر فيمن كان معه من أصحابه وهو من
أعدى الناس لنا وأما الثانية فإن قيصر الروم قد جمع الجنود ليخرج إلينا
فيحاربنا على الشام وأما الثالثة فإن جريراً قد قدم رسولاً إلى بن أبي طالب
يدعونا إلى البيعة له أو أيدان بحرب. قال عمرو أما ابن أبي حذيفة فما يغمك
من خروجه من سجنك في أصحابه فأرسل في طلبه الخليل فان قدرت عليه
قدرت وإن لم تقدر عليه لم يضرَّك وأما قيصر فاكتب إليه تعلمه أنك ترد

عليه جميع من في يدك من أسارى الروم وتسأله المoadعة والمصالحة تجده
سريعا الى ذلك راضيا بالعفو منك وأما علي بن أبي طالب فان المسلمين لا
يساوون بينك وبينه قال معاوية انه مالا على قتل عثمان وأظهر الفتنة وفرق
الجماعة قال عمرو انه وان كان كذلك فليست لك مثل سابقته وقرابته ولكن
مالى ان شايئتك على أمرك حتى تنال ماتريد قال حكمك قال عمرو واجعل
لى مصر طعمة مادامت لك ولاية فتلكا معاوية وقال ياأبا عبد الله لو شئت
أن أخذك خدعتك قال عمرو ومائلى يخدع قال له معاوية ادن منى أسارك
فدنا عمرو منه فقال هذه خدعة هل ترى فى البيت غيرى وغيرك ثم قال ياأبا
عبد الله أما تعلم أن مصر مثل العراق قال عمرو وغير أنها انما تكون لى اذا
كانت لك الدنيا وانما تكون لك اذا غلبت عليها فتلكا عليه وانصرف
عمرو الى رحله فقال عتبة لمعاوية أما ترضى أن تشتري عمرا بمصر ان صفت
لك قلييتك لا تغلب على الشام وقال معاوية بت عندنا ليلتك هذه فبات
عتبة عنده فلما أخذ معاوية مضجعه أنشأ عتبة

أيتها المانع سيفاً لم يهز	انما ملت على خزٍ وقر
انما أنت خروف ناعم	بين ضرعين وصوف لم يجز
نالك الخير فخذ من دره	شخبه الاول واترك ما عرز
واترك الحرص عليها ضنة	واشذب النار لمقرور يكرز
ان مصرأ لعلى أو لنا	يغلب اليوم عليها من عجز

وسمع معاوية ذلك فلما أصبح بعث الى عمرو فأعطاه ما سأل وكتب بينهما

في ذلك كتابا ثم ان معاوية استشار عمرًا في أمره وقال ماترى قال عمرو انه قد أتاك في هذه البيعة خبرُ أهل العراق من عند خير الناس ولست أرى لك أن تدعو أهل الشام الى الخلاف فان ذلك خطر عظيم حتى تتقدم قبل ذلك بالتواطين للأشراف منهم واشراب قلوبهم اليقين بأن عليًا مالا على قتل عثمان واعلم ان رأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي فاسل اليه ليأتيك ثم وطمّن له الرجال على طريقه كله يخبرونه بأن عليا قتل عثمان وليكونوا من أهل الرضا عنده فانها كلمة جامعة لك أهل الشام وان تعلق هذه الكلمة بقلبه لن يخرجها شيء أبدًا فدعا يزيد بن أسد وبسر بن أبي ارطاة وسفيان بن عمرو ومخارق بن الحارث وحمزة بن مالك وحابس بن سعيد وغير هؤلاء من أهل الرضا عند شرحبيل بن السمط فوطّئهم له على طريقه ثم كتب اليه يأمره بالقدوم عليه . فكان يلقي الرجل بعد الرجل من هؤلاء في طريقه فيخبرونه أن عليا مالا على قتل عثمان ثم أشربوا قلبه ذلك فلما دنا من دمشق أمر معاوية أشراف الشام باستقباله فاستقبلوه وأظهروا تعظيمه فكان كلما خلا برجل منهم ألقى اليه هذه الكلمة فأقبل حتى دخل على معاوية مغضبا فقال أبنى الناس الا أن ابن أبي طالب قتل عثمان والله لئن بايعته لنخرجنك من الشام فقال معاوية ما كنت لأخالف أمركم وانما أنا واحد منكم قال فاردّد هذا الرجل لي صاحبه يعني جريرا فعلم عند ذلك معاوية أن أهل الشام مع شرحبيل فقال لشرحبيل ان هذا الذي تهّم به لا يصلح الا برضا العامة فسر في مدائن الشام فاعلمهم ما نحن عليه من الطلب بثأر خليفتنا

وبايعهم على النصره والمعونه فسار شرحبيل يستقرى مدن الشام مدينةً بعد مدينة ويقول أيها الناس ان عليا قتل عثمان وانه غضب له قوم فاقمهم فقتلهم وغلب على أرضهم ولم يبق الا هذه البلاد وهو واضع سيفه على عاتقه وخائض به غمرات الموت حتى يأتيكم ولا يجدُ أحداً أقوى على قتاله من معاوية فانهضوا أيها الناس بئس خليفتم المظلوم فأجابه الناس كلهم الا نفرًا من أهل حمص نسًا كانوا فانهضوا قالوا نلزم بيوتنا ومساجدنا وأنتم أعلم فلما ذاق معاوية أهل الشام وعرف مبايعتهم له قال لجرير الحق بصاحبك واعلمه أني وأهل الشام لا نجيئه الى البيعة ثم كتب اليه بأبيات كعب بن جعيل

أرى الشام تكره ملك العراق	وأهل العراق لهم كارهونا
وكلُّ لصاحبه مُبغضٌ	يرى كل ما كان من ذاك دينا
وقالوا علىَّ امامٌ لنا	فقلنا رَضينا ابن هند رَضينا
وقالوا نرى أن تدينوا لنا	فقلنا لهم لا نرى أن نديننا
وكلُّ يُسرُّ بما عنده	يرى غث ما في يديه سمينا
وما في علىَّ مُستعَب	مقال سوى ضمه المحدثينا
وليس براضٍ ولا ساخط	ولا في النهاية ولا الآمرينا
ولا هو ساء ولا سره	ولا بُد من بعض ذا أن يكونا

فلما قرأ على رضي الله عنه قال للنجاشي أجب فقال

دعن معاوي ما أن يكونا	فقد حقق الله ما تحذروننا
أناكم على بأهل العراق	وأهل الحجاز فما تصنعونا

يرون الطعان خلال العجاج وضرب القوانس في النقع دينا
هم هزموا الجمع جمع الزبير وطاحة والمعشر النا كشيئا
فان يكره القوم ملك العراق فقدمنا رضىنا الذي تكرهونا
فقولوا لكعب أخى وائل ومن جعل الغث يوما سمينا
جعلتم عليا وأشياعه نظير ابن هند أما تستحونا

ولما رجع جرير الى عليّ كثر قول الناس في التهمة له واجتمع هو والأشتر
عند عليّ فقال الأشتر أما والله يا أمير المؤمنين لو أرسلتني فيما أرسلت فيه
هذا لما أرخيت من خناق معاوية ولم أدع له بابا يرجو فتحه إلا سدوده
ولأعجابه عن الفكرة قال جرير فما يمنعك من اتيانهم قال الاشترا لآن وقد
أفسدتهم والله ما أحسبك أتيتهم إلا لتتخذ عندهم مودة والدليل على ذلك
كثرة ذكرك مساعدتهم وتخويننا بكثرة جموعهم ولو أطاعني أمير المؤمنين
لحبسك وأشباهك من أهل الظنة محبسا لا تخرجون منه حتى يستتب هذا
الأمر فغضب جرير مما استقبله به الأشتر فخرج من الكوفة ليلا في أناس
من أهل بيته فالحق بقرقيسيا وهي كورة من كور الجزيرة فأقام بها وغضب
على لخروجه عنه فركب الى داره فأمر بمجلس له فأحرق فخرج أبو زرعة
ابن عمرو بن جرير فقال ان كان انسان قد أجرم فان في هذه الدار أناسا
كثيرا لم يجرموا اليك جرما وقد روعتهم فقال عليّ رضي الله عنه أستغفر
الله ثم خرج منها الى دار لابن عمّ جرير يقال له ثوير بن عامر وقد كان
خرج معه فشعث فيها شيئا ثم انصرف . قالوا ولما فرغ عليّ رضي الله عنه

من أصحاب الجمل خافه عُبَيْدُ اللَّهِ بنَ عُمَرَ أن يَقتله بِالْهَرَمُزَانِ فخرجَ حتى لحقَ
بمعاويةَ فقال معاوية لعمر و قد أحيَا اللَّهُ لنا ذَكَرَ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
بِقُدُومِ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِهِ عَلَيْنَا قَالَ فَأَرَادَهُ مَعَاوِيَةُ عَلَى أَنْ يَقُومَ فِي النَّاسِ فَيُلْزِمَ عَلِيًّا
دَمَ عُمَانَ فَأَبَى فَاسْتَخَفَّ بِهِ مَعَاوِيَةُ ثُمَّ أَدْنَاهُ بَعْدُ وَقَرَّبَهُ . قَالُوا وَلِمَا عَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ
عَلَى نَصْرِ مَعَاوِيَةَ وَالْقِيَامِ مَعَهُ أَقْبَلَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ وَكَانَ مِنْ عِبَادِ أَهْلِ
الشَّامِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى مَعَاوِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي النَّاسِ مِنَ الْعِبَادِ فَقَالَ لَهُ يَا مَعَاوِيَةُ
قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّكَ تَهْمُ بِمُحَارَبَةِ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ فَكَيْفَ تُنَاوِيهِ وَلَيْسَتْ لَكَ
سَابِقَتُهُ فَقَالَ لَهُمْ مَعَاوِيَةُ لَسْتُ أَدْعِي أَنِّي مِثْلُهُ فِي الْفَضْلِ وَلَكِنْ هَلْ تَعْلَمُونَ
أَنَّ عُمَانَ قَتَلَ مَظْلُومًا قَالُوا بَلَى قَالَ فَلْيَدْفَعْ إِلَيْنَا قَتْلَهُ حَتَّى نَسَلِّمَ إِلَيْهِ هَذَا الْأَمْرَ
قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ فَاصْطَبَحَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ حَتَّى أَنْطَلَقَ أَنَا بِكِتَابِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مَعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سَفْيَانَ إِلَى عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ سَلَامٌ
عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْخَلِيفَةَ عُمَانَ قَتَلَ
مَعَكَ فِي الْحَلَّةِ وَأَنْتَ تَسْمَعُ مِنْ دَارِهِ الْهَيْعَةَ فَلَا تَدْفَعُ عَنْهُ بِقَوْلٍ وَلَا بِفِعْلٍ
وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَمًا صَادِقًا لَوْ قُتِلَ فِي أَمْرِهِ مَقَامًا صَادِقًا فَتَهْتَبُ عَنْهُ مَا عَدَلَ بِكَ
مَنْ قَبْلُنَا مِنَ النَّاسِ أَحَدًا وَآخَرَى أَنْتَ بِهَا ظَنِينٌ إِيوَاؤُكَ قَتْلَهُ فَهُمْ عَضْدُكَ
وَيَدُكَ وَأَنْصَارُكَ وَبَطَائِنُكَ وَبَلَّغْنَا أَنَّكَ تَبْهَلُ مِنْ دَمِهِ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا
فَأَمْكِنَّا مِنْ قَتْلِهِ نَقْتُلْهُمْ بِهِ وَنَحْنُ أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَيْكَ وَالْأَفْلَسُ لَكَ وَلَا
لِأَصْحَابِكَ عِنْدَنَا إِلَّا السَّيْفُ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَنُظْلِمَنَّ قَتْلَةَ عُمَانَ فِي
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى نَقْتُلْهُمْ أَوْ تَلْحَقَ أَرْوَاحُنَا بِاللَّهِ وَالسَّلَامُ . فَسَارَ أَبُو مُسْلِمٍ بِكِتَابِهِ

حتى ورد الكوفة ودخل على عليّ فناولته الكتاب فلما قرأه تكلم أبو مسلم فقال يا أبا الحسن انك قد قتت بأمر ووليتته ووالله ما نُحِبُّ أنه لغيرك ان أعطيت الحق من نفسك ان عثمان رضى الله عنه قتل مظلوماً فادفع اليها قتلته وأنت أميرنا فان خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة وألستنا لك شاهدة وكنت ذا عذر وحيجة فقال له عليّ اغدُ عليّ بالغداة وأمر به فأنزل وأكرم فلما كان من الغد دخل الى عليّ وهو في المسجد فاذا هو نزهاء عشرة آلاف رجل قد لبسوا السلاح وهم ينادون كلنا قتلة عثمان فقال أبو مسلم لعليّ انى لأرى قوما مالك معهم أمر وأحسب أنه بلغهم الذى قدمت له ففعلوا ذلك خوفاً من أن تدفعهم اليّ قال عليّ انى ضربت أنف هذا الامر وعينه فلم أريستقيم دفعهم اليك ولا الى غيرك فاجلس حتى أكتب جواب كتابك ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين الى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فان أخا خولان قد قدم عليّ بكتاب منك تذكر فيه قطعى رحم عثمان وتألبي الناس عليه وما فعلت ذلك غير أنه رحمه الله عتب الناس عليه فمن بين قاتل وخاذل فجلست فى بيتي واعتزلت أمره الا أن تتجنى فتجنّ ما بدالك فأما ما سألت من دفعى اليك قتلته فانى لا أرى ذلك لعلى بأنك انما تطلب ذلك ذريعةً الى ما تأمل ومِرْقة الى ما ترجو وما الطلب بدمه تريد ولعمري لئن لم تنزع عن غييك وشقاقك لينزلن بك ما ينزل بالشاق العاصى الباغى والسلام . وكتب الى عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين الى عمرو بن

العاص أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها صاحبها منهوم فيها لا يصيب منها شيئاً الا ازداد عليها حرصاً ولم يستغن بما نال عملاً لا يبلغ ومن وراء ذلك فراق ما جمع والسعيد من اتعظ بغيره فلا تحبط عمالك بمجارة معاوية في باطله فانه سفة الحق واختار الباطل والسلام . فكتب اليه عمرو بن العاص من عمرو ابن العاص الى علي بن أبي طالب أما بعد فإن الذي فيه صلاحنا وألفة ذات بيننا أن تجيب الى ما ندعوك اليه من شورى تحملنا وإياك على الحق ويعذرنا الناس لها بالصدق والسلام . قالوا ولما أجمع عليّ على المسير الى أهل الشام وحضرت الجمعة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس سيروا الى أعداء السنن والقرآن سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار سيروا الى الجفأة الطغام الذين كان اسلامهم خوفاً وكرها سيروا الى المؤلفة قلوبهم ليكفوا عن المسلمين بأسهم . فقام اليه رجل من فزارة يسمى أربد فقال أتريد أن تسير بنا الى اخواننا من أهل الشام فنقتلهم كما سرت بنا الى اخواننا من أهل البصرة فقتلناهم كلاًها الله اذاً لا نفعل ذلك فقام الاشر فقال أيها الناس من لهذا فهرب الفزاري وسعى شؤبوب من الناس في أثره فاحرقوه بالكناسة فضر به بنعالم حتى سقط ثم وطئوه بأرجلهم حتى مات فأخبر بذلك علي رضي الله عنه فقال قتيل عمية لا يُدرى من قتله فدفع ديته الى أهله من بيت المال وقال بعض شعراء بني ثميم

أعوذ بربي أن تكون منيتي كما مات في سوق البراذين أربد
تعاوره همدان خصف نعالهم اذا رُفعت عنه يده وقعت يده

وقام الاشر فقال يا أمير المؤمنين لا يؤسّسك من نصرتنا ما سمعت من هذا
 الخائن ان جميع من ترى من الناس شيعتك لا يرغبون بأنفسهم عنك ولا
 يحبون البقاء بعدك فسر بنا الى أعدائك فوالله ما ينجو من الموت من خافه
 ولا يعطى البقاء من أحبه ولا يعيش بالامل الا المغرور فأجابه جلّ الناس
 الى المسير الا أصحاب عبد الله بن مسعود وعبيدة السلماني والريبع بن
 خثيم في نحو من أربع مائة رجل من القراء فقالوا يا أمير المؤمنين قد شككنا
 في هذا القتال مع معرفتنا فضلك ولا غنى بك ولا بالمسلمين عمن يقاتل
 المشركين فولّنا بعض هذه الشغور لنقاتل عن أهلهم فولاّهم ثغر قزوين والرى
 وولى عليهم الريع بن خثيم وعقد له لواء وكان أول لواء عقد بالكوفة قالوا
 وبلغ عليا ان حُجّر بن عدى وعمرو بن الحقيق يظهران شتم معاوية ولعن أهل
 الشام فأرسل اليهما أن كفّا عما بلغني عنكما فأتياه فقالا يا أمير المؤمنين ألسنا
 على الحق وهم على الباطل قال بلى وربّ الكعبة المسدّنة قالوا فلم تمنعنا من
 شتمهم ولعنهم قال كرهت لكم أن تكونوا شتّامين لعائين ولكن قولوا
 اللهم أحقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم
 حتى يعرف الحق من جهله ويرعوى عن الغي من لهج به قالوا ولما عزم على
 رضى الله عنه على الشخوص أمر مناديا فنادى بالخروج الى المعسكر بالنخيلة
 فخرج الناس مستعدين واستخلف على الكوفة أبا مسعود الانصارى
 وهو من السبعين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وخرج
 على رضى الله عنه الى النخيلة وأمامه عمار بن ياسر فأقام بالنخيلة معسكرا

وكتب الى عمّاله بالقدوم عليه . ولما انتهى كتابه الى ابن عباس ندب الناس
وخطبهم وكان من تكلم الأحنف بن قيس ثم قام خالد بن المعمر السدوسي
ثم قام عمرو بن مرحوم العبدى وكلمهم أجاب وسارع فحلف على البصرة أبا
الأسود الديلي وسار بالناس حتى قدم على علي بالنخيلة فلما اجتمع الى علي
قواصيه وانضمت اليه أطرافه تهيأ للمسير من النخيلة ودعا زياد بن النضر
وشريح بن هاني ففقد لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس وقال ليسر
كل واحد منكما منفردا عن صاحبه فان جمعتكما حرب فأنت يا زياد الامير
واعلم ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فإياكما أن تسأما عن
توجيه الطلائع ولا تسيرا بالكتائب والقبائل من لدن مسيركما الى نزولكما
الا بتعبية وحذر واذا نزلتم بعدوا أو نزل بكم فليكن معسكركم في أشرف
المواقع ليكن ذلك لكم حصنا حصينا واذا غشيكم الليل فحفوا عسكركم بالرماح
والترسة وليأيمهم الرماة وما أقمتم فكذلك فكونوا لان لا يصاب منكم غرة
واحرصا عسكركما بأنفسكما ولا تذوقا نوما الا غرارا ومضمضة وليكن عندى
خبركما فاني ولا شئ الا ما شاء الله حيث السير في أثركما ولا تقا تلا حتى تبدأ
أو يأتكما أمرى ان شاء الله . فلما كان اليوم الثالث من مخرجهما قام في أصحابه
خطيبا فقال يا أيها الناس نحن سائرون غدا في آثار مقدمتنا فإياكم والتخلف
فقد خلفت مالك بن حبيب اليربوعي وجعلته على الساقة وامرته أن لا يدع
أحدا الا ألحقه بنا فلما أصبح نادى في الناس بالرحيل وسار فلما انتهى الى رسوم
مدينة بابل قال لمن كان يسيره من أصحابه ان هذه مدينة قد خسف بها

مرارا فخرّ كرا خيلكم وأرخوا أعنتها حتى تجوزوا موضع المدينة لعلنا ندرك
العصر خارجا منها فحرك وحرّكوا دوابهم فخرج من حد المدينة وقد حضرت
الصلاة فنزل فصلى بالناس ثم ركب وسار حتى انتهى الى دير كعب فجاوزه
وأتى ساباط المدائن فنزل فيه بالناس وقد هيئت له فيه الانزال فلما أصبح ركب
وركب الناس معه وانهم لثمانون ألف رجل أو يزيدون سوى الاتباع والخدم
ثم سار حتى أتى مدينة الانبار فلما وافى المدائن عقد لمعقل بن قيس في ثلاثة
آلاف رجل وأمره أن يسير على الموصل ونصيبين حتى يوافيه بالرقّة فسار حتى
وافى حديثة الموصل وهي اذ ذاك المصر وانما بنى الموصل بعد ذلك مروان
ابن محمد . فلما انتهى معقل اليها اذا هو بكبشين يتناطحان ومع معقل رجل من
خشم يزجر فجعل الخشمى يقول ايه ايه فأقبل رجلان فأخذ كل واحد منهما
كبشا فقاده وانطلق به فقال الخشمى لمعقل لا تغلبون ولا تغلبون فقال معقل
يكون خيرا ان شاء الله ثم مضى حتى وافى عليا وقد نزل البليخ فأقام ثلاثا ثم
أمر بجسر فعقد وعبر الناس ولما قطع على رضى الله عنه الفرات أمر زياد بن
النضر وشرّح بن هانئ ان يسيرا أمامه فسارا حتى انتهيا الى مكان يدعى
سور الروم لقيهما أبو الاعور السامى فى خيل عظيمة من أهل الشام فأرسلا
الى على يعلمانه ذلك فأمر على الاشترا أن يسيرا اليهما وجعله أميرا عليهما
فسار حتى وافى القوم فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض حتى جنّ عليهم الليل وأنسل
أبو الاعور فى جوف الليل حتى أتى معاوية وأقبل معاوية بالخيال نحو صفين
وعلى مقدمة سفیان بن عمرو وعلى ساقته بسر بن أبى ارطاة العامرى فأقبل

سفيان بن عمرو ومعه أبو الأعور حتى وافيا صفين وهي قرية خراب من بناء
الروم منها إلى الفرات غلوة وعلى شط الفرات مما يليها غيضة ملتفة فيها نزوز
طولها نحو من فرسخين وليس في ذينك الفرسخين طريق إلى الفرات إلا طريق
واحد مفروش بالحجارة وسائر ذلك خلاف وغرب ملتف لا يسلك وجميع الغيضة
نزوزٌ ووحدٌ إلا ذلك الطريق الذي يأخذ من القرية إلى الفرات . فأقبل
سفيان بن عمرو وأبو الأعور حتى سبقا إلى موضع القرية فنزلا هناك مع ذلك
الطريق ووافاهما معاوية بجميع الفيلق حتى نزل معهما وعسكر مع القرية وأمر
معاوية أبا الأعور أن يقف في عشرة آلاف من أهل الشام على طريق الشريعة
فيمنع من أراد السلوك إلى الماء من أهل العراق وأقبل على رضى الله عنه حتى
وافى المكان فصادف أهل الشام قد احتوا على القرية والطريق فأمر الناس
فنزلوا بالقرب من عسكر معاوية وانطلق السقاؤون والغلمان إلى طريق الماء
فقال أبو الأعور بينهم وبينه وأخبر على رضى الله عنه بذلك فقال اصبعصعة
ابن صوحان أنت معاوية فقل له أنا سرنا اليكم لنعذر قبل القتال فان قبلتم
كانت العافية أحب إلينا وأراك قد حلت بيننا وبين الماء فان كان أعجب
إليك أن ندع ما جئنا له ونذر الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو
الشارب فعلنا فقال الوليد أمنعهم الماء كما منعه أمير المؤمنين عثمان أقتلهم عطشا
قتلهم الله فقال معاوية لعمر وبن العاص ما ترى قال أرى أن تخلى عن الماء
فان القوم لن يعطشوا وأنت ريان فقال عبد الله بن أبي سرح وكان أخا
عثمان لأمه أمنعهم الماء إلى الليل لعلمهم أن ينصرفوا إلى طرف الغيضة فيكون

انصرفهم هزيمة فقال صعصعة لمعاوية ما الذي ترى قال معاوية ارجع فسيأتكم رأيي فانصرف صعصعة الى علي فأخبره بذلك وظل أهل العراق يومهم ذلك وليتهم بلا ماء الا من كان ينصرف من الغلمان الى طرف الغيضة فيمشي مقدار فرسخين فيستقي فغمّ عليا رضي الله عنه أمر الناس غما شديدا وضاق بما أصابهم من العطش ذرعا فأتاه الأشعث بن قيس فقال يا أمير المؤمنين ايمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا سيوفنا ولنا الزحف اليه فوالله لا أرجع أو أموت ومُرّ الا شتر فلينضمّ اليّ في خيله فقال له عليّ أتت في ذلك ما رأيت. فلما أصبح زاحف أبا الأعور فاقتلوا وصدقهم الأشرّ والأشعث حتى نفيا أبا الأعور وأصحابه عن الشريعة وصارت في أيديهما فقال عمرو بن العاص لمعاوية ما ظنك بالقوم اليوم ان منعوك الماء كما منعتمهم أمس فقال معاوية دع ماضى ما ظنك بعليّ قال ظني انه لا يستحل منك ما استحلت منه لانه أذاك في غير أمر الماء. ثم توادع الناس وكف بعض عن بعض وأمر عليّ أن لا يمنع أهل الشام من الماء فكانوا يسقون جميعا ويختلط بعضهم ببعض ويدخل بعضهم في معسكر بعض فلا يعرض أحد من الفريقين لصاحبه الا بخير ورجوا أن يقع الصلح. وأقبل عبيد الله بن عمر بن الخطاب حتى استأذن عليّ فأذن له فدخل عليه فقال له عليّ أقتل الهرمزان ظلما وقد كان أسلم علي يدي عمي العباس وفرض له أبوك في الفين وترجو أن تسلم مني فقال له عبيد الله الحمد لله الذي جعلك تطلبني بدم الهرمزان وأنا أطلبك بدم أمير المؤمنين عثمان فقال له عليّ ستجمعنا وإياك الحرب فتعلم. قال فلم

يزالوا يتراسلون شهرى ربيع وجمادى الاولى ويفزعون فيما بين ذلك يزحف بعضهم الى بعض فيحجز بينهم القراء والصالحون فيفترقون من غير حرب حتى فرعوا في هذه الثلاثة الاشهر خمسا وثمانين فرعة كل ذلك يحجز بينهم القراء فلما انتقضت جمادى الاولى بات على رضى الله عنه يعي أصحابه ويكتب كتابه وبعث الى معاوية يؤذنه بحرب فعبى معاوية أيضا أصحابه وكتب كتابه فلما أصبحوا تراحفوا وتواقفوا تحت راياتهم فى صفوفهم ثم تحاجزوا فلم تكن حرب وكانوا يكرهون أن يلتفوا بجميع الفيلقين مخافة الاستئصال غير أنه يخرج الجماعة من هؤلاء الى الجماعة من أولئك فيقتتلون بين العسكرين فكانوا كذلك حتى أهلى هلال رجب فأمسك الفريقان . قالوا وأقبل أبو الدرداء وأبو أمامة الباهلى حتى دخلا على معاوية فقالا على ما تقتاتل عليا وهو أحق بهذا الامر منك قال أقاتله على دم عثمان قالا أو هو قتله قال آوى قتلته فسلوه أن يسلم الينا قتلته وأنا أول من بايعه من أهل الشام فأقبلا الى على رضى الله عنه فأخبراه بذلك فاعتزل من عسكر على زهاء عشرين ألف رجل فصاحوا نحن جميعا قتلنا عثمان فخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فلحقا ببعض السواحل ولم يشهدا شيئا من تلك الحروب . وان معاوية بعث الى شرحبيل ابن السمط وحبيب بن مسامة ومعن بن يزيد بن الاخنس وقال انطلقوا اليه وسلوه أن يسلم الينا قتلة عثمان ويتخلى مما هو فيه حتى نجعلها شورى بين المسلمين يختارون لانفسهم من رضوا وأحبوا فأقبلوا حتى دخلوا على على رضى الله عنه فبدأ حبيب بن مسامة فتكلم بما حملة معاوية فقال له على وما أنت

وذاك لأُمّ لك فليست هناك فقام حبيب مغضبا فقال والله لتريني بحيث
تكره فقال شرحبيل أفلا تسلم الينا قتلة عثمان قال عليّ انى لا أستطيع ذلك
وهم زهاء عشرين الف رجل فقاما عنه فخرجا . قالوا فكث الناس كذلك
الى أن انسلك المحرم وفي ذلك يقول حابس بن سعد الطائي وكان صاحب
لواء طي مع معاوية

فما بين المنيا غير سبع بقين من المحرم أو ثمان
ألم يعجبك أنا قد هجمنا وإياهم على الموت العيان
أينها أنا كتاب الله عنهم ولا ينهاهم آى القرآن

فلما انسلك المحرم بعث عليّ مناديا فنادى فى عسكر معاوية عند غروب
الشمس أنا أمسكنا لتنصرم الاشهر الحرم وقد تصرمت وأنا ننبذ اليكم على
سواء ان الله لا يحب الخائنين فبات الفريقان يكتبون الكتاب وقد أوقدوا
النيران فى العسكرين فلما أصبحوا تراحفوا وقد استعمل عليّ على الخيل عمار
ابن ياسر وعلى الرجالة عبد الله بن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعى ودفع الراية
العظمى الى هاشم بن عتبة المرقال وجعل على الميمنة الاشعث بن قيس وعلى
الميسرة عبد الله بن عباس وعلى رجالة الميمنة سليمان بن صُرَد وعلى رجالة
الميسرة الحرث بن مُرّة العبدى وجعل فى القلب مضر وفى الميمنة ربيعة
وفى الميسرة أهل اليمن وضمّ قرشا وأسدا وكنانة الى عبد الله بن عباس
وضمّ كندة الى الاشعث وضمّ بكر البصرة الى الحُضَيْن بن المنذر وضمّ تميم
البصرة الى الأحنف بن قيس وولى أمر خُرَاعة عمرو بن الحَمَق وولى بكر

الكوفة نُعَيْم بن هُبَيْرَة وولى سعد رباب البصرة خارجة بن قُدَّامة وولى
بجيلة رِفاعة بن شدَّاد وولى ذهل الكوفة رُوَيْما الشيباني وولى حنظلة البصرة
أَعْيَن بن ضَبِيعَة وجعل على قضاء كلها عدِيّ بن حاتم وجعل على لهازم
الكوفة عبد الله بن بُدَيْل وعلى تميم الكوفة عمير بن عَطَّارِد وعلى الأزد
جندُب بن زهير وعلى ذهل البصرة خالد بن مَعْمَرٍ وعلى حنظلة الكوفة
شَبَث بن رَبِيعٍ وعلى هَمْدان سعد بن قيس وعلى لهازم البصرة خزيمة بن
خازم وعلى سعد رباب الكوفة أبا صِرْمَة واسمه الطفيل وعلى مَذْحِج الاشتر
وعلى عبد قيس الكوفة عبد الله بن الطفيل وعلى عبد قيس البصرة عمرو بن
حنظلة وعلى قيس البصرة شدَّاد الهلالي وعلى الليف من القواصي القاسم بن
حنظلة الجهني . واستعمل معاوية على الخليل عبد الله بن عمرو بن العاص وعلى
الرجالة مُسلم بن عُقبة لعنه الله وعلى الميمنة عُبيد الله بن عمر بن الخطاب وعلى
الميسرة حبيب بن مَسْلَمَة ودفع اللواء الأعظم الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد
واستعمل على أهل دمشق الضحّاك بن قيس وعلى أهل حمص ذا الكَلّاع
وعلى أهل قنسرين زفر بن الحرث وعلى أهل الأردنّ سفّيان بن عمرو وعلى
أهل فلسطين مَسْلَمَة ابن خالد وعلى رجالة دمشق بُسر بن أبي أرطاة وعلى رجالة
حمص حَوْشَبَاذا ظليم وعلى رجالة قنسرين طريف بن حابس وعلى رجالة الأردن
عبد الرحمن القينيّ وعلى رجالة فلسطين الحرث بن خالد الأزدي وعلى قيس
دمشق هَمّام ابن قبيصة وعلى قيس حمص هلال بن أبي هُبَيْرَة وعلى رجالة الميمنة
حابس ابن ربيعة وعلى قضاء دمشق حسان بن بِحْدَل وعلى قضاء حمص عبّاد

ابن يزيد وعلى كندة دمشق عبد الله بن جحون السكسكي وعلى كندة
 حمص يزيد بن هبيرة وعلى النمر بن قاسط يزيد بن أبي أسد العجلي وعلى
 حمير هاني بن عمير وعلى قضاة الاردن مخارق بن الحرث وعلى لحم فلسطين
 نابل بن قيس وعلى همدان الاردن حمزة بن مالك وعلى غسان الاردن زيد
 ابن الحرث وعلى أهل القواصي القعقاع بن أبرهة وعلى الخليل كلها عمرو بن
 العاص وعلى الرجالة كلها الضحاك بن قيس واصطف كل فريق منهم سبعة
 صفوف صفين في الميمنة وصفين في الميسرة وثلاثة صفوف في القلب فكان
 الفريقان أربعة عشر صفا فوقفوا تحت راياتهم لا ينطق أحد منهم بكلمة
 فخرج رجل من أهل العراق يسمى جحل بن أثال وكان من فرسان العرب
 فوقف بين صفوف أهل العراق وأهل الشام ثم نادى هل من مبارز وهو
 متقنع بالحديد فخرج اليه أبوه أثال وكان من معدودي فرسان أهل الشام متقنعا
 بالحديد ولم يعلم واحد منهما من صاحبه فتطاردا والناس قد شخصت أبصارهم
 ينظرون فطعن كل واحد منهما صاحبه فلم يصنع شيئا لكمال لامتئهما فحمل
 الأب على الابن فاحتضنه حتى أشاله عن سرجه فسقط وسقط الأب عليه
 فأنكشفت وجوههما فعرف كل واحد منهما صاحبه فانصرفا الى عسكريهما
 ثم تفرق الناس يومئذ ولم يكن بينهما غير هذا . فلما أصبحوا عادوا الى مواضعهم
 كما كانوا بالأمس فخرج عتبة بن أبي سفيان حتى وقف على فرسه بين الصفين
 فدعا جعدة بن هبيرة بن أبي وهب القرشي ليخرج اليه فأقبل جعدة حتى
 دنا من عتبة فتجاريا ما هم فيه وتقاولا حتى أغضب جعدة عتبة فتناوله عتبة

بلسانه فانصرفا مغضبين وعبي كل واحد منهما لصاحبه كتيبة فاقتلوا بين
الصفين وأعين الناس اليهم وبأشر جعدة القتال فانهزم عتبة وانصرف الفريقان
لم يكن بينهم يومئذ الا ذاك فقال النجاشي يذكر ما كان بينهما

ان شتم الكريم يا عتب خطب فاعلمنه من الخطوب عظيم
أمه أم هاني وأبوه من لؤي بن غالب الصميم
انه للهيرة بن أبي وهب أقرت بفضلته مخزوم

وقال أيضا

مازلت تنظر في عطفك أبهة لا يرفع الطرف منك التيه والصلف
لما رأيتهم صباحا حسبتهم أسد العربين حمى أشبالها الغرف
ناديت خيلك أذعض السيوف بها عوجي الى فما عاجوا وما وقفوا
هلا عطفت الى قتلى مصرعة منها السكون ومنها الازدوا الصدف
قد كنت في منظر عن ذاو مستمع يا عتب لولا سفاه الرأي والترف

قالوا وخرج الأشعث في يوم من الايام في خيل من ابطال أهل العراق فخرج
اليه حبيب بن مسامة في مثل ذلك من أهل الشام واقتلوا بين الصفين مليا
حتى مضى جل النهار ثم انصرفوا وقد انتصف بعضهم من بعض . وخرج
يوما آخر المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خيل فخرج اليه أبو الاعور
السلمي في مثل ذلك فاقتلوا بين الصفين جل النهار فلم يفر أحد عن أحد
وخرج يوما آخر عمار بن ياسر في خيل من أهل العراق فخرج اليه عمرو بن
العاص في مثل ذلك ومعه شقة سوداء على قناة فقال الناس هذا لواء عقده

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على رضى الله عنه أنا مخبركم بقصة هذا اللواء هذا لواء عتده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يأخذه بحقه فقال عمرو وما حقه يا رسول الله فقال لا تفرّ به من كافر ولا تقاتل به مسلماً فقد فرّ به من الكافرين في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قاتل به المسلمون اليوم فاقتتل عمرو وعمار ذلك اليوم كله لم يولّ واحد منهما صاحبه الدبر .

وخرج في يوم آخر محمد بن الحنفية فخرج اليه عبيد الله بن عمر في مثل عدده من أهل الشام فقال عبيد الله لابن الحنفية ابرز لى فقال محمد نزال قال وذاك فنزلا جميعا عن فرسيهما ونظر على اليهما فخرّك فرسه حتى دنا من محمد ثم نزل وقال لمحمد أمسك على فرسى ففعل ومشى الى عبيد الله فولى عنه عبيد الله وقال ما لي في مبارزتك من حاجة انما أردت ابنك فقال محمد يا أبت لو تركتني أبارزه لرجوت أن أقتله قال لو بارزته لرجوت ذلك وما كنت آمنّا أن يقتلك واقتلت خيلاهما الى أنصاف النهار ثم انصرفت وكلّ غير غالب

وخرج في يوم آخر عبد الله بن عباس في خيل من أهل العراق فخرج اليه الوليد بن عتبة في مثلها من أهل الشام فقال الوليد يا ابن عباس قطعتم أرحامكم وقتلتم إمامكم ولم تدركوا ما أملتكم فقال له ابن عباس دع عنك الأساطير وابرز إلى فأبى الوليد وقاتل ابن عباس يومئذ بنفسه قتالا شديدا ثم انصرفا متصفين

وخرج في يوم آخر عمرو بن العاص في خيل من أهل الشام فخرج اليه سعد ابن قيس الهمداني في مثل ذلك من أهل العراق وعمرو يرتجز

لا تأمننّ بعدها أبا حسن طاحنة تدقّكم دقّ الطّحن

أَنَا نَمِرُ الْحَرْبِ أَمْرَارَ الرَّسَنِ

فبدر ممن كان مع عمرو فتى من أهل الشام يسمى حُجْرَ الشَّرِّ فدعا للبراز
فبرز إليه حجر بن عدى فَأَطْعَمَنَا فطعنه حجر الشر طعنة أذراه عن فرسه
وحماه أصحابه فانصرفا وقد جرحه السنان فخرج إليه الحكم بن أذهر وكان
من أشرف الكوفة فاختلفا ضربتين فضربه حجر الشر فقتله ثم نادى هل
من مبارز فبرز إليه ابن عمّ للحكم يسمى رفاعة بن طليق فضرب حجر الشر
فقتله فقال علىّ الحمد لله الذي قتل هذا

(مقتل عبد الله بن بديل)

وخرج في يوم آخر عبد الله بن بديل الخزاعيّ وكان من أفاضل أصحاب
علىّ في خيل من أهل العراق فيخرج إليه أبو الأعور السلمي في مثل ذلك
من أهل الشام فاقتلوا هَوِيًّا من النهار فترك عبد الله أصحابه يعتركون في
مجالهم وضرب فرسه حتى أحماه ثم أرسله على أهل الشام فشقّ جموعهم لا يدنو
منه أحد إلا ضربه بالسيف حتى انتهى إلى الراية التي كان معاوية عليها
فقام أصحاب معاوية دونه فقال معاوية ويحكم أن الحديد لم يؤذن له في هذا
فعليكم بالحجارة فرُث بالصخر حتى مات فأقبل معاوية حتى وقف عليه فقال
هذا كبش القوم هذا كما قال الشاعر

أخو الحرب إن عضبت به الحرب عضباً وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمراً
كليث عرينٍ بات يحمي عرينه رَمَتْهُ المنايا قصدها فتقطراً
قالوا وكان فارس معاوية الذي ينتهي به حرّيث مولاه وكان يلبس بزّة

معاوية ويستلم سلاحه ويركب فرسه ويحمل متشبها بمعاوية فاذا حمل قال
الناس هذا معاوية وقد كان معاوية نهاه عن عليّ وقال اجتنبه وضع رمحك
حيث شئت فخلا به عمرو وقال ما يمنعك من مبارزة عليّ وأنت له كفوء قال
قد نهاني مولاي عنه قال اني والله لأرجو ان بارزته أن تقتله فتذهب بشرف
ذلك فلم يزل يُزين له ذلك حتى وقع في قلب حريث فلما أصبحوا خرج
حريث حتى قام بين الصفيين وقال يا أبا الحسن ابرز الىّ أنا حريث فخرج
اليه عليّ فضربه فقتله . وبعث عليّ يوما من تلك الايام الى معاوية لم يقتل
الناس بيني وبينك ابرز الىّ فأينا قتل صاحبه تولى الأمر فقال معاوية لعمر
ما ترى قال قد أنصفك الرجل فابرز اليه فقال معاوية أتخضعني عن نفسي
ولم أبرز اليه ودوني عاك والأشعرون ثم قال .

ما للملوك وللبراز وانما حظّ المبارز خطمة من باز

ووجد من ذلك عليّ عمرو فهجره أياما فقال عمرو لمعاوية أنا خارج الى عليّ
غدا فلما أصبحوا بدر عمرو حتى وقف بين الصفيين وهو يرتجز

شداً عليّ شكّي لا تنكشف يوم همدان ويوم للصدف
ولتيم مثله أو تنحرف والربيعون لهم يوم عصيف
إذا مشيت مشية العود النطف أطعمهم بكل خطي ثقف

ثم نادى يا أبا الحسن اخرج الىّ أنا عمرو بن العاص فخرج اليه عليّ فقطاعنا
فلم يصنع شيئاً فانتضى عليّ سيفه فحمل عليه فلما أراد أن يحلله رعى بنفسه عن فرسه
ورفع إحدى رجله فبدت عورته فصرف عليّ وجهه وتركه وانصرف عمرو

الى معاوية فقال له معاوية احمد الله وسوداء أستاذك يا عمرو . قالوا وخرج عبيد الله بن عمر بن الخطاب يوما من تلك الايام وكان من فرسان العرب وأبطالها في خيل من أهل الشام وخرج الاشر في مثلها فاشتدت بينهما الحرب فالتقى عبيد الله والاشر فحمل عبيد الله على الاشر وبدره الاشر بطعنة فأخطأه وأسرع الاشر في أصحاب عبيد الله فانصرف الفريقان والاشر الفضل . وخرج يوما آخر عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان من معدودي رجال معاوية فخرج اليه عدي بن حاتم في مثلها فاقتتلوا يومهم كله ثم انصرفوا وكل غير غالب وخرج يوما ذوالكلاع في أربعة آلاف فارس من أهل الشام قد تباعوا على الموت فحملوا على ربيعة وكانوا في ميسرة على وعليهم عبد الله بن عباس فتصدت جموع ربيعة فناداهم خالد بن المعمر يا معشر ربيعة أسخطم الله فتأبوا اليه فاشتد القتال حتى كثرت القتلى ونادى عبيد الله ابن عمر أنا الطيب بن الطيب فسمعه عمار فناداه بل أنت الخليل بن الطيب ثم حمل عبيد الله وهو يرتجز

انا عبيد الله ينمى عمر خير قريش من مضى ومن غير
غير رسول الله والشيخ الأغر أبطأ عن نصر ابن عفان مضر

والرعيون فلا أسقطوا المطر

فضرب شمر بن الزيان العجلي فقتله وكان من فرسان ربيعة

(مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب)

فلما أصبحوا خرج عبيد الله فيمن كان معه بالامس وخرجت اليهم ربيعة

فاقتلوا بين الصفين وعبيد الله امامهم يضرب بسيفه فحمل عليه حرِيث بن جابر الحنفي فطعنه في لبتة فقتله وقد اختلفوا في قتله فقال همدان قتله هاني بن الخطاب وقال حضر موت قتله مالك بن عمرو الحضرمي وقالت ربيعة حرِيث ابن جابر الحنفي وهو المجتمَع عليه فقال كعب بن جُعَيْل يرثيه

ألا انما تبكي العيون لفارسٍ بصفين أجلت خيله وهو واقفُ
فأضحى عبيدُ الله بالقاعِ مسلما تمجُّ دما منه العروق النوازفُ
ينوء وتعلوه سبائبُ من دمٍ كالأح في جيب القميص الكفائف
وقد ضربت حول ابن عم نبينا من الموت شهباء المناكب شارِفُ
تموجُ ترى الرايات حمرا كأنها اذا صوّبتُ للطعن طيرٌ عوا كف
جزى الله قتلانا بصفين ماجزى عبادا له اذ غودروا في المراحِفِ

(مقتل ذي الكلاع)

قالوا وخرج ذو الكلاع في يوم من تلك الايام في كتيبة من أهل الشام من عك ونظم فخرج اليه عبد الله بن عباس في ربيعة فالتقوا ونادى رجل من مذحج العراق يال مذحج خذوا فاعترضت مذحج عكا يضربون سوقهم بالسيوف فيبركون فنادى ذو الكلاع يال عك بروكا كبروك الابل وحمل رجل من بكر بن وائل يسمى خنسد فاعلى ذي الكلاع فضر به بالسيف على عاتقه فقدّ الدرع وفرى عاتقه فخرّ ميتا . فلما قتل ذو الكلاع تمحكت عك وصبروا لعض السيوف فلم يزلوا كذلك حتى أمسوا وكان أهل العراق وأهل الشام أيام صفين اذا انصرفوا من الحرب

يدخل كل فريق منهم في الفريق الآخر فلا يعرض أحدٌ لصاحبه وكانوا يطلبون قتلاهم فيخرجونهم من المعركة ويدفنونهم . قالوا وان عليا رضى الله عنه أشاع أنه يخرج الى أهل الشام بجميع الناس فيقاتلهم حتى يحكم الله بينه وبينهم ففرع الناس لذلك فرعا شديدا وقالوا انما كنا الى اليوم تخرج الكتيبة الى مثلها فيقتتلون بين الجمعين فان التقينا بجميع الفيلقين فهو فناء العرب وقام في الناس خطيبا فقال ألا انكم ملاقوا القوم غدا بجميع الناس فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن وسألوا الله الصبر والنصر وألقوهم بالجد فقال كعب بن جُعيل

أصبحت الأمة في أمر عجب والملك مجموع غدا لمن غلب
أقول قولا صادقا غير الكذب ان غدا تهلك أعلام العرب
واجتمع أهل الشام الى معاوية فعرضهم فنادى مناديه أين الجند المقدم
فخرج أهل حمص تحت رايتهم وعليهم أبو الاعور السلمي ثم نادى أين أهل
الاردن فخرجوا تحت رايتهم وعليهم زفر بن الحرث الكلابي ثم نادى أين
جند الامير فجاء أهل دمشق تحت رايتهم وعليهم الضحاك بن قيس فأطافوا
بمعاوية فعقد لعمر وبن العاص على جميع الناس وساروا حتى وقفوا بازاء
أهل العراق وقعد معاوية على منبر ينظر منه فوق راية الى الفريقين اذا
اقتتلا وأقبلت عك الشام وقد عضبوا أنفسهم بالعمائم وطرحوا بين أيديهم
حجرا وقالوا لا نولى الدبر أو يولى معنا هذا الحجر فصفهم عمرو وخمسة صفوف
ووقف أمامهم يرتجز

يأيها الجيشُ الصليبُ الايمانُ قوموا قياما فاستعينوا الرحمن
اني أتاني خبرٌ فأبكانُ انّ عليا قتل ابن عفّان
رُدُّوا علينا شيخنا كما كان

وأنشأ رجل من أهل الشام يقول

تبكى الكتيبةُ يومَ جرّ حديدِها يومَ الوغى جزعاً على عثمان
يسألون حقَّ الله لا يعدونه وسألتم لعليّ السلطانا
فأتوا بيّنة بما تسولونه هذا البيان فأحضروا البرهانا
ولما أصبح عليّ رضي الله عنه غلّس بصلاة الفجر ثم أمر أصحابه فخرجوا تحت
راياتهم ثم جعل يدور على رايات أهل الشام فيقول من هؤلاء فيسمّون له
حتى اذا عرفهم وعرف مرا كزهم قال لأزد السكوفة اكفوني أزد الشام وقال
لخثعم السكوفة اكفوني خثعم فأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها
من أهل الشام ثم أمرهم أن يحملوا من كل ناحية حملة رجل واحد فحملوا
وحمل عليّ رضي الله عنه على الجمع الذي كان فيه معاوية في أهل الحجاز من
قريش والانصار وغيرهم وكانوا زهاء اثني عشر ألف فارس وعليّ أمامهم
وكبروا وكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الارض فانتقضت صفوف أهل
الشام واختلفت راياتهم وانتهوا الى معاوية وهو جالس على منبره معه عمرو
ابن العاص ينظران الى الناس فدعا بفرس ليركبه ثم ان أهل الشام تداعوا
بعد جؤلتهم وثابوا ورجعوا على أهل العراق وصبر القوم بعضهم لبعض الى
أن حجز بينهم الليل فقتل في ذلك اليوم اناس كثير من أعلام العرب

وأشرفهم فلما أصبحوا دخل الناس بعضهم في بعض يستخرجون قتلاهم
فيدفنونهم يومهم ذلك كله . ثم ان عليا قام في عشية ذلك اليوم في أصحابه
فقال يا أيها الناس اغدوا على مصافكم وازحفوا الى عدوكم وغضوا الابصار
واخفضوا الاصوات وأقلوا الكلام واثبتوا واذكروا الله كثيرا ولا تنازعوا
فتفشوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين . وقام معاوية في
أهل الشام فقال أيها الناس اصبروا وصابروا ولا تتخاذلوا ولا تتواكلوا فانكم
على حق ولكم حجة وانما تقتاتلون من سفك الدم الحرام فليس له في السماء
عاذر . وقام عمرو فقال أيها الناس قدموا المستسلمة وأخروا الحسروا غير وناجما حكم
اليوم فقد بلغ الحق مقطعه وانما هو ظالم أو مظلوم فبات الفريقان طول تلك
الليلة يتعبون للحرب ثم غدوا على مصافهم وحمل الفريقان بعضهم على بعض
وحمل حبيب بن مسامة وكان على ميسرة معاوية على ميمنة علي رضي الله
عنه فانكشفوا وجالوا جولة وانظر علي الى ذلك فقال لسهل بن حنيف انهض
فيمن معك من أهل الحجاز حتى تعين أهل الميمنة فمضى سهل فيمن كان معه
من أهل الحجاز نحو الميمنة فاستقبلهم جموع أهل الشام فكشفوه ومن معه
حتى انتهوا الى علي وهو في التلب فجال القلب وفيه علي جولة فلم يبق مع
علي الا أهل الحفاظ والنجدة فحث علي فرسه نحو ميسرته وهم وقوف يقتاتلون
من بازائهم من أهل الشام وكانوا ربيعة . قال زيد بن وهب فاني لا نظر الى
علي وهو يمر نحو ربيعة ومعه بنوه الحسن والحسين ومحمد وان النبل ليمر بين
أذنيه وعاتقه وبنوه يقونه بأنفسهم فلما دنا علي من الميسرة وفيها الاشر وقد

وقفوا في وجوه أهل الشام يجالدونهم فناداه عليّ وقال انت هؤلاء المهزمين
 فقل أين فراركم من الموت الذي لم تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم فدفع
 الاشتري فرسه فعارض المهزمين فناداهم أيها الناس إلى أن أملك بن الحارث
 فلم يلتفتوا إليه فظنّ أنه بالاستعراف فقال أيها الناس أنا الاشتري فثابروا إليه
 فزحف بهم نحو ميسرة أهل الشام فقاتل بهم قتالا شديدا حتى انكشف
 أهل الشام وعادوا إلى مواقعهم الأولى ورتب الاشتري ميمنة علىّ رضي الله عنه
 والتقلب مراتبهما قبل الجولة فلما عادوا إلى مواقعهم جعل عليّ يسير في الصفوف
 ويؤنبهم على ما كان من جولتهم وذلك ما بين صلاة العصر والمغرب . قال ثم
 أن أهل الشام حملوا على تميم وكانوا في الميمنة فكشفوهم فناداهم زحر بن
 نهشل يا بني تميم إلى أين قالوا ألا ترى إلى ما قد غشنا فقال ويحكم أفرارا
 واعتذارا أن لم تقاتلوا على الدين فقاتلوا على الحساب احمّلوا معي فحمل وحملوا
 فقاتل حتى قُتل وهو أمامهم وحمل الناس جميعا بعضهم على بعض واقتتلوا
 حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف ثم تكادموا بالافواه وتحاثوا بالتراب
 ثم تنادوا من كل جانب يامعشر العرب من النساء والاولاد الله في الحرمة
 وان عليا رضي الله عنه لينغمس في القوم فيضرب بسيفه حتى ينتهي ثم يخرج
 متخضبا بالدم حتى يسوي له سيفه ثم يرجع فينغمس فيهم وربيعة
 لا تترك جهدا في القتال معه والصبر وغابت الشمس وقربوا من معاوية فقال
 لعمر و ما ترى قال أرى أن تخلي سراذك فنزل معاوية عن المنبر الذي
 كان يكون عليه وأخلى السراذق وأقبلت ربيعة وامامها عليّ رضي الله عنه

حتى غشوا السراشق فقتلوه ثم انصرفوا وبات عليّ تلك الليلة في ربيعة

(مقتل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال)

فلما أصبح عليّ غادى أهل الشام القتال ودفع رايته العظمى الى هاشم ابن عتبة فقاتل به انهزاه كله فلما كان العشي انكشف أصحابه انكشافاً وثبت هاشم في أهل الحفاظ منهم والنجدة فحمل عليهم الحارث بن المنذر التميمي فطعن طعنة جائرة فلم ينته عن القتال ووافاه رسول عليّ يأمره أن يقدم رايته فقال للرسول أنظر الى ما بي فنظر الى بطنه فرآه منشقا فرجع الى عليّ فأخبره ولم يلبث هاشم أن سقط وجال أصحابه عنه وتركوه بين القتلى فلم يلبث أن مات وحال الليل بين الناس وبين القتال . فلما أصبح عليّ غلس بالصلاة وزحف بمجموعه نحو القوم على التعبئة الاولى ودفع الراية الى ابنه عبد الله بن هاشم بن عتبة وتزاحف الفريقان فاقتتلوا فرؤى عن القعقاع الظفرى أنه قال لقد سمعت في ذلك اليوم من أصوات السيوف ما الرعد القاصف دونه وعليّ رضي الله عنه واقف ينظر الى ذلك ويقول لاحول ولا قوة الا بالله والله المستعان (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) ثم حمل عليّ بنفسه على أهل الشام حتى غاب فيهم فانصرف متخضبا بالدماء فلم يزلوا كذلك يومهم كله والليل حتى مضى ثلثه وجرح عليّ خمس جراحات ثلاث في رأسه واثنان في وجهه . ثم تفرقوا وغدوا على مصافهم وعمر وبن العاص يقدم أهل الشام فحمل عبد الله بن جعفر ذو الجناحين في قريش والانصار في وجه عمرو فاقتتلوا وحمل غلامان اخوان من الانصار على جموع أهل الشام

حتى انتهيا الى سرادق معاوية فقتلا على باب السرداق ودارت رحى الحرب الى أن ذهب ثلث الليل ثم تهاجزوا ولما أصبح الناس اختلط بعضهم ببعض يستخرجون قتلاهم فيدفنونهم . وكتب معاوية الى عليّ أما بعد فاني انما أقاتلك على دم عثمان ولم أر المداهنة في أمره واسلام حقه فان أدرك بثأري فيه فذاك والاّ فالموت على الحق أجمل من الحياة على الضيم وانما مثلي ومثل عثمان كما قال المخارق

فهما تسلى عن نصري السيد لا تجد لدى الحرب بيت السيد عندي مذمما
فكتب اليه عليّ أما بعد فاني عارض عليك ما عرض مخارق على بني فالج
حيث قال

يا راكبا اما عرضت فبلغا بني فالج حيث استقر قرارها
هلموا الينا لاتكونوا كأنكم بلاقع أرض طار عنها غبارها
سليم بن منصور أناس أغزّة وأرضهم أرض كثير وبارها
فكتب اليه معاوية أنا لم نزل للحرب قادة وانما مثلي ومثلك ما قال أوس
ابن حجر

اذا الحرب حلت ساحة الحى أظهرت عيوب رجال يعجبونك في الأمن
وللحرب أقوام يحامون دونها وكم قد ترى من ذى رواء ولا يغنى
ثم غدوا على الحرب وراية أهل الشام العظمى مع عبد الرحمن بن خالد بن
الوليد وكان يحمل بها ولا يلقاه شيء إلا هده وكان من فرسان العرب وكانت
من أهل العراق جولة شديدة فنادى الناس الاشر وقالوا أما ترى اللواء أين

قد بلغ فتناول الاشرار لواء أهل العراق فتقدم به وهو يرتجز
 انى أنا الاشر معروفُ الشترُ انى أنا الأفعى العراقى الذكُرُ
 قاتل أهل الشام حتى رد اللواء وردهم على أعقابهم فى ذلك يقول النجاشى
 رأيت اللواء كظل العقاب يُقحمه الشامى الأخرزُ
 دعوتله الكبش كبش العراق وقد خالط العسكر العسكرُ
 فرد اللواء على عقبه وفاز بحظوتها الأشر

(مقتل حوشب ذى ظليم)

قالوا وأخذ الراية جندب بن زهير فخرج اليه حوشب ذو ظليم وكان
 من عظماء أهل الشام وفرسانهم فأخذ الراية وجعل يمضى بها قدما وينكى فى
 أهل العراق فخرج اليه سليمان بن صرد وكان من فرسان على فاقتلوا فقتل
 حوشبا وجال أهل العراق جولة انتقضت صفوفهم وانحاز أهل الحفاظ منهم
 مع على رضى الله عنه الى ناحية أخرى يقاتلون. وأقبل عدى بن حاتم يطلب
 عليا فى موضعه الذى خلفه فيه فلم يجده فسأل عنه فدل عليه فأقبل اليه فقال
 يا أمير المؤمنين اما اذ كنت حيا فالأمر أمم واعلم أنى ما مشيت اليك الا
 على اشلأ القتلى وما أبقي هذا اليوم لنا ولاهم عميدا وكان أكثر من صبر
 فى تلك الساعة مع على وقاتل ربيعة فقال على رضى الله عنه يامعشر ربيعة
 أنتم درعى وسيفى ثم ركب الفرس الذى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 يسمى الريح وجنب بين يديه بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء
 وتعمم بعمامته صلى الله عليه وسلم السوداء ثم أمر مناديه فنادى أيها الناس من

من يشري نفسه لله فانتدب له الناس وانضموا اليه فأقبل بهم على أهل الشام
 حتى أزال راياتهم وجالوا جولة قبيحة حتى دعا معاوية بفرسه ليركبها ثم
 نادى مناديه في أهل الشام الى أين أيها الناس أثيبوا فان الحرب سجال
 فثاب اليه الناس وكروا على أهل العراق وقال معاوية امرو قدّم عكّ
 والأشعرين فاتهم كانوا أول من انهزم في هذه الجولة فأتاهم عمرو قبلتهم
 قول معاوية فقال رئيسهم مسروق العكّي انتظروني حتى آتي معاوية فأتاه
 فقال افرض لقومي في ألفين ألفين ومن هلك منهم فابن عمه مكانه قال
 ذلك لك فانصرف الى قومه فأعلمهم ذلك فتقدموا فاضطربوا هم وهمدان
 بالسيوف اضطرابا شديدا فأقسمت عكّ لا ترجع حتى ترجع همدان وأقسمت
 همدان على مثل ذلك فقال عمرو لمعاوية لقيت أسدًا أسدا لم أركاليوم قط
 فقال عمرو لو أن معك حيّا آخر كهك ومع عليّ كهمدان لكان الفناء .
 وكتب معاوية الى عليّ بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبي سفيان الى
 عليّ بن أبي طالب أما بعد فإني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ
 بك وبنا ما بلغت لم نجنها على أنفسنا فإنا وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد
 بقي لنا منها ما ينبغي أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقي فانك لا ترجو من
 البقاء الا ما أرجو ولا أخاف من القتل الا ما تخاف وقد والله رقت الاجناد
 وتغاني الرجال ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل الا ما لا
 يستدلّ به العزيز ولا يسترقّ به الحرّ والسلام . فكتب اليه عليّ رضي الله
 عنه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر أنك لو علمت

وعلمنا أن الحرب تبلغ بك وبنا ما بلغت لم نجها على أنفسنا فاعلم انك وإيانا
 منها الى غاية لم تبلغها بعد وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فانك لست أمضى
 على الشك منى على اليقين وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل
 العراق على الآخرة وأما قولك إنا بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض
 فضل فليس كذلك لأن أمية ليس كهاشم ولا حربا كعبد المطالب ولا أبو
 سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق وفي أيدينا فضل النبوة التي بها قتلنا
 العزيز ودان لنا بها الدليل . ثم ان عليا رضى الله عنه غلس بالصلاة صلاة
 الفجر وزحف بجموعه نحو أهل الشام فوقف الفريقان تحت رايتهم وخرج
 الاشر على فرس كُفيت ذنوبه متنعا بالحديد وبيده الرمح فحمل على أهل
 الشام فاتبعه الناس وكسر فيهم ثلاثة أرماح واضطرب الناس بالسيوف وعمد
 الحديد وبرز رجل من أهل الشام مقنعا بالحديد ونادى يا أبا الحسن ادن
 منى أكلمك فدنا منه على حتى اختلفت أعناق فرسيهما بين الصفيين فقال
 ان لك قدما في الاسلام ليس لأحد وهجرة مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وجهادا فهل لك أن تحقن هذه الدماء وتؤخر هذه الحرب برجوعك
 الى عراقك ونرجع الى شامنا الى أن تنظر وننظر في أمرنا فقال على يا هذا انى
 قد ضربت أنف هذا الأمر وعينه فلم أجده يسعى الا القتال او الكفر بما
 أنزل الله على محمد ان الله لا يرضى من أوليائه أن يعصى فى الارض وهم
 سكوت لا يأمرؤن بمعروف ولا ينهون عن منكر فوجدت القتال أهون
 من معالجة الاغلال فى جهنم قال فانصرف الشامي وهو يسترجع ثم اقتتلوا

حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف وأظلمت الأرض من القتام
وأصابهم البهر وبقى بعضهم ينظر الى بعض بهيرا فتحاجزوا بالليل وهي ليلة
الهرير ثم أصبحوا غداة هذه الليلة واختلط بعضهم ببعض يستخرجون قتلاهم
ويدفنونهم . ثم ان عليا قام من صبيحة ليلة الهرير في الناس خطيبا فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انه قد بلغ بكم وبعدوكم الأمر الى ماترون ولم
يبق من القوم الا آخر نفس فتأهبوا رحمكم الله لِمَناجزة عدوكم غدا (حتى يحكم
الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين)

(طلب التحكيم واختلاف أهل العراق)

و بلغ ذلك معاوية فقال لعمر و ما ترى فانما هو يومنا هذا وليلتنا هذه قال
عمر و انى قد أعددت بحيلتى أمرا آخرته الى هذا اليوم فان قبلوه اختلفوا وان
ردوه تفرقوا قال معاوية وما هو قال عمرو وتدعوهم الى كتاب الله حكما بينك
وبينهم فانك بالغ به حاجتك فعلم معاوية ان الامر كما قال . قالوا وان الاشعث
ابن قيس قال لقومه وقد اجتمعوا اليه قد رأيتم ما كان في اليوم الماضى من
الحرب المبيرة وانا والله ان التقينا غدا انه لبوار العرب وضيفة الحرمات .
قالوا فانطلقت العيون الى معاوية بكلام الاشعث فقال صدق الاشعث اثن
التقينا غدا ليميلن الروم على ذرارى أهل الشام وليميلن دهاقين فارس على ذرارى
أهل العراق وما يُبصر هذا الامر الا ذوو الاحلام اربطوا المصاحف على
أطراف القنا . قالوا فربطت المصاحف فأول ما ربط مصحف دمشق الاعظم
ربط على خمسة أرماع يحملها خمسة رجال ثم ربطوا سائر المصاحف جميع

ما كان معهم وأقبلوا في الغلس ونظر أهل العراق الى أهل الشام قد أقبلوا
وأمامهم شبيهة بالرايات فلم يدروا ماهو حتى أضاء الصبح فنظروا فإذا هي
المصاحف . ثم قام الفضل بن أدهم أمام القلب وشرح الجذامى أمام الميمنة
وورقاء بن المعمر أمام الميسرة فنادوا يامعشر العرب الله الله فى نساءكم
وأولادكم من فارس والروم غدا فقد فنيتم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فقال
على رضى الله عنه ما الكتاب تريدون ولكن المكر تحاولون ثم أقبل أبو
الاعور السلمي على بردون أشهب وعلى رأسه مصحف وهو ينادى يا أهل
العراق هذا كتاب الله حكما فيما بيننا وبينكم فلما سمع أهل العراق ذلك
قام كردوس بن هانىء البكرى فقال يا أهل العراق لا يهدئكم ماترون من
رفع هذه المصاحف فانها مكيدة . ثم تكلم سفيان بن ثور النكرى فقال
أيها الناس انا قد كنا بدأنا بدعاء أهل الشام الى كتاب الله فردوا علينا
فاستحللنا قتالهم فان ردونا عليهم حل لهم قتالنا ولسنا نخاف أن يحيف الله
علينا ولا رسوله . ثم قام خالد بن المعمر فقال لعلى ياأمير المؤمنين ما البقاء الا
فيما دعا القوم اليه ان رايته وان لم تره فرأيتك أفضل . ثم تكلم الحضير بن
المنذر فقال أيها الناس ان لنا داعيا قد حمدنا وردده وصدره وهو المأمون على
ما فعل فان قال لا قلنا لا وان قال نعم قلنا نعم فتكلم على وقال عباد الله أنا
أحرى من أجب الى كتاب الله وكذلك أتم غيران القوم ليسوا يريدون بذلك
الا المكر وقد عضتهم الحرب والله لقد رفعوها وما رأيهم العمل بها وليس
يسعنى مع ذلك ان ادعى الى كتاب الله فأبى وكيف وانما أقاتلهم ليدينوا بحكمه

فقال الاشعث يا أمير المؤمنين نحن لك اليوم على ما كنا لك عليه أمس غير أن
الرأى مارأيت من اجابة القوم الى كتاب الله حكما فأما عدى بن حاتم وعمر و
ابن الحنظل فلم يهويا ذلك ولم يشيرا على عليّ به . ولما أجاب عليّ رضى الله
عنه قالوا له فابعث الى الاشتر ليمسك عن الحرب ويأتيك وكان يقاتل
في ناحية الميمنة فقال عليّ ليزيد بن هاني انطلق الى الاشتر فمره أن يدع
ما هو فيه ويقبل فأتاه فأبلغه فقال ارجع الى أمير المؤمنين فقل له ان الحرب
قد اشتجرت بيني وبين أهل الناحية فليس يجوز أن أنصرف فأنصرف
يزيد الى عليّ فأخبره بذلك وعلت الاصوات من ناحية الاشتر وثار النقع
فقال القوم اعلىّ والله ما نحسبك أمرته الا بالقتال فقال كيف أمرته بذلك ولم
أسأره سرا . ثم قال ليزيد عد الى الاشتر فقل له أقبل فان الفتنة قد وقعت
فأتاه فأخبره بذلك فقال الاشتر أرفع هذه المصاحف قال نعم قال أما والله
لقد ظننت بها حين رفعت انها ستوقع اختلافا وفرقة . فأقبل الاشتر حتى
انتهى اليهم فقال يا أهل الوهن والذل أحين علوتم القوم تنكسون لرفع هذه
المصاحف أمهلوني فوفا قالوا لا ندخل معك في خطيئتك قال ويحكم كيف
بكم وقد قتل خياركم وبقى أراذلكم فحي كنتم محقين أحين كنتم تقاتلون
أم الآن حين أمسكنكم فما حال قتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم أفي الجنة
أم في النار قالوا قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله فقال يا أصحاب الجباه السود
كنا نظن أن صلاتكم عبادة وشوق الى الجنة فنراكم قد فررتم الى الدنيا
فقبحنا لكم فسبوه وسبهم وضربوا وجهه دابته بسياطهم وضربوه وجوهه دوابهم

بسوطه وكان مسعر بن فدكي وابن الكواء وطبقهم من القراء الذين صاروا بعد خوارج كانوا من أشد الناس في الاجابة الى حكم المصحف وأن معاوية قام في أهل الشام فقال أيها الناس ان الحرب قد طالت بيننا وبين هؤلاء القوم وأن كل واحد منا يظن انه على الحق وصاحبه على الباطل وأنا قد دعوناهم الى كتاب الله والحكم به فان قبلوه والا كنا قد أعذرنا اليهم. ثم كتب الى عليّ ان أول من يحاسب على هذا القتال أنا وأنت وأنا أدعوك الى حقن هذه الدماء والفة الدين وإطراح الضغائن وأن يحكم بيني وبينك حكمان أحدهما من قبلي والآخر من قبلك ما يجدانه مكتوبا مينا في القرآن يحكمان به فارض بحكم القرآن ان كنت من أهله . فكتب اليه على دعوت الى حكم القرآن واني لا علم انك ليس حكمه تحاول وقد أجبنا القرآن الى حكمه لا اياك ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا . وكتب الى عمرو ابن العاص أما بعد فان الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئا الا انفتح له بذلك حرص يزيده فيها رغبة وان يستغنى صاحبها بما نال منها عما لم ينله ومن وراء ذلك فراق ما جمع فلا تحبط عمالك بمجاراة معاوية على باطله وان لم تنته لم تضر بذلك الا نفسك والسلام . فأجابه عمرو أما بعد فان الذي فيه صلاحنا وألفة ما بيننا الانابة الى الحق وقد جعلنا القرآن حكما بيننا وبينك لنرضي بحكمه ويعذرنا الناس عند المناجزة والسلام . فكتب اليه على أما بعد فان الذي أعجبك مما فازتكَ نفسك اليه من طلب الدنيا منقلب عنك فلا تطمئن اليها فانها غرارة ولو اعتبرت

بما مضى انتفعت بما بقي والسلام . فكتب اليه عمرو أما بعد فقد أنصف من جعل القرآن حكماً فصبراً أبا حسن فانا غير مُنيليك إلا ما أنالك القرآن والسلام

(الاتفاق على التحكيم)

فاجتمع قرّاء أهل العراق وقرّاء أهل الشام فقعدوا بين الصفيين ومعهم المصحف يتدارسون فاجتمعوا على أن يحكموا حكمين وانصرفوا . فقال أهل الشام قد رضينا بعمرو وقال الأشعث ومن كان معه من قرّاء أهل العراق قد رضينا نحن بأبي موسى فقال لهم عليّ لست أثق برأى أبي موسى ولا بحزبه ولكن أجعل ذلك لعبد الله بن عباس قالوا والله ما نفرّق بينك وبين ابن عباس وكأنت تريد أن تكون أنت الحاكم بل اجعله رجلاً هومنك ومن معاوية سواء ليس الى أحد منكم بأدنى منه الى الآخر قال عليّ رضى الله عنه فلم ترضون لأهل الشام بابن العاص وليس كذلك قالوا أولئك أعلم انما علينا أنفسنا قال فاني أجعل ذلك الى الأشعث قال الأشعث وهل سعر هذه الحرب الا الأشعث وهل نحن الا في حكم الأشعث قال عليّ وما حكمه قال يضرب بعضٌ وجوه بعضٍ حتى يكون ما يريد الله قال فقعد أيتّم الا أن تجعلوا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ما أحببتهم . قالوا فارسلوا رسولا الى أبي موسى وقد كان اعتزل الحرب وأقام بعرض من أعراض الشام فدخل عليه مولى له فقال قد اصطلىح الناس فقال الحمد لله رب العالمين قال وقد جعلوك حكماً قال انا لله وانا اليه راجعون فأقبل أبو موسى حتى دخل عسكر عليّ فولّوه الأمر ورضوا به فقبله فقال الأحنف بن قيس لعليّ انك قد مُنيت بحجر

الأرض وداهية العرب وقد عجمتُ أبا موسى فوجدته كليل الشفرة قريب
العقر وأنه لا يصلح لهذا الأمر إلا رجل يدنو من صاحبه حتى يكون في كفه
ويبعد منه حتى يكون مكان النجم فإن شئت أن تجعلني حكما فافعل والا
فثانيا أو ثالثا فإن قلت اني لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فابعث رجلا من صحابته واجعلنى وزيرا له ومشييرا فقال على ان القوم قد
أبوا أن يرضوا بغير أبى موسى والله بالغ أمره . قالوا فقال أيمن بن خريم
الاسدى من أهل الشام وكان معتزلا للقوم

لو كان للقوم رأى يهتدون به بعد القضاء رمؤكم بآبن عباس
لكن رمؤكم بشيخ من ذوى يمن لم يذر ما ضرب أخماس لاسداس
قالوا وقد كان معاوية جعل لأيمن بن خريم ناحية من فلسطين على أن
يبايعه فأبى وقال

لست بقاتل رجلا يصلى على سلطان آخر من قریش
له سلطانة وعلى ائمة معاذ الله من سفه وطيش
أأقتل مسلما فى غير حق فليس بنافعى ما عشت عيشى

(عقد التحكيم)

قالوا فاجتمع أهل العراق وأهل الشام وأتوا بكاتب وقالوا اكتب بسم
الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين فقال معاوية بئس الرجل
أنا إذا ان أقررتُ بأنه أمير المؤمنين ثم أقاتله قال عمرو اكتب اسمه واسم
أبيه فقال الأحنف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تمحُ اسم امرأة المؤمنين فأنى

أخاف ان محوتها لم ترجع اليك أبدا ولا تجبهم الى ذلك فقال عليّ الله أكبر سنة بسنة أما والله لقد جرى على يدي نظير هذا يعنى القضية يوم الحديبية وامتناع قريش أن يكتب محمد رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم للكاتب اكتب محمد بن عبد الله فكتبوا . هذا ما تقاضى عليه عليّ ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قضية عليّ على أهل العراق شاهدهم وغائبهم وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم انا تراضينا أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته الى خاتمته نُحيي ما أحيا ونُمت ما أُمات على ذلك تقاضينا وبه تراضينا وان عليّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرا وحاكما ورضى معاوية وشيعته بعمر وبن العاص ناظرا وحاكما على أن عليّا ومعاوية أخذوا على عبد الله بن قيس وعمر وبن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله أن يتخذوا القرآن اماما ولا يعدوا به الى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطورا وما لم يجدوا في الكتاب ردّاه الى سنة رسول الله الجامعة لا يتعمدان لها خلافا ولا يبغيان فيها بشبهة وأخذ عبد الله بن قيس وعمر وبن العاص على عليّ ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه الى غيره وهما آمانان في حكومتهم على دماءهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأولادهما ما لم يعدوا الحق رضى به راض أو سخطه ساخط وان الامة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله فان تُوفّي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة

فأشيعته وأصحابه أن يختاروا مكانه رجلا من أهل المعدلة والصالح على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق وإن مات أحد الأمرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية فأشيعته أن يولوا مكانه رجلا يرضون عدله . وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح وقد وجبت القضية على ماسمينا في هذا الكتاب من موقع الشرط على الأمرين والحكمين والفريقين والله أقرب شهيد وكفى به شهيدا فان خلفا وتعديا فالامة بريئة من حكمهما ولا عهد لهما ولا ذمة والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم الى انقضاء الأجل والسلاح موضوعة والسبل آمنة والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر . وللحكمين أن ينزلا منزلا متوسطا عدلا بين أهل العراق وأهل الشام ولا يحضرهما فيه الا من أحبا عن تراض منهما والأجل الى انقضاء شهر رمضان فان رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجلها وان رأيا تأخيرها الى آخر الأجل أخرها فان هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيه الى انقضاء الأجل فالفريقان على أمرهم الاول في الحرب وعلى الامة عهد الله وميثاقه في هذا الامر وهم جميعا يد واحدة على من أراد في هذا الأمر الحاددا أو ظلما أو خلافا . شهد على ما في هذا الكتاب الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب والأشعث بن قيس والاشتر بن الحارث وسعيد بن قيس والحسين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب وأبوسعيد بن ربيعة الانصاري وعبد الله بن خباب بن الارت وسهل بن حنيف وأبو بشر بن عمر الانصاري

وعوف بن الحارث بن عبد المطلب ويزيد بن عبد الله الاسلمى وعقبة بن عامر الجهنى ورافع بن خديج الانصارى وعمر بن الحلق الخزاعى والنعمان ابن العجلان الانصارى وحجر بن عدى الكندى ويزيد بن حجة النكرى ومالك بن كعب الهمدانى وربيعة بن شرحبيل والحارث بن مالك وحجر ابن يزيد وعلبة بن حجة . ومن أهل الشام حبيب بن مسلمة الفهرى وأبو الاعور السامى وبُسر بن أبى أرطاة القرشى ومعاوية بن حديج الكندى والمخارق بن الحارث ومسلم بن عمرو السكسكى وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وحمزة بن مالك وسبيع بن يزيد الحضرمى وعبد الله بن عمرو بن العاص وعلقمة بن يزيد الكلبي وخالد بن الحصين السكسكى وعلقمة بن يزيد الحضرمى ويزيد بن أنجر العبسى ومسروق بن جيلة العكى وبُسر ابن يزيد الحميرى وعبد الله بن عامر القرشى وعتبة بن أبى سفيان ومحمد ابن أبى سفيان ومحمد بن عمرو بن العاص وعمار بن الاحوص الكلبي ومسعدة ابن عمرو العتبى والصباح بن جلهمة الحميرى وعبد الرحمن بن ذى الكلاع وثمامة بن حوشب وعلقمة بن حكم وكتب يوم الأربعاء ثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين .

(بدء أمر الخوارج)

وان الأشعث أخذ الكتاب فقرأه على الفريقين يمر به على راية راية وقبيلة قبيلة فيقرأ عليهم فمر برايات عنزة وكان مع على منهم أربعة آلاف رجل فلما قرأه عليهم قال أخوان منهم اسمهما جعدومعدان لا حكم الا لله ثم شدا

على أهل الشام فقاتلوا حتى قُتلا وهما أوّل من حكم . ثم مرّ على رايات مُراد فقرأه عليهم فقال صالح بن شقيق وكان من أفاضلهم لا حكم إلاّ لله وإن كره المشركون . ثم مرّ به على رايات بنى راسب فتنادوا لا يُحكم الرجال في دين الله . ثم مرّ به على رايات بنى تميم فقالوا مثل ذلك فقال عُروة بن أُديّة أتحكمون في دين الله الرجال فأين قتلنا يا أشعث ثم حمل بسيفه على الاشعث فأخطأه وأصاب السيف عجز دابّته فانصرف الاشعث الى قومه فمضى اليه سادات تميم فاعتذروا اليه فقبل وصفح . وأقبل سليمان بن صُرد الى عليّ مضروباً في وجهه بالسيف فقال يا أمير المؤمنين أما لو وجدت أعواناً ما كتبت هذه الصّحيفة . وقام مُحَرِّز بن خنيس بن ضليح الى عليّ فقال يا أمير المؤمنين أما الى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل فوالله اني لخائف أن يورثك ذُلاًّ قال عليّ أبعد أن كتبناه ننقضه هذا لا يجوز . ثم ان عليّاً ومعاوية اتفقا على أن يكون مجتمع الحكمين بدومة الجندل وهو المنصف بين العراق والشام .

(اجتماع الحكمين بدومة الجندل)

ووجه عليّ مع أبي موسى شريح بن هانئ في أربعة آلاف من خاصّته وصيّر عبد الله بن عباس على صلاتهم وبعث معاوية مع عمرو بن العاص أبا الاعور السلمي في مثل ذلك من أهل الشام فساروا من صفين حتى وافوا دومة الجندل وانصرف عليّ بأصحابه حتى وافى الكوفة وانصرف معاوية بأصحابه حتى وافى دمشق ينتظران ما يكون من أمر الحكمين . وكان عليّ اذا كتب الى ابن عبّاس في أمر اجتمع اليه أصحابه فقالوا ما كتب

اليك أمير المؤمنين فيكتبهم فيقولون لم كتمتنا وانما كتب اليك في كذا وكذا فلا يزالون يزكنون حتى يقفوا على ما كتب به وتأني كتب معاوية الى عمرو بن العاص فلا يأتيه أحد من أصحابه يسأله عن شيء من أمره قالوا وكتب معاوية الى عبد الله بن عمر بن الخطاب وإلى عبد الله بن الزبير وإلى أبي الجهم بن حذيفة وإلى عبد الرحمن بن عبد يغوث أما بعد فإن الحرب قد وضعت أوزارها وصار هذان الرجلان إلى دومة الجندل فأقدموا عليهما أن كنتم قد اعتزلتم الحرب فلم تدخلوا فيما دخل فيه الناس لتشهدوا ما يكون منهما والسلام. فلما أتاهم كتابه ساروا جميعا إلى دومة الجندل فأقاموا ينتظرون ما يكون من الرجلين وحضر معهم سعد بن أبي وقاص وسار المغيرة بن شعبة وكان مقيما بالطائف لم يشهد شيئا من تلك الحروب حتى أتى دومة الجندل فأقام ينتظر ما يكون منهما فلما طال مقامه سار من هناك حتى أتى معاوية بدمشق فقال له معاوية أشرك علي بما ترى فقال له المغيرة لو أشركت عليك لقاتلت معك ولكني قد أتيتك بنخبر الرجلين قال وما خبرهما قال اني خلوت بأبي موسى لا بأبى ما عنده فقلت ماتقول فيمن اعتزل عن هذا الامر وجلس في بيته كراهية للدماء فقال أولئك خيار الناس خفت ظهورهم من دماء اخوانهم وبطونهم من أموالهم قال فخرجت من عنده وأتيت عمرو بن العاص فقلت يا أبا عبد الله ماتقول فيمن اعتزل هذه الحروب فقال أولئك شرار الناس لم يعرفوا حقًا ولم ينكروا باطلا وأنا أحسب أبا موسى خالعا صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد وأحسب هواه في عبد الله بن عمر بن الخطاب وأما

عمر و بن العاص فهو صاحبك الذي عرفته وأحسب سيطلبها لنفسه أولاً بنه عبد الله ولا أراه يظن أنك أحق بهذا الأمر منه فاقلق ذلك معاوية قالوا ثم ان عمرو بن العاص جعل يظهر تبجيل أبي موسى واجلاله وتقديمه في الكلام وتوقيره ويقول صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلي وأنت أكبر سنًا مني ثم اجتمعا ليتناظرا في الحكمة فقال أبو موسى يا عمرو هل لك فيما فيه صلاح الأمة ورضا الله قال وما هو قال تولى عبد الله بن عمر فانه لم يدخل نفسه في شيء من هذه الحروب قال له عمرو وأين أنت عن معاوية قال أبو موسى ما معاوية موضعاً لها ولا يستحقها بشيء من الأمور قال عمرو أليست تعلم أن عثمان قتل مظلوماً قال بلى قال فان معاوية ولي عثمان وبيته بعد في قريش ما قد علمت فان قال الناس لم ولي الأمر وليست له سابقة فان لك في ذلك عذراً تقول اني وجدته ولي عثمان والله تعالى يقول (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيِّهِ سُلْطَانًا) وهو مع هذا أخو أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد أصحابه قال أبو موسى اتق الله يا عمرو أما ما ذكرت من شرف معاوية فهو كان يستوجب بالشرف الخلافة لكان أحق الناس بها أبرهة بن الصباح فانه من أبناء ملوك اليمن التابعة الذين ملكوا شرق الارض وغربها ثم أي شرف لمعاوية مع علي بن أبي طالب وأما قولك ان معاوية ولي عثمان فأولى منه ابنه عمرو بن عثمان ولكن ان طاوعتني أحياناً سنة عمر بن الخطاب وذكره بتوليتنا ابنه عبد الله الخبر قال عمرو فما يمنعك من ابني عبد الله مع فضله وصلاحه وقديم هجرته وصحبته

فقال أبو موسى ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الحروب غمسا
ولكن هلم نجعلها للطيب ابن الطيب عبد الله بن عمر قال عمرو يا أبا موسى انه
لا يصلح لهذا الامر الا رجل له ضرسان يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر قال
أبو موسى ويحك يا عمرو ان المسلمين قد أسندوا إلينا أمرا بعد أن تقارعوا
بالسيوف وتشاكوا بالرماح فلا نردّهم في فتنة قال فما ترى قال أرى أن نخلع هذين
الرجلين عليا ومعاوية ثم نجعلها شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم من
أحبّوا قال عمرو فقد رضيت بذلك وهو الرأي الذي فيه صلاح الناس . قال
فافترقا على ذلك وأقبل ابن عباس الى أبي موسى فخلاه وقال ويحك يا أبا موسى
أحسب والله عمرا قد أختدعك فان كنتما قد اتفقتما على شيء فقدّمه قبلك
ليتكلم ثم تكلم بعده فان عمرا رجل غدار وليست آمن أن يكون قد أعطاك
الرضا فيما بينك وبينه فاذا قت به في الناس خالفك قال أبو موسى قد اتفقتما
على أمر لا يكون لاحدنا على صاحبه فيه خلاف ان شاء الله . فلما أصبحوا من
غد خرجوا الى الناس وهم مجتمعون في المسجد الجامع فقال أبو موسى لعمرو
أصعد المنبر فتكلم فقال عمرو ما كنت أتقدمك وأنت أفضل مني فضلا
وأقدم هجرة وسنا فبدأ أبو موسى فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها
الناس انا قد نظرنا فيما يجمع الله به ألفة هذه الامة ويصلح أمرها فلم نر شيئا
هو أبلغ في ذلك من خلع هذين الرجلين على معاوية وتصييرها شورى
ليختار الناس لأنفسهم من رأوه لها أهلا واني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا
أمركم وولوا عليكم من أحببتهم ثم نزل وصعد عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم

قال ان هذا قد قال ماسمعتم وخلع صاحبه الا واني قد خلعت صاحبه كماخلعه
وأثبت صاحبي معاوية فانه ولي أمير المؤمنين عثمان والطالب بدمه وأحق الناس
بمقامه فقال له أبو موسى مالك لا وقّك الله غدرت وفجرت وانما مثلك مثل
الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فقال له عمرو ومثلك كمثلي
الحمار يحمل أسفارا وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه بالسوط وحجز الناس
بينهما وكان شريح يقول ما ندمت على شيء قط كندامتني إلا أن أكون ضربته
مكان السوط بالسيف. أتى الدهر في ذلك بما أتى. وانسل أبو موسى فركب
راحلته وهرب حتى لحق بمكة فكان ابن عباس يقول لحى الله أبا موسى
لقد نهته فما انتبه وحذّرتة ما صار اليه فما انحاش وكان أبو موسى يقول لقد
حذّرنى ابن عباس غدر عمرو فاطمأنت اليه ولم أظن أنه يؤثر شيئاً على
نصيحة المسلمين. ثم انصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلموا عليه
بالخلافة وأقبل ابن عباس وشريح بن هانئ ومن كان معهما من أهل العراق
الى عليّ فاخبروه الخبر فقام سعيد بن قيس الهمدانيّ فقال والله لو اجتمعا
على الهدى ما زادنا على ما نحن عليه بصيرة ثم تكلم عامة الناس بنحو من هذا

(خروج الخوارج على علي)

قالوا ولما بلغ أهل العراق ما كان من أمر الحكمين لقيت الخوارج بعضها
بعضاً واتعدوا أن يجتمعوا عند عبد الله بن وهب الراسبي فاجتمع عنده عظماءهم
وعبّادهم فكان أول من تكلم منهم عبد الله بن وهب فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال معاشر اخواني ان متاع الدنيا قليل وان فراقها وشيك فاخرجوا بنا

منكرين لهذه الحكومة فانه لا حكم الا لله وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ثم تكلم حمزة بن سيار فقال الراى ما رأيتما ومنهج الحق فيما قلتما فولوا أمركم رجلا منكم فانه لا بد لكم من قائد وسائس وراية تحفون بها وترجعون اليها فعرضوا الامر على يزيد بن الحُصين وكان من عبادهم فأبى أن يقبلها ثم عرضوها على ابن أبي أوفى العبسى فأبى أن يقبلها ثم عرضوها على عبد الله بن وهب الراسبى فقال هاتوها فوالله ما أقبلها رغبة فى الدنيا ولا فرارا من الموت ولكن أقبلها لما أرجو فيها من عظيم الاجر ثم مدَّ يده فقاموا اليه فبايعوه فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق والجهاد فى سبيله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ وقال الله عز وجل وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وأشهد على أهل دَعَوَتنا من أهل ديننا أن قد اتبعوا الهوى وينذوا حكم الكتاب وجاروا فى الحكم وان جهادهم لحق فأقسم بمن تعنوا له الوجوه وتخشع له الا بصار لو لم أجد على قتالهم مساعدا لقاتلتهم وحدى حتى ألقى ربي شهيدا . فلما سمع ذلك عبد الله بن السَّخْبَر وكان من أصحاب البرانس استعبر با كيا ثم قال لحي الله امراً لا يكون تشريح ما بين عظمه ولحمه وعصبه أيسر عنده من سَخَط الله عليه فى لحظة يسعى بها على ممته فكيف وانما تريدون وجه الله يا اخوتى تقرّبوا الى الله بيبغض من عصاه واخرجوا اليهم فاضربوا وجوههم بالسيوف حتى يُطاع الله يُثبكم ثواب المطيعين العاملين

بمرضاته القائمين بحقوقه فان تظفروا فالغنيمة والفتح وان تغلبوا فأى شىء أفضل من المصير الى رضوان الله وجهته ثم افترقوا يومهم ذلك . فلما كان من الغد أقبل عبد الله بن وهب الراسبي في نفر من أصحابه حتى دخل على شريح ابن أبي أوفى العبسي وكان من عظمائهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان هذين الحكمين قد حكما بغير ما أنزل الله وقد كفر اخواننا حين رضوا بهما وحكموا الرجال في دينهم ونحن على الشيوخ من بين أظهرهم وقد أصبحنا والحمد لله ونحن على الحق من بين هذا الخلق فقال شريح أنذرا أصحابك واعلمهم خروجك ثم اخرج بنا على بركة الله حتى نأتى المدائن فننزلها ونرسل الى اخواننا الذين بالبصرة فيقدموا علينا فتكون أيديهم مع أيدينا فقال يزيد ابن حصين الطائي انكم ان خرجتم بجماعتكم طُلبتم ولكن اخرجوا فرادى مستخفين فأما المدائن فان بها من يمنع عنها ولكن تواعدوا أن توافوا جسر النهروان فتقيموا هناك وتكتبوا الى اخوانكم من أهل البصرة أن يوافقكم بها قالوا هذا الرأي فاتفقوا على ذلك وأنذروا جميعا أصحابهم فاستعدوا للخروج فرادى وكتبوا الى من كان منهم بالبصرة بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله ابن وهب ويزيد بن الحصين وجُرْ قوص بن زهير وشريح بن أبي أوفى الى من بلغه كتابنا بالبصرة من المؤمنين المسلمين سلام عليكم فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو الذي جعل أحب عباده اليه أعلمهم بكتابه وأقومهم بالحق في طاعته وأشدهم اجتهادا في مرضاته وان أهل دعوتنا حكموا الرجال في أمر الله فحكموا بغير ما في كتاب الله ولا في سنة نبي الله فكفروا لذلك وصدّوا

عن سواء السبيل وقد نابذناهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين أما بعد فقد
اجتمعنا بجسر النهر وان فسيروا الينا رحمكم الله لتأخذوا نصيكم من الأجر
والثواب وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وكتبنا هذا اليكم مع رجل من
اخوانكم ذى أمانة ودين فسلوه عما أحببتم واكتبوا الينا بما رأيتم والسلام .
ثم وجهوا كتابهم مع عبد الله بن سعد العباسي فسار حتى أتى البصرة وأوصل
الكتاب الى أصحابه فاجتمعوا فقرأوه ثم كتبوا اليهم بوشك موافقتهم ثم ان
القوم خرجوا من الكوفة عباديد الرجل والرجلين والثلاثة وخرج يزيد بن
الحصين على بغلة يقود فرسا وهو يتلو هذه الآية فخرج منها خائفا يترقب قال
ربّ نجّني من القوم الظالمين ولما توجهت تلقاء مدين قال عسى ربّي أن يهديني
سواء السبيل . وسار حتى انتهى الى السيب فاجتمع اليه جمع كثير من أصحابه
وفيهم زيد بن عدى بن حاتم فخرج عدى في طلب ابنه حتى انتهى الى
المدائن فلم يلقه فأتى سعيد بن مسعود الثقفي وكان سعيد عامل على
المدائن فأخذ حذره وتحاماه القوم وخرج عبد الله بن وهب الراسبي في جوف
الليل والتأتم اليه جميع أصحابه فصاروا جمعا كثيرا منهم فأخذوا على الأنبار
وتبطّنوا شطّ الفرات حتى عبروا من قبل دير العاقول فاستقبله عدى بن
حاتم وهو منصرف الى الكوفة فأراد عبد الله أخذه فمنعه منه عمرو بن مالك
النهائي وبشير بن يزيد البولاني وكانا من رؤساء الخوارج فاستخلف سعيد
ابن مسعود على المدائن ابن أخيه المختار بن أبي عبيد وخرج في طلب عبد الله
ابن وهب وأصحابه فلقاهم بكرخ بغداد مع مغيب الشمس وسعيد في خمسمائة

فارس والخواارج ثلاثون رجلاً فتناوشوا ساعة فقال أصحاب سعيد لسعيد أيها الأمير ما تريد إلى قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر فخلّ سبيلهم واكتب إلى أمير المؤمنين تعلمه أمرهم فمضى وتركهم . وسار عبد الله بن وهب فرّياً ببغداد وأخذ دهاقينها بالمعابر وذلك قبل أن تُدبى بغداد فأتاه الدهقان بها فعبر إلى أرض جُوخى ثم مضى من هناك حتى انضم إلى أصحابه وهم بنهروان ووافاهم من كان على رأيهم من أهل البصرة وكانوا خمسمائة رجل وكان على البصرة يومئذ عبد الله بن العباس فلما بلغه خروجهم وجه في طلبهم أبا الأسود الدريلى في ألف فارس فلحقهم بجسر تستر وحال بينهم الليل فقاتلوه وكانوا في جميع مسيرهم لا يلقون أحداً الا قالوا له ما تقول في الحكمين فان تبرأ منهما تركوه وان أبى قتلوه . ثم أقبلوا حتى انتهوا إلى دجلة فعبروها من ناحية صريفيين حتى وافوا نهروان فكتب اليهم على رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن وهب الراسبي ويزيد بن الحصين ومن قبلهما سلام عليكم فان الرجلين الذين ارتضيناها للحكومة خالفا كتاب الله وأتبعوا هواها بغير هدى من الله فلما لم يعملوا بالسنة ولم يحكموا بالقرآن تبرأنا من حكمهما ونحن على أمرنا الاول فاقبلوا إلى رحمة الله فاناسأرون إلى عدونا وعدوّكم لنعود لمحاربتهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين . فلما وصل اليهم كتابه كتبوا اليه أما بعد فانك لم تغضب لربك ولكن غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك انك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكمين واستأنفت التوبة والايمان نظرنا فيما سألتنا من الرجوع

اليك وان تكن الاخرى فاننا نناشدك على سواء ان الله لا يهدي كيد الخائنين فلما قرأ على كتابه يؤس منهم ورأى أن يدعهم على حالهم ويسير الى الشام ليعاود معاوية الحرب فصار بالناس حتى عسكر بالنخيلة وقال لأصحابه تأهبوا للمسير الى أهل الشام فاني كاتب الى جميع اخوانكم ليقدموا عليكم فاذا وافوا شخصنا ان شاء الله ثم كتب كتبه الى جميع عماله أن يخلفوا خلفاءهم على أعمالهم ويقدموا عليه وكتب الى عبد الله بن عباس وكان على البصرة أمّا بعد فاننا قد عسكرنا بالنخيلة وقد أزمعنا على المسير الى عدونا الى أهل الشام فاشخص الى فيمن قبلك حين يأتيك كتابي والسلام فقدم عليه عبد الله بن عباس في فرسان البصرة وكانوا زهاء سبعة آلاف رجل واجتمع اليه سائر الناس فكانوا أكثر من ثمانين ألف رجل فلما نهى للمسير أتاه عن الخوارج أخبار فظيعة من قتلهم عبد الله بن خباب وامراته وذلك أنهم لقوها فقالوا لها أرضيتما بالحكمين قالا نعم فقتلوهما وقتلوا أم سنان الصيداوية واعتراضهم الناس يقتلونهم فلما بلغ ذلك بعث اليهم الحارث بن مرة الفقعسي ليأتيه بنحبرهم فأخذوه فقتلوه فلما بلغ الناس ذلك اجتمعوا الى علي فقالوا يا أمير المؤمنين اتدع هؤلاء على ضالتهم وتسير فيفسدوا في الارض ويعترضوا الناس بالسيف سر اليهم بالناس وادعهم الى الرجوع الى الطاعة والجماعة فان تابوا وقبلوا فان الله يحب التوابين وان أبوا فأذنهم بالحرب فاذا أرحت الامة منهم سرت الى الشام

(واقعة النهروان مع الخوارج)

فنادى فى الناس بالرحيل ونسار حتى ورد عليهم نهروان فعمسكرو على فرسخ منهم وأرسل اليهم قيس بن سعد بن عبادة وأبا أيوب الانصارى فأتيهم فقالا عباد الله انكم قد ارتكبتم أمرا عظيما باستعراضكم الناس تقتلونهم وشهادتكم علينا بالشرك والشرك ظلم عظيم فأجابهما عبد الله بن السخبر فقال اليكما عنا فان الحق قد أضاء لنا كالصبح ولسنا بمتابعيكم ولا راجعين اليكم أو تاتوا بمثل عمر بن الخطاب فقال قيس بن سعد ما نعرفه فينا الا على بن أبى طالب فهل تعرفونه فيكم قال لا قال فانشدكم الله فى أنفسكم أن تهلكوها فأتى أرى الفتنة قد دخلت قلوبكم . ثم تكلم أبو أيوب بنحو هذا فقالوا يا أبا أيوب انا ان بايعناكم اليوم حكمتم غدا آخر قال فانا ننشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة ما نأتى به فى قابل قالوا اليكما عنا فقد نابذناكم على سواء فانصرفا الى على فأخبراه بذلك فأقبل حتى وقف عليهم بحيث يسمعون كلامه فنادى أيتها العصابة التى أخرجتها اللجاجة وصدها عن الحق الهوى فأصبحت فى لبس وخطأ اتى نذير لكم أن تتمادوا فى ضلالتكم فتلفوا مصرعين من غير بينة من ربكم ولا برهان ألم تعلموا أنى شرطت على الحكمين أن يحكما بما فى كتاب الله وأخبرتكم أن طلب القوم الحكومة مكيدة فلما أيتهم الا الحكومة شرطت عليهم أن يحيا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فخالفا الكتاب والسنة وعملا بالهوى فنابذنا أمرها ونحن على أمرنا الأول فأين يتاه بكم ومن أين أيتهم فقالوا انا كفرنا حين رضينا بالحكمين وقد تبنا الى الله من ذلك

فان ثبت كما تبنا فنحن معك والا فاذن بحرب فاننا منا يدوك على سواء فقال
 لهم على اشهد على نفسى بالكفر لقد ضلت اذاً وما انا من المهتدين ثم قال
 ليخرج الى رجل منكم ترضون به حتى أقول ويقول فان وجبت على الحجة
 أقررت لكم وتبت الى الله وإن وجبت عليكم فاتقوا الله الذى مردكم
 اليه فقالوا لعبد الله بن الكواء وكان من كبرائهم اخرج اليه حتى تحاجه
 فخرج اليه فقال على هل رضيتم قالوا نعم قال اللهم اشهد فكفى بك شهيدا
 فقال على رضى الله عنه يا ابن الكواء ما الذى تقمتم على بعد رضاكم بولايته
 وجهادكم معى وطاعتكم لى فهلا برثتم منى يوم الجمل قال ابن الكواء لم يكن
 هناك تحكيم فقال على يا ابن الكواء ويحك انا اهدى أم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال ابن الكواء بل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما سمعت
 قول الله عز وجل (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا
 وأنفسكم) أكان الله يشك أنهم هم الكاذبون قال ان ذلك احتجاج عليهم
 وأنت شككت فى نفسك حين رضيت بالحكمين فنحن أحرى أن نشك
 فيك قال وان الله تعالى يقول (فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى
 منهما أتبعه) قال ابن الكواء ذلك أيضا احتجاج منه عليهم فلم يزل على
 عليه السلام يحاج ابن الكواء بهذا وشبهه فقال ابن الكواء أنت صادق
 فى جميع ما تقول غير أنك كفرت حين حكمت الحكمين قال على ويحك
 يا ابن الكواء انى انما حكمت أبا موسى وحده وحكم معاوية عمرا قال ابن
 الكواء فان أبا موسى كان كافرا قال على ويحك متى كفر أحين بعثته أم

حين حكم قال لا بل حين حكم قال أفلا ترى اني انما بعثته مسلما فكفر في قولك بعد ان بعثته أرايت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا من المسلمين الى أناس من الكافرين ليدعوهم الى الله فدعاهم الى غيره هل كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك شيء قال لا قال ويحك فما كان على أن ضل أبو موسى أفيجل لكم بضلالة أبي موسى أن تضعوا سيوفكم على عواتكم فتعترضوا بها الناس . فلما سمع عطاء الخوارج ذلك قالوا لابن الكواء انصرف ودع مخاطبة الرجل فانصرف الى أصحابه وأبى القوم الا التمدى في الغي وأمر على بالنداء في الناس أن يأخذوا أهبة الحرب ثم عبي جنوده فولى الميمنة حجر بن عدى وولى الميسرة شبيب بن ربيع وولى الخليل أبا أيوب الانصارى وولى الرجالة أبا قتادة واستعد الخوارج فجعلوا على ميمنتهم يزيد بن حصين وعلى ميسرتهم شريح بن أبي أوفى العبسى وكان من نساكم وعلى الرجالة حرقوص بن زهير وعلى الخليل كلها عبد الله بن وهب ورفع على راية وضم اليها ألفى رجل ونادى من التجأ الى هذه الراية فهو آمن ثم تواقف الفريقان فقال فرزة بن نوفل الاشجعى وكان من رؤساء الخوارج لأصحابه يا قوم والله ما ندرى على ما نقاتل علينا وليست لنا في قتاله حجة ولا بيان يقوم انصرفوا بنا حتى تنفذ لنا البصيرة في قتاله أو اتباعه فترك أصحابه في مواقعهم ومضى في خمسمائة رجل حتى أتى البندنيجين وخرجت طائفة أخرى حتى لحقوا بالكوفة واستأمن الى الراية منهم ألف رجل فلم يبق مع عبد الله بن وهب الا أقل من أربعة آلاف رجل فقال

على أصحابه لا تبدو وهم بالقتال حتى يبدوؤكم فتنادت الخوارج لاحكم الا
 لله وان كره المشركون ثم شدوا على أصحاب على شدة رجل واحد
 فم تثبت خيل على لشدتهم واقتربت الخوارج فرقتين فرقة أخذت نحو
 الميمنة وفرقة أخرى نحو الميسرة وعطف عليهم أصحاب على وحمل قيس بن
 معاوية البرجعي من أصحاب على على شريح بن أبي أوفى فضربه بالسيف
 على ساقه فأبانها فجعل يقاتل برجل واحدة وهو يقول . الفحل يحيى شوله
 معقولا . فحمل عليه قيس بن سعد فقتله وقتلت الخوارج كلها ربيعة واحدة
 وذكر حديث ذي الثدية حيث استخرجه على رضى الله عنه من تحت
 القتلى . قال وأمر على بن كان منهم ذا رمق أن يدفعوا الى عشائهم وأمر
 باخذ ما كان فى عسكرهم من سلاح ودواب فقسمه فى أصحابه وأمر بما
 سوى ذلك فدفع الى ورائهم . فلما أراد على الانصراف من النهر وان قام
 فى أصحابه فقال أيها الناس ان الله قد نصركم على المارقين فتوجهوا من فوركم
 هذا الى القاسطين يعنى أهل الشام فقام اليه رجال من أصحابه فيهم الاشعث
 ابن قيس فقالوا ياأمير المؤمنين نفدت نبالنا وكأت سيوفنا وانصلت أسنة
 رماحنا فارجع بنا الى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا فرحل بالناس حتى نزل
 النخيلة فعسكر بها فأقاموا أياما فجعلوا يتسللون الى الكوفة فلم يبق معه فى
 المعسكر الا زهاء ألف رجل من الوجوه فلما رأى ذلك دخل الكوفة فأقام بها
 وسار فروة بن نوفل بن كان معه الى حلوان فجعل يجبي خراجها ويقسمه فى
 أصحابه قالوا ولما رأى على رضى الله عنه ثاقل أصحابه أهل الكوفة عن المسير

معه الى قتال أهل الشام وانتهى اليه ورود خيل معاوية الانبار وقتلهم مسلحة
 علىّ بها والغارة عليها كتب كتابا ودفعه الى رجل وأمره أن يقرأه على الناس
 يوم الجمعة اذا فرغوا من الصلاة وكانت نسخته . بسم الله الرحمن الرحيم من
 عبد الله علىّ أمير المؤمنين الى شيعته من أهل الكوفة سلام عليكم أما بعد
 فان الجهاد باب من أبواب الجنة من تركه ألبسه الله الذلة وشمله بالصغار
 وسيم الخسف وسيل الضيم واني قد دعوتكم الى جهاد هؤلاء القوم ليلا
 ونهارا وسرا وجهارا وقلت لكم اغزوههم قبل أن يغزوكم فما غزى قوم في
 عقر دارهم الا ذلوا واجترأ عليهم عدوهم هذا أخو بني عامر قد ورد الانبار
 وقتل ابن حسان البكريّ وأزال مسالحكم عن مواضعها وقتل رجلا منكم
 صالحين وقد بلغني أنهم كانوا يدخلون بيت المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة
 فينزعهن حجلا من رجلها وقلائدھا من عنقها وقد انصرفوا موفورين ما كلم
 رجل منهم كلما فلو أن أحدا مات من هذا أسفا ما كان عندي ملوما بل كان
 جديرا يا عجباً من أمر يميت القلوب ويجتلب الغمّ ويسعر الاحزان من اجتماع
 القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فبعدا لكم وسحقا قد صرتم غرضا
 ترمون ولا ترمون ويغار عليكم ولا تغفرون ويعصى الله فترضون اذا قلت
 لكم سيروا في الشتاء قلتم كيف نعزوا في هذا القرّ والصر وان قلت لكم
 سيروا في الصيف قلتم حتى ينصرم عنا حمارة القيظ وكل هذا فرار من الموت
 فاذا كنتم من الحر والقرّ تفرون فأنتم والله من السيف أفر والذي نفسي
 بيده ما من ذلك تهربون ولكن من السيف تحيدون بأشباه الرجال ولا

رجال ويأحلام الاطفال وعقول ربّات الحجال أما والله لوددت ان الله
أخرجني من بين أظهركم وقبضني الى رحمته من بينكم ووددت اني لم أركم
ولم أعرفكم فقد والله ملأتم صدرى غيظا وجرّ عتموني الامرّين أنفاسا
وأفسدتهم على رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن أبي طالب
رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم هل كان فيهم رجل أشد لها
مراسا وأطول مقاساة مني ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وهأنذا اليوم قد
جنفت الستين لا ولكن لا رأى لمن لا يطاع . فقام اليه الناس من كل ناحية
فقالوا سرهنا فوالله لا يتخلف عنك الا ظنين فأمر الحارث الهمداني بالنداء
في الناس ان يصبحوا غدا في الرحبة ولا يأتينا الا صادق النية . فلما أصبح
صلى الغداة وأقبل الى الرحبة فلم ير بها الا نحوا من ثلثمائة رجل فقال لو كانوا
ألوفالكان لي فيهم رأى فكث بعد ذلك يومين باد حزنه شديد كآبته
فقام اليه حجر بن عدى وسعيد بن قيس الهمداني فقالا أجبر الناس على
المسير وناد فيهم فمن تخلف فر بمعاقبته فأمر مناديا فنادى في الناس لا يتخلفن
أحد وأمر معقل بن قيس أن يسير في الرساتيق فلا يدع أحدا من جنوده
فيها الا حشره فلم ينصرف معقل بن قيس الا بعد ما قتل على رضي الله عنه

(مقتل علي رضي الله عنه)

قالوا واجتمع في العام الذي قتل فيه علي رضي الله عنه بالموسم عبد
الرحمن بن ملجم المرادي والنزال بن عامر وعبد الله بن مالك الصيداوي
وذلك بعد وقعة النهروان فقتلوا ما فيه الناس من تلك الحروب فقال

بعضهم لبعض ما الراحة الا في قتل هؤلاء النفر الثلاثة على بن أبي طالب
ومعاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص فقال ابن ملجم على قتل على وقال
النزال وعلى قتل معاوية وقال عبد الله وعلى قتل عمرو فأتعدوا الليلة واحدة
يقتلونهم فيها وأقبل عبد الرحمن حتى قدم الكوفة ومضى صاحبا الى مصر
والشام . قالوا وقدم عبد الرحمن الكوفة فخطب الى قطام ابنتها الرباب وكانت
قطام ترى رأى الخوارج وقد كان على قتل أخاها وأباها وعمها يوم النهر
فقاتل لابن ملجم لأزواجك الا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة وقتل
على بن أبي طالب فأعطاهما ذلك وأملكها وكان ابن ملجم يجلس في مجلس
تيم الرباب من صلاة الغداة الى ارتفاع النهار والقوم يفيضون في الكلام وهو
ساكت لا يتكلم بكلمة للذي أجمع عليه من قتل على فخرج ذات يوم الى
السوق متقلدا سيفه فمرت به جنازة يشيعها أشراف العرب ومعها القسيسون
يقروئون الانجيل فقال ويحكم ما هذا فقالوا هذا أبجر بن جابر العجلي مات
نصرانيا وابنه حجار بن أبجر سيد بكر بن وائل فأتبعها أشراف الناس لسوّد
ابنه واتبعها النصارى لدينه فقال والله لولا انى أبقى نفسى لأمر هو أعظم عند
الله من هذا لاستعرضتهم بسيفى . فلما كانت تلك الليلة تقلد سيفه وقد كان
سمه وقعد مغلّسا ينتظر أن يمر به على رضى الله عنه مقبلا الى المسجد لصلاة
الغداة فينا هو فى ذلك اذ أقبل على وهو ينادى الصلاة أيها الناس فقام اليه
ابن ملجم فضربه بالسيف على رأسه وأصاب طرف السيف الخائط فثلم فيه
ودهش ابن ملجم فانكب لوجهه وبدر السيف من يده فاجتمع الناس فأخذوه

فقال الشاعر في ذلك

ولم أر مهرا ساقه ذو سماحة كهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وإن غلا ولا فاك الآدون فاك ابن ملجم
وحمل على رضى الله عنه الى منزله وأدخل عليه ابن ملجم فقالت له أم
كلثوم ابنة على يا عدو الله أقتلت أمير المؤمنين قال لم تقتل أمير المؤمنين
ولكننى قتلت أباك قالت أما والله انى لارجو أن لا يكون عليه بأس قال
فعلام تبكين اذن أما والله لقد سممت السيف شهرا فان أخلفنى فأبعده الله
فلم يمس على رضى الله عنه يومه ذلك حتى مات رحمه الله ورضى عنه. فدعا
عبد الله بن جعفر بابن ملجم فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فجعل يقول
انك يا ابن جعفر لتكحل عيني بأمول مض ثم أمر بلسانه أن يخرج ليقطع
فجزع من ذلك فقال له ابن جعفر قطعنا يديك ورجليك وسملنا عينيك
فلم تجزع فكيف تجزع من قطع لسانك قال انى ماجزعت من ذلك خوفا
من الموت ولكنى جزعت أن أكون حيا فى الدنيا ساعة لا أذكر الله فيها
ثم قطع لسانه فمات. وأقبل النزال بن عامر فى تلك الليلة حتى قام خلف معاوية
وهو يصلى بالغداة ومعه خنجر فوجأه به فى أليته وكان معاوية عظيم الإيتين
فأخذ فقال لمعاوية أهل قتلتك يا عدو الله قال معاوية كلاً يا ابن أخى فأمر به
معاوية فقطعت يداه ورجلاه ونزع لسانه فمات. ودعا بطيب فأمره أن يقطع
ما حول الوجاة من اللحم خوفاً من أن يكون الخنجر مسموماً فمن يومئذ اتخذت

المقاصير في الجوامع فكان لا يدخلها الا ثقاته واحراسه واتخذ ايضا من يومئذ حرس الليل وكان اذا سجد بالناس جعل على رأسه عشرة من ثقات حراسه يقومون من خلفه بالسيوف والعمد . وأما عبد الله بن مالك الصيداوى فإنه أتى مصر فلما كان في تلك الليلة قام حيال المحراب ومعه مشعل قد اشتمل عليه بثيابه فأصاب عمرا في تلك الليلة مغس في بطنه فأمر رجلا من بني عامر بن لؤي أن يخرج فيصلي بالناس فتقدم مغس فلم يشك عبد الله انه عمرو فلما سجد ضربه بالسيف من ورائه فقتله فقتل له انك لم تقتل الأمير قال فما ذنبي والله ما أردت غيره فأمر به عمرو فقتل قال ودُفن علي رضي الله عنه ليلا وصلى عليه الحسن وكبر خمسا فلم يعلم أحد أين دفن

(بيعة الحسن بن علي رضي الله عنهما)

قالوا ولما توفي علي رضي الله عنه خرج الحسن الى المسجد الأعظم فاجتمع الناس اليه فبايعوه ثم خطب الناس فقال أفعلموها قتلتم أمير المؤمنين أما والله لقد قتل في الليلة التي نزل فيها القرآن ورفع فيها الكتاب وجف القلم وفي الليلة التي قبض فيها موسى بن عمران وعُرج فيها عيسى . قالوا ولما بلغ معاوية قتل علي تجهز وقدم امامه عبيد الله بن عامر بن كريز فأخذ علي عين التمر ونزل الانبار يريد المدائن وبلغ ذلك الحسن بن علي وهو بالكوفة فسار نحو المدائن لمحاربة عبيد الله بن عامر بن كريز فلما انتهى الى ساباط رأى من أصحابه فشلا وتوا كلا عن الحرب فنزل ساباط وقام فيهم خطيبا ثم قال أيها الناس اني قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضعيفة واني ناظر لكم

كنظري لنفسى وأرى رأيا فلا تردوا على رأى ان الذى تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب وفشل عن القتال ولست أرى ان أحلكم على ما تكرهون فلما سمع أصحابه ذلك نظر بعضهم الى بعض فقال من كان معه ممن يرى رأى الخوارج كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله فشد عليه نفر منهم فاقترعوا مُصلاّهُ من تحته وانتهبوا ثيابه حتى انتزعوا مطرفه عن عاتقه فدعا بفرسه فركبه ونادى أين ربيعة وهمدان فتبادروا اليه ودفعوا عنه القوم . ثم ارتحل يريد المدائن فكمن له رجل ممن يرى رأى الخوارج يسمى الجراح بن قبيصة من بنى أسد بمُظلم ساباط فلما حاذاه الحسن قام اليه بمغول فطعنه فى فخذه وحمل على الاسدى عبد الله بن خطال وعبد الله بن ظبيان فقتلاه ومضى الحسن رضى الله عنه مُشخّنا حتى دخل المدائن ونزل القصر الأبيض وعولج حتى برأ واستعد للقاء ابن عامر . وأقبل معاوية حتى وافى الانبار وبها قيس بن سعد بن عبادة من قبل الحسن فحاصره معاوية وخرج الحسن فواقف عبد الله بن عامر فنادى عبد الله بن عامر يا أهل العراق انى لم أرا القتال وانما أنا مقدمة معاوية وقد وافى الانبار فى جموع أهل الشام فاقروا أبا محمد يعنى الحسن منى السلام وقولوا له أنشدك الله فى نفسك وأنت فى هذه الجماعة التى معك فلما سمع ذلك الناس انخذلوا وكرهوا القتال وترك الحسن الحرب وانصرف الى المدائن وحاصره عبد الله بن عامر بها

(الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما)

ولما رأى الحسن من أصحابه الفشل أرسل الى عبد الله بن عامر بشرائط
اشتراطها على معاوية على أن يسلم له الخلافة وكانت الشرائط أن لا يأخذ أحدا
من أهل العراق باخنة وان يؤمن الأسود والاحمر ويحتمل ما يكون من
هفواتهم ويجعل له خراج الاهواز مسلما في كل عام ويحمل الى أخيه الحسين
ابن علي في كل عام ألفي ألف درهم ويفضل بني هاشم في العطاء والصلوات
على بني عبد شمس فكتب عبد الله بن عامر بذلك الى معاوية فكتب معاوية
جميع ذلك بخطه وختمه بخاتمه وبذل عليه له العهود للركبة والايان المغلظة
وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام ووجه به الى عبد الله بن عامر
فأوصله الى الحسن رضي الله عنه فرضى به وكتب الى قيس بن سعد بالصلح
وأمره بتسليم الامر الى معاوية والانصراف الى المدائن . فلما وصل الكتاب
بذلك الى قيس بن سعد قام في الناس فقال أيها الناس اختاروا أحد الأمرين
القتال بلا امام أو الدخول في طاعة معاوية فاختاروا الدخول في طاعة معاوية
فسار حتى وافى المدائن

(بيعة معاوية بالعراق)

وسار الحسن بالناس من المدائن حتى وافى الكوفة ووافاه معاوية بها
فالتقيا فوكد عليه الحسن رضي الله عنه تلك الشروط والايان . ثم سار الحسن
بأهل بيته حتى وافى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ معاوية أهل
الكوفة بالبيعة فبايعوا واستعمل عليها المغيرة بن شعبة وسار منصورا في جموعه

الى الشام فمكث المغيرة بن شعبة على الكوفة من قبل معاوية تسع سنين حتى مات بها . وكان زياد بن أبيه انما يُعرف بزياد بن عبيد وكان عبيد مملوكا لرجل من ثقيف قنزوج سُمِّيَّة وكانت أمة للحرث بن كادة فأعتقها فولدت له زيادا فصار حرًّا ونشأ غلاما لقنا ذهنا عاقلا أدبيا فأخرجه المغيرة بن شعبة معه الى البصرة حين وليها من قبل عمر بن الخطاب فاستكتبه المغيرة فلما ولي على ابن أبي طالب ولي زيادا أرض فارس فلما توجه الى صفين كتب معاوية الى زياد يتوعده فقام زياد في الناس فقال ان ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق كتب الى يتوعدني ويدينى وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسعين ألف مدجج من شيعته أما والله لئن رامننى ليجدنى ضرابا بالسيف فلما قُتل على واستدفت الأثر لمعاوية تحصن زياد بقلعة مدينة اصطخر وكتب معاوية له أمانا على أن يأتيه فان رضى ما يُعطيه والا رده الى متحصنه بتلك القلعة فسار الى معاوية وترقت به الأمور الى أن ادّعاه معاوية وزعم للناس انه ابن أبي سفیان وشهد له أبو مريم السُّلُولى وكان في الجاهلية خمارا بالطائف ان أبا سفیان وقع على سُمِّيَّة بعد ما كان الحرث أعتقها وشهد رجل من بني المصطلق اسمه يزيد انه سمع أبا سفیان يقول ان زيادا من نطفة أقرها في رحم أمه سُمِّيَّة فتم ادّعاؤه اياه وكان في ذلك ما كان . وأمر معاوية زيادا أن يسير الى الكوفة الى أن يرد عليه أمره فسار زياد حتى قدم الكوفة وعليها المغيرة ابن شعبة فنزل دار سلمان بن ربيعة الباهلي ووافاه كتاب معاوية بولاية البصرة فسار اليها فلما وافاها قصد المسجد الجامع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم

قال انه قد كانت بيني وبين قوم أحقاد وقد جعلتها تحت قدمي ولست أؤاخذ
أحدا بعداوة ولا أهتك له قناعا حتى يُبدي لي صفحته فإذا أبداها لم أنظره
فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان منكم مسيئا فليقلع عن اساءته
وأعينونا رحمكم الله بالسمع والطاعة ثم نزل فلبث على البصرة حولين حتى مات
المغيرة فكتب اليه معاوية بولاية الكوفة مع البصرة فسار اليها . قالوا وكان
أول من لقي الحسن بن علي رضي الله عنه فندّمه على ما صنع ودعاه الى رد
الحرب حُجر بن عدى فقال له يا ابن رسول الله لوددتُ أني متّ قبل
ما رأيتُ أخرجتنا من العدل الى الجور فتركنا الحق الذي كنا عليه ودخلنا
في الباطل الذي كنا نهرب منه وأعطينا الدّنية من أنفسنا وقبلنا الخسيصة التي
لم تلق بنا فاشتدّ على الحسن رضي الله عنه كلام حجر فقال له اني رأيت
هوى عظم الناس في الصلح وكرهوا الحرب فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون
فصاحلتُ بقيا على شيعتنا خاصة من القتل فرأيتُ دفع هذه الحروب الى يوم
مّا فان الله كل يوم هو في شأن قال فخرج من عنده ودخل على الحسين
رضي الله عنه مع عبدة بن عمرو فقالا أبا عبد الله شريتم الذل بالعز وقبلتم
القليل وتركتم الكثير أطعنا اليوم واعصنا الدهر دع الحسن وما رأى من هذا
الصلح واجمع اليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها وولّني وصاحبي هذه
المقدمة فلا يشعر ابن هند الا ونحن نقارعه بالسيوف فقال الحسين إنا قد بايعنا
وعاهدنا ولا سبيل الى نقض بيعتنا . وروى عن علي بن محمد بن بشير الهمداني
قال خرجت أنا وسفيان بن ليلى حتى قدمنا على الحسن المدينة فدخلنا عليه

وعنده المسيب بن نجبة وعبد الله بن الوداك التيمي وسراج بن مالك الخثعمي
فقلتُ السلام عليك يا مُنِِّلَ المؤمنين قال وعليك السلام اجلس لست مُنِِّلَ
المؤمنين ولكني معزهم ما أردتُ بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل
عند ما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب ونكولهم عن القتال والله لئن
سرنا إليه بالحبال والشجر ما كان بدًّا من إفضاء هذا الأمر إليه قال ثم خرجنا
من عنده ودخلنا على الحسين فأخبرناه بما رد علينا فقال صدق أبو محمد فليكن
كل رجل منكم حِلْسًا من أحلاس بيته ما دام هذا الإنسان حيًّا . ثم إن
الحسن رضى الله عنه اشتكى بالمدينة فقتل وكان أخوه محمد بن الحنفية في ضيعة
له فأرسل إليه فوافى فدخل عليه فجلس عن يساره والحسين عن يمينه ففتح
الحسن عينه فرآهما فقال للحسين يا أخي أوصيك بمحمد أخيك خيرا فانه جلدة
ما بين العينين ثم قال يا محمد وأنا أوصيك بالحسين كإنفه ووازره ثم قال ادفنوني
مع جدِّي صلى الله عليه وسلم فان مُنِعتم فالبيع ثم توفي ففتح مروان أن يدفن
مع النبي صلى الله عليه وسلم فدفن في البقيع وبلغ أهل الكوفة وفاة الحسن
فاجتمع عظماءهم فكتبوا إلى الحسين رضى الله عنه يعزونه وكتب إليه جعدة
ابن هبيرة بن أبي وهب وكان أمحضهم حبا ومودة أما بعد فان من قبلنا من
شيعتك متطلعة أنفسهم اليك لا يعدلون بك أحدا وقد كانوا عرفوا رأى
الحسن أخيك في دفع الحرب وعرفوك باللين لأوليائك والغلظة على أعدائك
والشدة في أمر الله فان كنت تحب أن تطلب هذا الأمر فاقدّم علينا فقد
وظننا أنفسنا على الموت معك فكتب إليهم أما أخي فأرجو أن يكون الله قد

وقفه وسدّده فيما يأتى وأما أنا فليس رأيت اليوم ذاك فالصقوا رحمكم الله بالارض
واكنّوا فى البيوت واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حيا فان يحدث الله به
حدثا وأنا حيّ كتبت اليكم برأى والسلام . وانتهى خبر وفاة الحسن الى
معاوية كتب به اليه عامله على المدينة مروان فأرسل الى ابن عباس وكان
عنده بالشام قدم عليه وافدا فدخل عليه فعزّاه وأظهر الشماتة بموته فقال له ابن
عباس لا تشمتن بموته فوالله لا تلبث بعده الا قليلا . قالوا وكتب معاوية
الى عمرو بن العاص وهو على مصر قد قبضها بالشرط الذي اشترطه على
معاوية أما بعد فان سؤال أهل الحجاز وزوَّار أهل العراق قد كثروا على
وليس عندي فضل عن أعطيات الجنود فأعني بخراج مصر هذه السنة
فكتب اليه عمرو

معاوي إن تُذكرِكَ نفسٌ شحيحةٌ فما ورثتني مصرَ أمي ولا أبي
وما نلتها عفوًّا ولكن شرطتها وقد دارت الحربُ العوان على قُطب
ولولا دِفاعي الأشعريَّ وصحبه لألقيتها ترغو كراغية السقب

فلما رجع الجواب الى معاوية تذكّم فلم يعاوده فى شىء من أمرها . قالوا وقد
كان معاوية خلف على الكوفة حين شخص منها المغيرة بن شعبة فصعد المنبر
يوم الجمعة ليخطب فحصبه حُجر بن عديّ وكان من شيعة علىّ فى نفر من
أصحابه قتل مُسرعا من المنبر ودخل قصر الامارة وبعث الى حجر بخمسة
آلاف درهم ترصاهم بها فقبل للمغيرة لم فعلتَ هذا وفيه عليك وهن وغضاضة
فقال قد قتلتها بها فلما مات المغيرة وجمع معاوية لزياد الكوفة الى البصرة كان

يقيم بالبصرة ستة أشهر وبالكوفة مثل ذلك فخرج في بعض خرجاته الى
البصرة وخلف على الكوفة عمرو بن حريث العدوي فصعد عمرو بن حريث
ذات جمعة المنبر ليخطب وقعد له حجر بن عدى وأصحابه فحصبوه فقتل
من المنبر فدخل القصر وأغلق بابه وكتب الى زياد يخبره بما صنع حجر
وأصحابه فركب زياد البريد حتى وافى الكوفة ودخل المسجد وأخرج له
سريره من القصر فجلس عليه فكان أول من دخل عليه من أشرف الكوفة
محمد بن الاشعث بن قيس فسلم عليه بالامرة فقال زياد لاسلم الله عليك انطلق
فأتني بابن عمك حجر الساعة قال محمد بن الاشعث ما لي ولحجر انك لتعلم
التباعد بيننا فقال له جرير بن عبد الله أنا آتيك بحجر أيها الأمير على أن
تجعل له الامان ألا تعرض له حتى يلقي معاوية فيرى فيه رأيه قال قد فعلت
فأقبل به الى زياد فأمر بحبسه وأمر بطلب أصحابه الذين كانوا معه فأتى بهم
فوجههم جميعا الى معاوية مع مائة رجل من الجند فأنشأت أم حجر تقول

ترفع أيها القمر المنير ترفع هل ترى حجرا يسير
ألا يا حجر حجر بنى عدى تلقتك البشارة والسرور
وان تهلك فكل عميد قوم من الدنيا الى هلاك يصير

وبعث زيادا بثلاثة نفر من الشهود ليشهدوا عنده بما فعل حجر وأصحابه
منهم أبو بردة بن أبي موسى وشريح بن هانئ الحارثي وأبو هنيذة القيني
فأتوا معاوية وشهدوا عليهم بحبسه عمرو بن حريث فأمر معاوية بهم فقتلوا
فدخل مالك بن هبيرة على معاوية فقال يا أمير المؤمنين أسأت في قتلك

هو لاء النفرو لم يكونوا أحدثوا ما استوجبوا به القتل فقال معاوية قد كنت
هممت بالعمو عنهم إلا أن كتاب زياد ورد على يعلى أني أنهم رؤساء الفتنة واني
متى قتلهم اجتثت الفتنة من أصلها . ولما قُتل حجر بن عدى وأصحابه
استفزع أهل الكوفة ذلك استفظاعاً شديداً وكان حجر من عظماء أصحاب
على وقد كان على أراد أن يوليّه رياسة كندة ويعزل الاشعث بن قيس
وكلاهما من ولد الحارث بن عمرو آكل المُرار فأبى حجر بن عدى أن يتولى
الامر والاشعث حتى فُرج نفر من أشرف أهل الكوفة إلى الحسين بن على
فأخبروه الخبر فاسترجع وشقّ عليه فأقام أولئك النفر يختلفون إلى الحسين بن
على وعلى المدينة يومئذ مروان بن الحكم فترقى الخبر إليه فكتب إلى معاوية
يُعلمه أن رجلاً من أهل العراق قدموا على الحسين بن على رضي الله عنهما
وهم مقيمون عنده يختلفون إليه فكتب إلى بالذي تري فكتب إليه معاوية
لا تعرض للحسين في شيء فقد بايعنا وليس بناقض بيعتنا ولا مخفر ذمتنا .
وكتب إلى الحسين أما بعد فقد انتهت إلى أمور عنك لست بها حرياً لأن
من أعطى صفقة يمينه جديرٌ بالوفاء فاعلم رحمك الله اني متى أنكرك تستنكرني
ومتى تكذبتني أكذك فلا يستفزّك السفهاء الذين يحبون الفتنة والسلام
فكتب إليه الحسين رضي الله عنه ما أريد حربك ولا الخلاف عليك .
قالوا ولم ير الحسن ولا الحسين طول حياة معاوية منه سوءاً في أنفسهما ولا
مكروها ولا قطعاً عنهما شيئاً مما كان شرط لهما ولا تغير لهما عن بر . قالوا
ومكث زياد على المصرين أربع سنين فحضرته الوفاة عند ماضى من خلافة

معاوية ثلاث عشرة سنة وذلك سنة ثلاث وخمسين فكتب الي معاوية أما
بعد فاني كتبت اليك وأنا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وقد
وليت الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ووليت البصرة سمرة بن جندب
الفزاري والسلام فليل له لم لا تولي ابنك عبيد الله أحد المصريين وليس بدون
واحد من هذين فقال ان يك فيه خير فسيسبق الي ذلك عمه معاوية ثم مات
وصلى عليه ابنه عبيد الله بن زياد ودُفن في مقابر قریش . فتولي عبد الله
ابن خالد بن أسيد الكوفة ثمانية أشهر وكتب معاوية الي عبيد الله بن زياد
بولاية البصرة وعزل عبد الله بن خالد عن الكوفة واستعمل عليها النعمان بن
بشير الانصاري . قالوا ولما دخلت سنة ستين مرض معاوية مرضه الذي مات
فيه فأرسل الي ابنه يزيد وكان غائبا عن مدينة دمشق فلما أبطأ عليه دعا
الضحاك بن قيس الفهري وكان على شرطه ومسلم بن عقبة وكان على حرسه
فقال لهما أبلغا يزيد وصيّي واعلماه اني أمره في أهل الحجاز أن يكرم من قدم
عليه منهم ويتعهد من غاب عنه من أشرافهم فانهم أصله واني أمره في أهل
العراق أن يرفق بهم ويداريهم ويتجاوز عن زلاتهم واني أمره في أهل الشام
أن يجعلهم عينيه وبطائنه وأن لا يطيل حبسهم في غير شامهم لئلا يجرؤا على
أخلاق غيرهم واعلماه اني لست أخاف عليه الا أربعة رجال الحسين بن علي
وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير فأما الحسين بن
علي فأحسب أهل العراق غير تاركه حتى يخرجوه فان فعل فظفرت به فاصفح
عنه وأما عبد الله بن عمر فانه رجل قد وقذته العبادة وليس بطالب للخلافة

الا أن تأتيه عفوا وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه ليس في نفسه من النباهة
والله كره عند الناس ما يمكنه طلبها ويحاول التماسها الا أن تأتيه عفوا وأما الذي يجثم
لك جثوم الأسد ويرأوئك روغان الثعلب فإن أمكنته فرصة وثب فذاك عبد
الله بن الزبير فإن فعل وظفرت به فقطعه أرباً أرباً الا أن يلتبس منك صلحا فإن
فعل فأقبل منه وأحقن دماء قومك بجهدك وكف عاديتهم بنو لك وتغمدهم بحلمك

(خلافة يزيد)

ثم قدم عليه يزيد فأعاد عليه هذه الوصية ثم قضى فأقبل الضحاك بن
قيس حتى أتى المسجد الأعظم فصعد المنبر ومعه أكفان معاوية فقال أيها
الناس ان معاوية بن أبي سفيان كان عبدا من عباد الله ملكه على عباده
فعاش بقدر ومات بأجل وهذه أكفانه كما ترون نحن مدرجوه فيها ومدخلوه
قبره ومخلون بينه وبين ربه فمن أحب منكم أن يشهد جنازته فليحضر بعد
صلاة الظهر ثم نزل وتفرق الناس حتى اذا صلووا الظهر اجتمعوا وأصلحوا
جهازه وحملوه حتى واروه وانصرف يزيد فدخل الجامع ودعا الناس الى
البيعة فبايعوه ثم انصرف الى منزله . ومات معاوية وعلى المدينة الوليد بن
عتبة بن أبي سفيان وعلى مكة يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية وعلى الكوفة
النعمان بن بشير الانصاري وعلى البصرة عبيد الله بن زياد فلم تكن ليزيد
همة حين ملك الا بيعة هؤلاء الاربعة نفر فكتب الى الوليد بن عتبة
يأمره أن يأخذهم بالبيعة أخذا شديدا لارخصة فيه فلما ورد ذلك على الوليد
فقطع به وخاف الفتنة فبعث الى مروان وكان الذي بينهما متباعدافأناه فأقرأه

الوليد الكتاب واستشاره فقال له مروان أما عبد الله بن عمر وعبد الرحمن
ابن أبي بكر فلا تخافن ناحيتهما فليسا بطالين شيئاً من هذا الامر ولكن
عليك بالحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير فابعث اليهما الساعة فان بايعا
والأ فاضرب أعناقهما قبل أن يعلن الخبر فيثب كل واحد منهما ناحية ويظهر
الخلاف فقال الوليد لعبد الله بن عمرو بن عثمان وكان حاضرا وهو حينئذ
غلام حين راهق انطلق يا بنيّ الى الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير
فادعهما فانطلق الغلام حتى أتى المسجد فاذا هو بهما جالسين فقال أجيبا الامير
فقالا للغلام انطلق فانا صائران اليه على أثرك فانطلق الغلام فقال ابن الزبير
للحسين رضي الله عنه فيم تراه بعث الينا في هذه الساعة فقال الحسين
أحسب معاوية قد مات فبعث الينا للبيعة قال ابن الزبير ما أظن غيره
وانصرفا الى منازلهما فأما الحسين فجمع نفرا من مواليه وغلمانة ثم مشى نحو
دار الامارة وأمر فتيانه أن يجلسوا بالباب فان سمعوا صوته اقتحموا الدار
ودخل الحسين على الوليد وعنده مروان فجلس الى جانب الوليد فأقرأه
الوليد الكتاب فقال الحسين ان مثلي لا يعطى بيعته سرا وأنا طوعُ يديك
فاذا جمعت الناس لذلك حضرتُ وكنت واحدا منهم وكان الوليد رجلا
يحب العافية فقال للحسين فانصرف اذا حتى تأتينا مع الناس فانصرف
فقال مروان للوليد عصيتني ووالله لا يمكنك من مثله أبدا قال الوليد ويحك
أتشير عليّ بقتل الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهما
السلام والله ان الذي يحاسب بدم الحسين يوم القيامة الخفيف الميزان عند

الله وتحرّز ابن الزبير في منزله وراوغ الوليد حتى اذا جنّ عليه الليل سار
 نحو مكة وتنكب الطريق الاعظم فأخذ على طريق الفرع . ولما أصبح
 الوليد بلغه خبره فوجه في أثره حبيب بن كدين في ثلاثين فارسا فلم يقعوا له
 على أثر وشغلوا يومهم ذلك كله بطلب ابن الزبير فلما أمسوا وأظلم الليل
 مضى الحسين رضي الله عنه أيضا نحو مكة ومعه أختاه أم كلثوم وزينب
 وولد أخيه وأخوته أبو بكر وجعفر والعباس وعامة من كان بالمدينة من أهل
 بيته الا أخاه محمد بن الحنفية فانه أقام . وأما عبد الله بن عباس فقد كان خرج
 قبل ذلك بأيام الى مكة وجعل الحسين رضي الله عنه يطوى المنازل فاستقبله
 عبد الله بن مطيع وهو منصرف من مكة يريد المدينة فقال له أين تريد قال
 الحسين أما الآن فمكة قال خار الله لك غير اني أحب أن أشير عليك
 برأى قال الحسين وما هو قال اذا أتيت مكة فأردت الخروج منها الى بلد
 من البلدان فإياك والكوفة فانها بلدة مشومة بها قتل أبوك وبها خذل أخوك
 واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه بل الزم الحرم فان أهل الحجاز لا يعدلون
 بك أحدا ثم ادع اليك شيعتك من كل أرض فسيأتونك جميعا قال له الحسين
 يقضى الله ما أحب ثم أطلق عنانه ومضى حتى وافى مكة فنزل شعبا على
 واختلف الناس اليه فكانوا يجتمعون عنده حلقا حلقا وتركوا عبد الله بن الزبير
 وكانوا قبل ذلك يتحفلون اليه فساء ذلك ابن الزبير وعلم ان الناس لا يحفلون
 به والحسين مقيم بالبلد فكان يختلف الى الحسين رضي الله عنه صباحا ومساء
 ثم ان يزيد عزل يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية عن مكة واستعمل

عليها عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية

(استدعاء الحسين الى الكوفة)

قالوا ولما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وخروج الحسين بن عليّ الى مكة اجتمع جماعة من الشيعة في منزل سليمان بن صُرد واتفقوا على أن يكتبوا الى الحسين يسألونه القدوم عليهم ليسلموا الأمر اليه ويطردوا النعمان بن بشير فكتبوا اليه بذلك ثم وجهوا بالكتاب مع عبيد الله بن سبيع الهمدانيّ وعبد الله بن ودّك السلمي فوافوا الحسين رضى الله عنه بمكة لعشر خلون من شهر رمضان فأوصلوا الكتاب اليه . ثم لم يمض الحسين يومه ذلك حتى ورد عليه بشر بن مسهر الصيداوى وعبد الرحمن بن عبيد الأرحبي ومعهما خمسون كتاباً من أشرف أهل الكوفة ورؤسائها كل كتاب منها من الرجلين والثلاثة والأربعة بمثل ذلك فلما أصبح وافاه هانيّ بن هانيّ السبيعيّ وسعيد ابن عبد الله الخثعمي ومعهما أيضاً نحو من خمسين كتاباً . فلما أمسى أيضاً ذلك اليوم ورد عليه سعيد بن عبد الله الثقفي ومعه كتاب واحد من شبيب ابن ربيّ وحجار بن أبجر ويّزيد بن الحارث وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج ومحمد بن عمير بن عطار وكانوا هؤلاء الرؤساء من أهل الكوفة فتابعته عليه في أيام رسل أهل الكوفة من الكتب ماملأ منه خرجين . فكتب الحسين اليهم جميعاً كتاباً واحداً ودفعه الى هانيّ بن هانيّ وسعيد بن عبد الله نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ الى من بلغه كتابي هذا من أوليائه وشيعته بالكوفة سلام عليكم أما بعد فقد أتتني كتبكم وفهمت ماذا كنتم من محبتكم

لقدومى عليكم وأنا باعث اليكم بأخى وابن عمى وثقتى من أهلى مسلم بن عقيل
ليعلم لى كُنه أمركم ويكتب الىّ بما يتبين له من اجتماعكم فان كان أمركم على
ما أتننى به كتبكم وأخبرتني به رسلكم أسرعت القدوم عليكم ان شاء الله والسلام
وقد كان مسلم بن عقيل خرج معه من المدينة الى مكة فقال له الحسين عليه
السلام يا بن عمّ قد رأيت أن تسير الى الكوفة فتتظر ما اجتمع عليه رأى
أهلها فان كانوا على ما أتننى به كتبهم فعجل علىّ بكتابك لأسرع القدوم
عليك وان تكن الاخرى فعجل الانصراف فخرج مسلم على طريق المدينة
ليُلمّ بأهله ثم استأجر دليلين من قيس وسار فضلاً ذات ليلة فأصبحا وقد تاهما
واشتدّ عليهما العطش والحرّ فانقطعا فلم يستطيعا المشى فقالا لمسلم عليك بهذا
السمّ فالزمه لعلك أن تنجو فتركهما مسلم ومضى على ذلك السمّ ولم يلبث
الدليلان ان ماتا ونجا مسلم ومن معه من خدمه بحُشاشة الانفس حتى أفضوا
الى الطريق فلزموه حتى وردوا الماء فأقام مسلم بذلك الماء وكتب الى الحسين
مع رسول استأجره من أهل ذلك الماء يخبره خبره وخبر الدليلين وما لاقى
من الجهد ويعلمه أنه قد تطير من الوجه الذى توجه له ويسأله أن يعفيه ويوجه
غيره ويخبره أنه مقيم بمنزله ذلك من بطن الحُرْبُت فسار الرسول حتى وافى
مكة وأوصل الكتاب الى الحسين فقرأه وكتب فى جوابه أما بعد فقد ظننت
ان الجبن قد قصر بك عما وجهتك به فامض لما امرتك فانى غير معفيك
والسلام . فسار مسلم حتى وافى الكوفة ونزل فى الدار التى تُعرف بدار
المختار بن أبى عبيد ثم عُرفت اليوم بدار المسيّب فكانت الشيعة تختلف اليه

فيقرأ عليهم كتاب الحسين ففشا أمره بالكوفة حتى بلغ ذلك النعمان بن بشير أميرها فقال لا أقاتل الا من قاتلني ولا أثب الا على من وثب على ولا آخذ بالقرينة والظنة فمن أبدى صفحته ونكث بيعته ضربته بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم أكن الا وحدي وكان يحب العافية ويعتزم السلامة فكتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعُمارة بن عُقبة وكانا عيان يزيد بن معاوية الى يزيد يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل الكوفة داعيةً للحسين بن عليّ وانه قد أفسد قلوب أهلها عليه فان يكن لك في سلطانك حاجة فادرّ اليه من يقوم بأمرك ويعمل مثل عملك في عدوك فان النعمان رجل ضعيف أو متضاعف والسلام

(مقتل مسلم بن عقيل)

فلما ورد الكتاب على يزيد أمر بعهد فكتب لعبيد الله بن زياد على الكوفة وأمره أن يبادر الى الكوفة فيطالب مسلم بن عقيل طلب الحرزة حتى يظفر به فيقتله أو ينفيه عنها ودفع الكتاب الى مسلم بن عمرو الباهليّ أبي قتيبة ابن مسلم وأمره باغذاذ السير فسار مسلم حتى وافى البصرة وأوصل الكتاب الى عبيد الله بن زياد وقد كان الحسين بن عليّ رضي الله عنه كتب كتابا الى شيعته من أهل البصرة مع مولى له يسمى سلمان نسخته بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ الى مالك بن مسمع والأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم سلام عليكم أما بعد فاني أدعوكم الى احياء معالم الحق وإمارة البدع فان تُجيبوا تهتدوا سبل الرشاد والسلام فلما أتاهم هذا الكتاب كتموه جميعا الا المنذر بن الجارود فانه أفشاه اتزويجه ابنته هندا من

عبيد الله بن زياد فأقبل حتى دخل عليه فأخبره بالكتاب وحكى له ما فيه
فأمر عبيد الله بن زياد بطلب الرسول فطلبوه فأتوه به فضربت عنقه . ثم
أقبل حتى دخل المسجد الأعظم فاجتمع له الناس فقام فقال أنصف القارة من
راماها يا أهل البصرة ان أمير المؤمنين قد ولاني مع البصرة الكوفة وأنا سائر
إليها وقد خلفت عليكم أخي عثمان بن زياد فياكم والخلاف والارجاف فوالله
الذي لا اله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خالف أو أرجف لأقتلنه وولايه
ولا خذن الأدنى بالأقصى والبرئ بالسقيم حتى تستقيموا وقد أعذر من أنذر
ثم نزل وسار وخرج معه من أشراف أهل البصرة شريك بن الأعور والمنذر
ابن الجارود فسار حتى وافى الكوفة فدخلها وهو متلثم وقد كان الناس بالكوفة
يتوقعون الحسين بن علي عليهم السلام وقدومه فكان لا يمر ابن زياد بجماعة
إلا ظنوا أنه الحسين فيقومون له ويدعون ويقولون مرحبا بابن رسول الله
قدمت خير مقدم فنظر ابن زياد من تباشرهم بالحسين الى ما ساءه وأقبل
حتى دخل المسجد الأعظم ونودي في الناس فاجتمعوا وصعد المنبر فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة ان أمير المؤمنين قد ولاني مصركم وقسم
فيكم فيكم وأمرني بانصاف مظلومكم والاحسان الى سامعكم ومطيعكم والشدة
على عاصيكم ومريكم وأنا متته في ذلك الى أمره وأنا لمطيعكم كالوالد الشفيق
ولمخالفكم كالسهم النقيع فلا يبقين أحد منكم الا على نفسه ثم نزل فأتى القصر
فنزله وارتحل النعمان بن بشير نحو وطنه بالشام وبلغ مسلم بن عقيل قدوم
عبيد الله بن زياد وانصراف النعمان وما كان من خطبة ابن زياد ووعيده

فخاف على نفسه فخرج من الدار التي كان فيها بعد عتمة حتى أتى دار هانيء
ابن عروة المذحجي وكان من أشرف أهل الكوفة فدخل داره الخارجة
فأرسل إليه وكان في دار نسائه يسأله الخروج إليه فيخرج إليه وقام مسلم فسلم
عليه وقال اني أتيتك لتجبرني وتضيفني فقال له هانيء لقد كلفتني شططا من
الامر ولولا دخولك منزلي لأحببت أن تنصرف عني غير انه قد لزمني
ذمامٌ لذلك فأدخله دار نسائه وأفرد له ناحية منها وجعلت الشيعة تختلف اليه
في دار هانيء. وكان هانيء بن عروة مواصلا لشريك بن الاعور البصري
الذي قدم مع ابن زياد وكان ذا شرف بالبصرة وخطر فانطلق هانيء اليه حتى
أتى به منزله وأنزله مع مسلم بن عقيل في الحجرة التي كان فيها وكان شريك
من كبار الشيعة بالبصرة فكان يبحث هانئا على القيام بأمر مسلم . وجعل مسلم
يباع من أتاه من أهل الكوفة ويأخذ عليهم العهود والمواثيق المؤكدة بالوفاء
ومرض شريك بن الاعور في منزل هانيء بن عروة مرضا شديدا وبلغ ذلك
عبيد الله بن زياد فأرسل اليه يُعلمه انه يأتيه عائدا فقال لشريك لمسلم بن عقيل
انما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية وقد أمكنك الله منه هو صائر
الي ليعودني فقم فادخل الخزانة حتى اذا اطمان عندي فاخرج اليه فاقتله ثم
صر الى قصر الامارة فاجلس فيه فانه لا ينازعك فيه أحد من الناس وان
رزقني الله العافية صرت الى البصرة فكفيتك أمرها وباع لك أهلها فقال
هانيء بن عروة ما أحب أن يُقتل في داري ابن زياد فقال له شريك ولم
فوالله ان قتله لقربان الى الله ثم قال شريك لمسلم لا تقصّر في ذلك فينما هم

على ذلك اذ قيل لهم الأمير بالباب فدخل مسلم بن عقيل الخزانة ودخل
عبيد الله بن زياد على شريك فسلم عليه وقال ما الذي تجد وتشتكي فلما طال
سؤاله اياه استبطاً شريك خروج مسلم وجعل يقول ويسمع مساماً

ما تنظرون بسامى عند فرصتها فقد وني وودها واستوسق الصرم

وجعل يردد ذلك فقال ابن زياد لهاني أيمجر يعني يهنري قال هاني نعم
أصلح الله الأمير لم يزل هكذا منذ أصبح ثم قام عبيد الله وخرج فخرج
مسلم بن عقيل من الخزانة فقال له شريك ما الذي منعك منه إلا الجبن
والفشل قال مسلم منعني منه خلتان احدهما كراهية هاني لقتله في منزله
والأخرى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الايمان قيد الفتك لا يفتك
مؤمن فقال له شريك أما والله لو قتله لاستقام لك أمرك واستوسق لك
سلطانك ولم يعش شريك بعد ذلك الا أياما حتى توفي وشيع ابن زياد
جنازته وتقدم فصلي عليه . ولم يزل مسلم بن عقيل يأخذ البيعة على أهل
الكوفة حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألف رجل في ستر ورفق وخفي على عبيد الله
ابن زياد موضع مسلم بن عقيل فقال لمولى له من أهل الشام يسمى معقلا
وناوله ثلاثة آلاف درهم في كيس وقال خذ هذا المال وانطلق فالتمس مسلم
ابن عقيل وتأت له بغاية التأني فانطلق الرجل حتى دخل المسجد الاعظم
وجعل لا يدري كيف يتأني للأمر ثم انه نظر الى رجل يكثر الصلاة الى سارية
من سوارى المسجد فقال في نفسه ان هؤلاء الشيعة يكثرون الصلاة وأحسب
هذا منهم فجلس للرجل حتى اذا انفل من صلاته قام فدنا منه وجلس فقال

جعلت فداك انى رجل من أهل الشام مولى لذى السكّالاع وقد أنعم الله علىّ
 بحب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب من أحبهم ومعى هذه
 الثلاثة آلاف درهم أحب ايصالها الى رجل منهم بلغنى أنه قدم هذا المصر
 داعية للحسين بن علىّ عليه السلام فهل تدانى عليه لأوصل هذا المال اليه
 ليستعين به على بعض أموره أو يضعه حيث يحب من شيعته فقال له الرجل
 وكيف قصدتني بالسؤال عن ذلك دون غيرى ممن هو فى هذا المسجد قال
 لأنى رأيت عليك سيم الخير فرجوت أن تكون ممن يتولى أهل بيت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال له الرجل ويحك قد وقعت علىّ بعينك أنا رجل من
 اخوانك واسمى مسلم بن عوسجة وقد سررت بك وساءنى ما كان من حس
 قلبك فانى رجل من شيعة أهل هذا البيت خوفامن هذا الطاغية ابن زياد فأعطنى
 ذمة الله وعهده أن تكتم هذا الامر من جميع الناس فأعطاه من ذلك ما أراد
 فقال له مسلم بن عوسجة انصرف يومك هذا فاذا كان غدا فأتني فى منزلى
 حتى أنطلق معك الى صاحبنا يعنى مسلم بن عقيل فأوصلك اليه فمضى الشامى
 فبات ليلته فلما أصبح غدا الى مسلم بن عوسجة فى منزله فانطلق به حتى
 أدخله الى مسلم بن عقيل فأخبره بأمره ودفع اليه الشامى ذلك المال وباعه
 وكان الشامى يغدو الى مسلم بن عقيل فلا يحجب عنه فيكون نهاره كله عنده
 فيتعرّف جميع أخبارهم فاذا أمسى وأظلم عليه الليل دخل على عبيد الله بن
 زياد فأخبره بجميع قصصهم وما قالوا وفعلوا فى ذلك وأعلمه نزول مسلم فى
 دارهائى بن عروة . ثم ان محمد بن الاشعث وأسماء بن خارجة دخلا على

ابن زياد مسلمين فقال لهما ما فعل هاني بن عروة فقالا أيها الأمير انه عليل منذ أيام فقال ابن زياد وكيف وقد بلغني انه يجلس على باب داره عامة نهاره فما يمنعه من اتيانا وما يجب عليه من حق التسليم قالا سنعلمه ذلك ونخبره باستبطائك اياه فخرجا من عنده وأقبلا حتى دخلا على هاني بن عروة فأخبراه بما قال لهما ابن زياد وما قالا له ثم قالا له أقسمنا عليك الا قتت معنا اليه الساعة لتسل سخيمة قلبه فدعا بيغته فركبها ومضى معهما حتى اذا دنا من قصر الامارة خبثت نفسه فقال لهما ان قلبي قد أوجس من هذا الرجل خيفة قالا ولم تحدث نفسك بالخوف وانت برئ الساحة فمضى معهما حتى دخلوا على ابن زياد فأنشأ ابن زياد يقول متمثلا

اريدُ حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

قال هاني وما ذاك أيها الأمير قال ابن زياد وما يكون أعظم من مجيئك بمسلم ابن عقيل وادخالك إياه منزلك وجمعك له الرجال ليبياعوه فقال هاني ما فعلت وما أعرف من هذا شيئا فدعا ابن زياد بالشامي وقال يا غلام ادع لي معقلا فدخل عليهم فقال ابن زياد لهاني بن عروة أتعرف هذا فلما رآه علم أنه انما كان عينا عليهم فقال هاني أصدقك والله أيها الأمير اني والله ما دعوت مسلم بن عقيل وما شعرت به ثم قص عليه قصته على وجهها ثم قال فأما الآن فأنا مخرج من داري لينطلق حيث شاء وأعطيك عهدا وثيقا ان أرجع اليك قال ابن زياد لا والله لا تفارقني حتى تأتيني به فقال هاني أو يجمل بي أن أسلم ضيفي وجاري للقتل والله لا أفعل ذلك أبدا فاعترضه ابن زياد بالخير رانة

فَضْرَبَ وَجْهَهُ وَهَشَمَ أَنْفَهُ وَكَسَرَ حَاجِبَهُ وَأَمَرَ بِهِ فَأُدْخِلَ بَيْتًا وَبَلَغَ مَذْحِجًا ابْنُ زِيَادٍ قَدْ قَتَلَ هَانِئًا فَاجْتَمَعُوا بِيَابِ الْقَصْرِ وَصَاحُوا فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ لَشَرِيحِ الْقَاضِي وَكَانَ عِنْدَهُ أُدْخِلَ إِلَى صَاحِبِهِمْ فَانْظُرْ إِلَيْهِ ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ حَتَّى فَعَلَ فَقَالَ لَهُمْ سَيِّدُهُمْ عَمْرُو بْنُ الْحِجَاجِ أَمَا إِذَا كَانَ صَاحِبُكُمْ حَيًّا فَمَا يُعْجَلُ الْفِتْنَةُ أَنْصَرَفُوا فَانْصَرَفُوا فَلَمَّا عَلِمَ ابْنُ زِيَادٍ أَنَّهُمْ قَدْ أَنْصَرَفُوا أَمَرَ بِهَانِيٍّ فَأَتَى بِهِ السُّوقَ فَضْرَبَتْ عُنُقَهُ هُنَاكَ . وَلَمَّا بَلَغَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ قَتَلَ هَانِيَّ بْنَ عُرْوَةَ نَادَى فِيمَنْ كَانَ بَايَعَهُ فَاجْتَمَعُوا فَعَقَدَ لَعِبِدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَرِينِ الْكَنْدِيِّ عَلَى كَنْدَةِ وَرَبِيعَةَ وَعَقَدَ لِمُسْلِمِ بْنِ عَوْسَجَةَ عَلَى مَذْحِجٍ وَأَسَدَ وَعَقَدَ لِأَبِي ثَمَامَةَ الصِّدَاوِيِّ عَلَى تَيْمِ بْنِ رَهْمَدَانَ وَعَقَدَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ عَلَى قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ فَتَقَدَّمُوا جَمِيعًا حَتَّى أَحَاطُوا بِالْقَصْرِ وَاتَّبَعَهُمْ هُوَ فِي بَقِيَّةِ النَّاسِ وَتَحَصَّنَ عِبِيدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ فِي الْقَصْرِ مَعَ مَنْ حَضَرَ مَجْلِسَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْأَعْوَانِ وَالشَّرْطِ وَكَانُوا بِمَقْدَارِ مِائَتَيْ رَجُلٍ فَقَامُوا عَلَى سُورِ الْقَصْرِ يَرْمُونَ الْقَوْمَ بِالْمَدْرِ وَالنُّشَابِ وَيَمْنَعُونَهُمْ مِنَ الدَّنَوِّ مِنَ الْقَصْرِ فَلَمْ يَزَالُوا بِذَلِكَ حَتَّى أَمْسَوْا . وَقَالَ عِبِيدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ لِمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِيُشْرِفَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ السُّورِ فَخَوَّفُوا الْقَوْمَ فَأَشْرَفَ كَثِيرٌ مِنْ شِهَابٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ وَالْقَعْقَاعِ بْنِ شُورٍ وَشَبَّثِ بْنِ رَبِيعٍ وَحِجَّارِ بْنِ أَبَجْرٍ وَشِمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ فَنَادُوا يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَسْتَعْجِلُوا الْفِتْنَةَ وَلَا تَشْقُوا عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا تَوْرَدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ خِيُولَ الشَّامِ فَقَدْ ذَقَمْتُمُوهُمْ وَجَرَّبْتُمْ شَوْكَتَهُمْ فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ مُسْلِمِ

مقاتلهم فمروا بعض الفتور وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه وأخاه وابن عمه فيقول انصرف فان الناس يكفونك وتجيء المرأة الى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلق به حتى يرجع فصلى مسلم العشاء في المسجد وما معه الا زهاء ثلاثين رجلا . فلما رأى ذلك مضى منصرفا ماشيا ومشوا معه فأخذ نحو كندة فلما مضى قليلا التفت فلم ير منهم أحدا ولم يُصب انسانا يده له على الطريق فمضى هائما على وجهه في ظلمة الليل حتى دخل حتى كندة فاذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها وكانت ممن خفت مع مسلم فأوثته وأدخلته بيتها وجاء ابنها فقال من هذا في الدار فأعلمته وأمرته بالسكتان . ثم ان ابن زياد لما فقد الاصوات ظن ان القوم دخلوا المسجد فقال انظروا هل ترون في المسجد أحدا وكان المسجد مع القصر فنظروا فلم يروا أحدا وجعلوا يشعلون اطنان القصب ثم يقذفون بها في رحبة المسجد ليضيء لهم فتبينوا فلم يروا أحدا فقال ابن زياد ان القوم قد خذلوا وأسأهوا مسأما وانصرفوا فخرج فيمن كان معه وجلس في المسجد ووُضعت الشموع والقناديل وأمر مناديا فنادى بالكوفة ألا برئت الذمة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد فاجتمع الناس ثم قال يا حصين بن نمير وكان على الشرطة ثكلتك أمك ان ضاع باب سكة من سكك الكوفة فاذا أصبحت فاستقري الدور دارا دارا حتى تقع عليه وصلى ابن زياد العشاء في المسجد ثم دخل القصر فلما أصبح جلس للناس فدخلوا عليه ودخل في أوائلهم محمد بن الاشعث فأقعدده معه على سريريه وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في بيتها الى عبد الرحمن بن محمد

ابن الاشعث وهو حينئذ غلام حين راهق فأخبره بمكان مسلم عنده فأقبل
عبد الرحمن الى أبيه محمد بن الاشعث وهو جالس مع ابن زياد فأسر إليه
الخبر فقال ابن زياد ما سارك به ابنك قال أخبرني أن مسلم بن عقيل في
بعض دورنا فقال انطلق فأتني به الساعة . وقال لعبيد بن حريث ابعت
مائة رجل من قريش وكره أن يبعث اليه غير قريش خوفا من العصبية ان
تقع فأقبلوا حتى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل فاقحموها فقاتلهم فرمى
فكسر فوه وأخذ فأتى بيغلة فركبها وصاروا به الى ابن زياد فلما أدخل عليه
وقد اكتنفه الجلاوزة قالوا له سلم على الامير قال ان كان الامير يريد قتلي
فما أتنفع بسلام عليه وإن كان لم يرد فسيكثر عليه سلامي فقال ابن زياد كأنك
ترجو البقاء فقال له مسلم فان كنت مزعما على قتلي فدعني أوص الى بعض
من هاهنا من قومي قال له أوص بما شئت فنظر الى عمر بن سعد بن أبي
وقاص فقال له اخل هي في طرف هذا البيت حتى أوصي اليك فليس في
القوم أقرب اليّ ولا أولى بي منك فتنجى معه ناحية فقال له أتقبل وصيتي
قال نعم قال مسلم ان عليّ هاهنا دينا مقدار ألف درهم فاقض عني واذا أنا
قتلت فاستوهب من ابن زياد جثتي لئلا يمثل بها وابتعث الى الحسين بن عليّ
رسولا قاضدا من قبلك يعلمه حالي وما صرت اليه من غدر هؤلاء الذين
يزعمون أنهم شيعة وأخبره بما كان من نكبتهم بعد أن بايعني منهم ثمانية عشر
ألف رجل لينصرف الى حرم الله فيقيم به ولا يغتر بأهل الكوفة . وقد كان
مسلم كتب الى الحسين أن يقدم ولا يلبث فقال له عمر بن سعد لك عليّ

ذلك كله وأنا به زعيم فانصرف الى ابن زياد فأخبره بكل ما أوصى به اليه
مسلم فقال له ابن زياد قد أسأت في افشائك ما أسره اليك وقد قيل انه
لا يخونك الا الامين وربما ائتمك الخائن وأمر بن زياد بمسلم بن عقيل فرُقي به
الى ظهر القصر فاشرف به على الناس وهم على باب القصر مما يلي الرحبة حتى
اذا راوه ضربت عنقه هناك فسقط رأسه الى الرحبة ثم أتبع الرأس بالجسد
وكان الذي تولى ضرب عنقه احرر بن بكير وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن
الزبير الاسدي

فان كنت لاتدرين ما الموت فانظري الى هاني في السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف أنفه وآخر يهوى من طمار قتييل
أصاهما ريب الزمان فأصبحا أحاديث من يسعى بكل سبيل
تري جسدا قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل
ثم بعث عبيد الله بروؤوسهما الى يزيد وكتب اليه بالنبأ فيهما فكتب اليه
يزيد لم نعد الظن بك وقد فعلت فعل الحازم الجليد وقد سألت رسوليك
عن الامر ففرشاه لي وهما كما ذكرت في النصيح وفضل الرأي فاستوص بهما
وقد بلغني ان الحسين بن علي قد فصل من مكة متوجها الى ما قبلك فأذك
العيون عليه وضع الارصاد على الطرق وقم أفضل القيام غير أن لا تقاتل الا
من قاتلك واكتب الى بالخبر في كل يوم وكان أنفذ الرأسين اليه مع هاني
ابن أبي حبة الهمداني والزبير بن الأرواح التيمي وكان قتل مسلم بن عقيل
يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذي الحجة سنة ستين وهي السنة التي مات

فيها معاوية .

(مخرج الحسين رضي الله عنه الى الكوفة)

وخرج الحسين بن علي عليه السلام من مكة في ذلك اليوم . ثم ان ابن زياد وجه بالحصين بن نمير وكان على شرطه في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأمره أن يقيم بالقادسية الى الققطةطانة فيمنع من أراد النفوذ من ناحية الكوفة الى الحجاز الا من كان حاجا أو معتمرا أو من لايتهم بمالاة الحسين . قالوا ولما ورد كتاب مسلم بن عقيل على الحسين عليه السلام ان الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل فاقدم فان جميع الناس معك ولا رأى لهم في آل أبي سفيان . فلما عزم على الخروج وأخذ في الجهاز بلغ ذلك عبد الله بن عباس فأقبل حتى دخل على الحسين رضي الله عنه فقال يا ابن عم قد بلغني انك تريد المسير الى العراق قال الحسين أنا على ذلك قال عبد الله أعيذك بالله يا ابن عم من ذلك قال الحسين قد عزمت ولا بد من المسير قال له عبد الله أتسير الى قوم طردوا أميرهم عنهم وضبطوا بلادهم فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم وان كانوا انما يدعونك اليهم وأميرهم عليهم وعماله يجبونهم فانهم انما يدعونك الى الحرب ولا آمنهم أن يخذلوك كما خذلوا أباك وأخاك قال الحسين يا ابن عم سأنظر فيما قلت . وبلغ عبد الله بن الزبير ما بهم به الحسين فأقبل حتى دخل عليه فقال له لو أقت بهذا الحرم وبثت رسلك في البلدان وكتبت الى شيعتك بالعراق أن يقدّموا عليك فاذا قوى أمرك نفيت عمال يزيد عن هذا البلد وعلى لك

المكانفة والموازرة وان عملت بمشورتى طلبت هذا الأمر بهذا الحرم فانه
مجمع أهل الآفاق ومورد أهل الأقطار لم يعزِمك باذن الله ادراك ما تريد
ورجوت أن تناله . قالوا ولما كان في اليوم الثالث عاد عبد الله بن عباس الى
الحسين فقال له يا ابن عم لا تقرب أهل الكوفة فانهم قوم غدرّة وأقم بهذه
البلدة فانك سيد أهلها فان أبيت فسر الى أرض اليمن فان بها حصونا وشعابا
وهي أرض طويلة عريضة ولأبيك فيها شيعة فتكون عن الناس في عزلة
وتبت دعائك في الآفاق فاني أرجو ان فعلت ذلك أنك الذي تحب في عافية
قال الحسين عليه السلام يا ابن عم والله اني لأعلم أنك ناصح مشفق غير اني
قد عزمت على الخروج قال ابن عباس فان كنت لا محالة سائرا فلا تخرج
النساء والصبيان فاني لا آمن أن تقتل كما قتل ابن عفان وصبيته ينظرون اليه
قال الحسين عليه السلام ما أرى الا الخروج بالأهل والولد فخرج ابن عباس
من عند الحسين فمرّ بابن الزبير وهو جالس فقال له قرّت عينك يا ابن الزبير
بمخرج الحسين ثم تمثل .

خلا لك الجوف فيضي واصفري وتقرى ماشئت أن تنقرى
قالوا ولما خرج الحسين من مكة اعترضه صاحب شرطة أميرها عمرو بن سعيد
ابن العاص في جماعة من الجند فقال ان الأمير يأمرك بالانصراف فانصرف
والا منعتك فامتنع عليه الحسين وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط وبلغ ذلك
عمرو بن سعيد فخاف أن يتفاقم الامر فأرسل الى صاحب شرطه يأمره
بالانصراف . قالوا ولما فصل الحسين بن عليّ من مكة سائرا وقد وصل الى

التنميم لحق عيرا مقبلة من اليمن عليها ورس وحناء يُنطلق به الى يزيد بن معاوية فأخذها وما عليها وقال لأصحاب الابل من أحبّ منكم أن يسير معنا الى العراق أوفيناها كراءه وأحسننا صحبته ومن أحبّ أن يفارقنا من هاهنا أعطيناه من الكراء بقدر ما قطع من الارض فقارقه قوم ومضى معه آخرون ثم سار حتى اذا انتهى الى الصفاح لقيه هناك الفرزدق الشاعر مقبلا من العراق يريد مكة فسلم على الحسين فقال له الحسين كيف خلفت الناس بالعراق قال خلفتهم وقلوبهم معك وسيوفهم عليك ثم ودّعه ومضى الحسين عليه السلام حتى اذا صار ببطن الرمة كتب الى أهل الكوفة بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ الى اخوانه من المؤمنين بالكوفة سلام عليكم أما بعد فان كتاب مسلم بن عقيل ورد عليّ باجماعكم لي وتشوّفكم الى قدومي وما أنتم عليه منظرون من نصرنا والطلب بحقنا فأحسن الله لنا ولكم الصنيع وأنا بكم على ذلك بأفضل الذخر وكتابي اليكم من بطن الرمة وأنا قادم عليكم وحديث السير اليكم والسلام . ثم بعث بالكتاب مع قيس بن مسهر فصار حتى وافى القادسية فأخذه حصين بن نمير وبعث به الى ابن زياد فلما أدخل عليه أغاظ لعبيد الله فأمر به أن يطرح من أعلى سور القصر الى الرحبة فطرح فمات . وسار الحسين عليه السلام من بطن الرمة فلقاه عبيد الله بن مطيع وهو منصرف من العراق فسلم على الحسين وقال له بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أخرجك من حرم الله وحرم جدك فقال ان أهل الكوفة كتبوا اليّ يسألوني أن أقدم عليهم لما رجوا من إحياء معالم الحق وامانة

البدع قال له ابن مطيع أنشدك الله أن تأتي الكوفة فوالله لئن أتيتها لتقتلن فقال له الحسين عليه السلام (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ثم ودّعه ومضى . ثم سار حتى انتهى الى زرود فنظر الى فسطاط مضروب فسأل عنه فقيل له هو زهير بن القين وكان حاجا أقبل من مكة يريد الكوفة فأرسل اليه الحسين أن القني أكرمك فأبى أن يلقاه وكانت مع زهير زوجته فقالت له سبحانه الله يبعث اليك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تحجبه فقام يمشي الى الحسين عليه السلام فلم يلبث ان انصرف وقد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه فقلع وضرب الى لزق فسطاط الحسين ثم قال لامراته أنت طالق فتقدمي مع أخيك حتى تصلين الى منزلك فاني قد وطنت نفسي على الموت مع الحسين عليه السلام ثم قال لمن كان معه من أصحابه من أحب منكم الشهادة فليقم ومن كرهها فليقدم فليقم معه منهم أحد وخرجوا مع المرأة وأخيها حتى لحقوا بالكوفة . قالوا ولما رحل الحسين من زرود تلقاه رجل من بني أسد فسأله عن الخبر فقال لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ورأيت الصبيان يجرون بأرجلهم فقال إنا لله وإنا اليه راجعون عند الله نحتسب أنفسنا فقيلا له نشدك الله يا ابن رسول الله في نفسك وأنفس أهل بيتك هؤلاء الذين نراهم معك انصرف الى موضعك ودع المسير الى الكوفة فوالله مالك بها ناصر فقال بنو عقيل وكانوا معه مالنا في العيش بعد أخينا مسلم حاجة ولسنا براجعين حتى نموت فقال الحسين فما خير في العيش بعد هؤلاء وسار فلما وافى زباله وافاه بها رسول محمد بن الأشعث وعمر بن سعد بما

كان سألته مسلم أن يكتب به اليه من أمره وخذلان أهل الكوفة إياه بعد
 أن بايعوه وقد كان مسلم سأل محمد بن الأشعث ذلك فلما قرأ الكتاب
 استيقن بصحة الخبر وأفضعه قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ثم أخبره
 الرسول بقتل قيس بن مسمر رسوله الذي وجهه من بطن الرمة وقد كان صحبه
 قوم من منازل الطريق فلما سمعوا خبر مسلم وقد كانوا ظنوا أنه يقدم على
 أنصار وعضد تفرقوا عنه ولم يبق معه إلا خاصته فسار حتى انتهى إلى بطن
 العقيق فلقه رجل من بني عكرمة فسلم عليه وأخبره بتوطيد ابن زياد الخليل
 ما بين القادسية إلى العذيب رصدا له ثم قال له انصرف بنفسك أنت فوالله
 ما تسير إلا إلى الأسنه والسيوف ولا تتكلم على الذين كتبوا إليك فإن
 أولئك أول الناس مبادرة إلى حربك فقال له الحسين قد ناصحت وبالغت
 فجزيت خيرا ثم أسلم عليه ومضى حتى نزل بسراة بات بها ثم ارتحل وسار
 فلما انتصف النهار واشتد الحر وكان ذلك في القيظ تراءت لهم الخيل
 فقال الحسين زهير بن القين أما هاهنا مكان يلجأ إليه أو شرف نجعله خلف
 ظهورنا ونستقبل من وجه واحد قال له زهير بلى هذا جبل ذي جشم يسرة
 عنك فمل بنا إليه فإن سبقت إليه فهو كما تحب فسار حتى سبق إليه وجعل
 ذلك الجبل وراء ظهره وأقبلت الخيل وكانوا ألف فارس مع الحر بن يزيد
 التيمي ثم ألبسوا حتى إذا دنوا أمر الحسين عليه السلام فتبانه أن يستقبلوهم
 بالماء فشربوا وتغمرت خيلهم ثم جلسوا جميعا في ظل خيولهم واعتصموا بأيديهم
 حتى إذا حضرت الظهر قال الحسين عليه السلام للحر أتصلي معنا أو تصلي

بأصحابك وأصلي بأصحابي قال الحرّ بل نصلي جميعا بصلاتك فتقدّم الحسين
 عليه السلام فصلى بهم جميعا فلما انقضى من صلاته حوّل وجهه الى القوم ثم
 قال أيها الناس معذرة الى الله ثم اليكم اني لم آتكم حتى اتنى كتبكم وقدمت
 على رسلكم فان أعطيتوني ما أطمئنّ اليه من عهودكم ومواثيقكم دخلنا معكم
 مصركم وان تكن الاخرى انصرفت من حيث جئت فأسكت القوم فلم
 يردوا عليه حتى اذا جاء وقت العصر نادى مؤذن الحسين ثم أقام وتقدم
 الحسين فصلى بالفرقيين ثم انقضى اليهم فأعاد مثل القول الأول فقال الحرّ بن
 يزيد والله ما ندرى ما هذه الكتب التي تذكر فقال الحسين عليه السلام
 اتنى بالخرجين الذين فيهما كتبهم فأتى بخرجين مملوءين كتباً فثرت بين
 يدي الحرّ وأصحابه فقال له الحرّ يا هذا لسا من كتب اليك شيئاً من هذه
 الكتب وقد أمرنا أن لا نفارقك اذا لقيناك أو تقدم بك الكوفة على الأمير
 عبيد الله بن زياد فقال الحسين عليه السلام الموت دون ذلك ثم أمر باثقاله فحملت
 وأمر أصحابه فركبوا ثم ولّى وجهه منصرفاً نحو الحجاز فقال القوم بينه وبين
 ذلك فقال الحسين للحرّ ما الذي تريد قال أريد والله ان انطلق بك الى
 الأمير عبيد الله بن زياد قال الحسين اذاً والله أنا بذك الحرب فلما كثر
 الجدل بينهما قال الحرّ اني لم أوامر بقتالك وانما أمرت ان لا أفارقك وقد
 رأيت رأياً فيه السلامة من حربك وهو أن تجعل بيني وبينك طريقاً لا تُدخلك
 الكوفة ولا تردك الى الحجاز تكون نصفاً بيني وبينك حتى يأتينا رأى الأمير
 قال الحسين فخذها هنا فأخذ متيسراً من طريق العذيب ومن ذلك المكان

الى العذيب ثمانية وثلاثون ميلا فسارا جميعا حتى انتهوا الى عذيب الحمامات
 فنزلوا جميعا وكل فريق منهما على غلوة من الآخر ثم ارتحل الحسين من
 موضعه ذلك متيامنا عن طريق الكوفة حتى انتهى الى قصر بني مقاتل
 فنزلوا جميعا هناك فنظر الحسين الى فسطاط مضروب فسأل عنه فأخبر أنه
 لعبيد الله بن الحر الجعفي وكان من أشرف أهل الكوفة وفرسانهم فأرسل
 الحسين اليه بعض مواليه يأمره بالمصير اليه فأتاه الرسول فقال هذا الحسين بن
 عليّ يسألك أن تصير اليه فقال عبيد الله والله ما خرجت من الكوفة الا
 لكثرة من رأيتهم خرج لمحاربتهم وخذلان شيعته فعلمت انه مقتول ولا أقدر
 على نصره فلست أحب أن يراني ولا أراه فاتعل الحسين حتى مشى ودخل
 عليه قبته ودعاه الى نصرته فقال عبيد الله والله اني لاعلم ان من شايئك
 كان السعيد في الآخرة ولكن ماعسى ان أغني عنك ولم أخلف لك بالكوفة
 ناصراً فانشدك بالله أن تحملني على هذه الخطة فان نفسي لم تسمح بعد بالموت
 ولكن فرسي هذه المأحقة والله ما طلبت عليها شيئاً قط الا لحقته ولا طلبني
 وانا عليها أحد قط الا سبقته فخذها فهي لك قال الحسين أما اذ رغبت بنفسك
 عنا فلا حاجة لنا الى فرسك . وسار الحسين عليه السلام من قصر بني مقاتل
 ومعه الحر بن يزيد كل ما أراد أن يميل نحو البادية منه حتى انتهى الى
 المكان الذي يسمى كربلاء فمال قليلا متيامنا حتى انتهى الى نينوى فاذا
 هو براكب على نجيب مقبل من القوم فوقفوا جميعا ينتظرونه فلما انتهى
 اليهم سلم على الحر ولم يسلم على الحسين ثم ناول الحر كتابا من عبيد الله بن

زياد فقرأه فاذا فيه . أما بعد فجمع بالحسين بن علي وأصحابه بالمكان الذي
 يوافيك كتابي ولا تحله الا بالعراء على غير خمر ولا ماء وقد امرت حامل
 كتابي هذا ان يخبرني بما كان منك في ذلك والسلام . فقرأ الحر الكتاب
 ثم ناوله الحسين وقال لا بد من انفاذ أمر الامير عبيد الله بن زياد فانزل بهذا
 المكان ولا تجعل للأمير علي علة فقال الحسين عليه السلام تقدم بنا قليلا
 الى هذه القرية التي هي منا على غلوة وهي الغاضرية أو هذه الاخرى التي
 تسمى السقبة فنزل في احدهما قال الحر ان الامير كتب الى ان أحلك على
 غير ماء ولا بد من الانتهاء الى أمره فقال زهير بن القين للحسين بأبي وأمي
 يا ابن رسول الله والله لو لم يأتنا غير هؤلاء لكان لنا فيهم كفاية فكيف بمن
 سيأتينا من غيرهم فسلم بنا نناجز هؤلاء فان قتال هؤلاء أيسر علينا من قتال
 من يأتينا من غيرهم قل الحسين عليه السلام فاني أكره أن أبدأهم بقتال
 حتى يبدؤونا فقال له زهير فها هنا قرية بالقرب منا على شط الفرات وهي في
 عاقول حصينة . الفرات يُحدق بها الا من وجه واحد قال الحسين وما اسم
 تلك القرية قال العقر قال الحسين نعوذ بالله من العقر فقال الحسين للحر سير بنا
 قليلا ثم نزل فصار معه حتى أتوا كربلاء فوقف الحر وأصحابه امام الحسين
 ومنعواهم من المسير وقال انزل بهذا المكان فالفرات منك قريب قال الحسين
 وما اسم هذا المكان قالوا له كربلاء قال ذات كرب وبلاء ولقد مرّ أبي
 بهذا المكان عند مسيره الى صفين وأنا معه فوقف فسأل عنه فأخبر باسمه
 فقال ها هنا محطّ ركبهم وها هنا مهراق دماهم فستل عن ذلك فقال ثقل

لآل محمد ينزلون هاهنا ثم أمر الحسين باثقاله فحطت بذلك المسكان يوم
الاربعاء غرة الحزّم من سنة احدى وستين وقتل بعد ذلك بعشرة أيام وكان
قتله يوم عاشوراء

(مقتل الحسين)

فلما كان اليوم الثاني من نزوله كربلاء وافاه عمر بن سعد في أربعة آلاف
فارس وكانت قصة خروج عمر بن سعد ان عبيد الله بن زياد ولّاه الريّ
وثغر دستيّ والديلم وكتب له عهده عليها فبعسكر للمسير اليها فحدث أمر
الحسين فأمره ابن زياد أن يسير الى محاربة الحسين فاذا فرغ منه سار الى
ولايته فتلكا عمر بن سعد على ابن زياد وكره محاربة الحسين فقال له ابن زياد
فاردد علينا عهدنا قال فأسير اذا فسار في أصحابه أولئك الذين ندبوا معه الى
الري ودستيّ حتى وافى الحسين وانضم اليه الحرّ بن يزيد فيمن معه ثم قال عمر
ابن سعد لقرّة بن سفيان الخنظلي انطلق الى الحسين فسله ما أقدمك فأناه فأبلغه
فقال الحسين أبلغه عني ان أهل هذا المصر كتبوا اليّ يذكرون ألامام لهم
ويستلوني القدوم عليهم فوثقت بهم فغدروا بي بعد ان بايعني منهم ثمانية
عشر الف رجل فلما دنوت فعلمت غرور ما كتبوا به اليّ أردت الانصراف
الى حيث منه أقبلت فمنعني الحرّ بن يزيد وسار حتى جمع بي في هذا
المكان ولى بك قرابة قريبة ورحم ماسة فأطلقني حتى أنصرف فرجع قرّة
الى عمر بن سعد بجواب الحسين بن عليّ فقال عمر الحمد لله والله اني لارجو
أن أعفى عن محاربة الحسين ثم كتب الى ابن زياد يخبره بذلك فلما وصل

كتابه الى ابن زياد كتب اليه في جوابه قد فهمت كتابك فأعرض على
 الحسين البيعة اينزيد فاذا بايع في جميع من معه فأعلمني ذلك ليأتيك رأيي فلما
 انتهى كتابه الى عمر بن سعد قال ما أحسب ابن زياد يريد العافية فأرسل
 عمر بن سعد بكتاب ابن زياد الى الحسين فقال الحسين للرسول لا أجيب ابن
 زياد الى ذلك أبدا فهل هو الا الموت فمرحبا به فكتب عمر بن سعد الى ابن
 زياد بذلك فغضب فخرج بجميع أصحابه الى النخيلة ثم وجه الحسين بن نمير
 وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي وشمير بن ذى الجوشن ليعاونوا عمر بن سعد
 على أمره فأما شمر فنفذ لما وجهه له وأما شبث فاعتل بمرض فقال له ابن
 زياد أتمارض ان كنت في طاعتنا فأخرج الى قتال عدونا فلما سمع شبث ذلك
 خرج ووجه أيضا الحارث بن يزيد بن رويم . قالوا وكان ابن زياد اذا وجه
 الرجل الى قتال الحسين في الجمع الكثير يصلون الى كربلاء ولم يبق منهم الا
 القليل كانوا يكرهون قتال الحسين فيرتدعون ويتخلفون فبعث ابن زياد سويد
 ابن عبد الرحمن الميثري في خيل الى الكوفة وأمره أن يطوف بها فمن وجد
 قد تخلف أتاه به فبينا هو يطوف في أحياء الكوفة اذ وجد رجلا من أهل
 الشام قد كان قدم الكوفة في طلب ميراث له فأرسل به الى ابن زياد فأمر
 به فضربت عنقه فلما رأى الناس ذلك خرجوا . قالوا وورد كتاب ابن زياد
 على عمر بن سعد أن امنع الحسين وأصحابه الماء فلا يذوقوا منه حسوة كما فعلوا
 بالتقي عثمان بن عفان فلما ورد على عمر بن سعد ذلك أمر عمرو بن الحجاج
 أن يسير في خمسمائة راكب فينيخ على الشريعة ويحولوا بين الحسين

وأصحابه وبين الماء وذلك قبل مقتله بثلاثة أيام فكث أصحاب الحسين عطاشي . قالوا ولما اشتد بالحسين وأصحابه العطش أمر أخاه العباس بن علي وكانت أمه من بني عامر بن صعصعة أن يمضي في ثلاثين فارسا وعشرين راجلا مع كل رجل قربة حتى يأتوا الماء فيحاربوا من حال بينهم وبينه فمضى العباس نحو الماء وإمامهم نافع بن هلال حتى دنوا من الشريعة فمنعهم عمرو ابن الحجاج فجالدهم العباس على الشريعة بمن معه حتى أزالوهم عنها واقتحم رجالة الحسين الماء فملئوا قربهم ووقف العباس في أصحابه يذبون عنهم حتى أوصلوا الماء إلى عسكر الحسين ثم إن ابن زياد كتب إلى عمر بن سعد . أما بعد فإني لم أبعثك إلى الحسين لتطاوله الأيام ولا تمنيه السلامة والبقاء ولا لتكون شفيعه إلى فاعرض عليه وعلى أصحابه النزول على حكمي فإن أجابوك فابعث به وبأصحابه إلى وإن أبوا فازحف إليه فانه عاق شاق فإن لم تفعل فاعتزل جندنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فإننا قد أمرناه بأمرنا فنأدى عمر بن سعد في أصحابه أن انهدوا إلى القوم قهض إليهم عشية الخميس وليلة الجمعة لتسع ليال خلون من المحرم فسألهم الحسين تأخير الحرب إلى غد فأجابوه قالوا وأمر الحسين أصحابه أن يضموا مضاربهم بعضهم من بعض ويكونوا أمام البيوت وأن يحفروا من وراء البيوت أخذودا وأن يضرعوا فيه خطبا وقصبا كثيرا لئلا يأتوا من أدبار البيوت فيدخلوها . قالوا ولما صلى عمر بن سعد الغداة نهض بأصحابه وعلى ميمنته عمرو بن الحجاج وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن واسم شمر شربيل بن عمرو بن معاوية من

آل الوَحِيد من بَنِي عامر بن صعصعة وعلى الخليل عروة بن قيس وعلى
الرجالة شَبَث بن رَبِيعٍ والراية بيد زيد مولى عمر بن سعد . وعَبِيّ الحسين
عليه السلام أيضا أصحابه وكانوا اثنين وثلاثين فارسا وأربعين راجلا فجعل
زهير بن القين على ميمته وحبيب بن مُظْهَر على ميسرته ودفع الراية الى
أخيه العباس بن عليّ ثم وقف ووقفوا معه امام البيوت . وانحاز الحرّ بن
يزيد الذي كان جمعهم بالحسين الى الحسين فقال له قد كان مني الذي كان
وقد أتيتك مُواسيّا لك بنفسى أفترى ذلك لى توبةً مما كان مني قال الحسين
نعم انها لك توبة فابشر فانت الحرّ فى الدنيا وانت الحرّ فى الآخرة ان شاء الله
قالوا ونادى عمر بن سعد مولاة زيدا ان قدّم الراية فتقدم بها وشبّت الحرب
فلم يزل أصحاب الحسين يقاتلون ويُقتلون حتى لم يبق معه غير أهل بيته
فكان أول من تقدّم منهم فقاتل عليّ بن الحسين وهو عليّ الأكبر فلم
يزل يقاتل حتى قُتل طعنه مُرّةً بن مُنقذ العبدى فصرعه وأخذته السيوف
فقتل ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل رماه عمرو بن صَبَّاح الصيدواى
فصرعه ثم قُتل عدىّ بن عبد الله بن جعفر الطيار قتله عمرو بن نهشل التميمى
ثم قتل عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب رماه عبد الله بن عروة الخثعمى
بسهم فقتله ثم قُتل محمد بن عقيل بن أبى طالب رماه لقيط بن نَاشِر الجُهَنى بسهم
فقتله ثم قُتل القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبى طالب ضربه عمرو بن سعد بن
مُقبِل الأُسدى ثم قُتل أبو بكر بن الحسن بن عليّ رماه عبد الله بن عُقبة
الغنوى بسهم فقتله قالوا ولما رأى ذلك العباس بن عليّ قال لآخوته عبد الله

وجعفر وعثمان بنى علي عليه وعليهم السلام وأمههم جميعاً أم البنين العامرية من آل الوحيد تقدموا بنفسى أنتم فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه فتقدموا جميعاً فصاروا أمام الحسين عليه السلام يقونه بوجوههم ونحورهم فحمل هانىء ابن ثويب الحضرمي علي عبد الله بن علي فقتله ثم حمل علي أخيه جعفر بن علي فقتله أيضاً ورمى يزيد الاصبحي عثمان بن علي بسهم فقتله ثم خرج اليه فاحتز رأسه فأتى به عمر بن سعد فقال له أثبني فقال عمر عليك بأمرىك يعنى عبيد الله بن زياد فسله أن يثيبك . وبقى العباس بن علي قائماً أمام الحسين يقاتل دونه ويميل معه حيث مال حتى قتل رحمة الله عليه وبقى الحسين عليه السلام وحده فحمل عليه مالك بن بشر الكندي فضربه بالسيف على رأسه وعليه برنس خرز فقطعه وأفضى السيف الى رأسه فجرخه فألقى الحسين البرنس ودعا بقلنسوة فلبسها ثم اعتم بعمامة وجلس فدعا بصبي له صغير فأجلسه في حجره فرماه رجل من بني أسد وهو في حجر الحسين بمشقص فقتله . وبقى الحسين عليه السلام ملجأ جالساً ولو شاؤوا أن يقتلوه قتلوه غير أن كل قبيلة كانت تشكل على غيرها وتكره الاقدام على قتله وعطش الحسين فدعا بقدح من ماء فلما وضعه في فيه رماه الحسين بن نمير بسهم فدخل فيه وحال بينه وبين شرب الماء فوضع القدح من يده . ولما رأى القوم قد أحجموا عنه قام يتمشى على المسناة نحو الفرات فخالوا بينه وبين الماء فانصرف الى موضعه الذى كان فيه فانتزع له رجل من القوم بسهم فأثبتته في عاتقه فترع عليه السلام السهم وضربه زُرعة بن شريك التميمي بالسيف واتقاه الحسين

بيده فأسرع السيف في يده وحمل عليه سنان بن أوس النخعي فطعنه فسقط
ونزل اليه حولى بن يزيد الأصبحي ليحز رأسه فأرعدت يده فقتل أخوه
شبل بن يزيد فاحتز رأسه فدفعه الى أخيه حولى ثم مال الناس على ذلك
الورس الذى كان أخذه من العير والى ما فى المضارب فاتهبوه ولم ينبج من
أصحاب الحسين عليه السلام وولده وولد أخيه الا ابناه على الأصغر وقد
كان راهق والاعمر وقد كان بلغ أربع سنين . ولم يسلم من أصحابه الا رجلان
أحدهما المرقع بن ثمامة الاسدي بعث به عمر بن سعد الى ابن زياد فسيره
الى الرَبَذة فلم يزل بها حتى هلك يزيد وهرب عبيد الله الى الشام فانصرف
المرقع الى الكوفة والآخر مولى لرباب أم سكينه أخذوه بعد قتل الحسين
فأرادوا ضرب عنقه فقال لهم انى عبد مملوك فخلوا سبيله . وبعث عمر بن سعد
برأس الحسين من ساعته الى عبيد الله بن زياد مع حولى بن يزيد الأصبحي
وأقام عمر بن سعد بكر بلاء بعد مقتل الحسين يومين ثم اذن فى الناس
بالرحيل وحملت الرؤوس على أطراف الرماح وكانت اثنين وسبعين رأسا
جاءت هوازن منها باثنين وعشرين رأسا وجاءت تميم بسبعة عشر رأسا مع
الخصين بن نمير وجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا مع قيس ابن الاشعث
وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور وجاءت الازد بخمسة
رؤوس مع عيَنة بن زهير وجاءت ثقيف باثني عشر رأسا مع الوليد بن
عمر و . وأمر عمر بن سعد بحمل نساء الحسين واخواته وبناته وجواريه
وحشمه فى المحامل المستورة على الابل . وكانت بين وفاة رسول الله صلى

الله عليه وسلم وبين قتل الحسين خمسون عاما . قالوا ولما أدخل رأس الحسين عليه السلام على ابن زياد فوضع بين يديه جعل ابن زياد ينكت بالخيصرانة ثنايا الحسين وعنده زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مة ارفع قضيبك عن هذه الثنايا فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمها ثم خنفته العبرة فبكى فقال له ابن زياد مة تبكى أبكى الله عينيك والله لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك . قالوا وكانت الرؤوس قد تقدم بها شمر بن ذي الجوشن امام عمر بن سعد قالوا واجتمع أهل الغاضرية فدفنوا أجساد القرم . وروى عن حميد بن مسلم قال كان عمر بن سعد لي صديقا فأتيته عند منصرفه من قتال الحسين فسألته عن حاله فقال لا تسأل عن خالي فإنه ما رجع غائب الى منزله بشر مما رجعت به قطعت القرابة القرية وارتكبت الأمر العظيم . قالوا ثم ان ابن زياد جهز على بن الحسين ومن كان معه من الحرم ووجه بهم الى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس ومحقن بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن فساروا حتى قدموا الشام ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق وأدخل معهم رأس الحسين فرمى بين يديه ثم تكلم شمر بن ذي الجوشن فقال يا أمير المؤمنين ورد علينا هذا في ثمانية عشر رجلا من أهل بيته وستين رجلا من شيعته فسرنا اليهم فسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد أو القتال فغدونا عليهم عند شروق الشمس فأحطنا بهم من كل جانب فلما أخذت السيوف منهم مأخذها جعلوا يلوذون الى غير وزر لوذان الحمام من الصقور فما كان الا مقدار خرز خروز أو نوم (١٧ - الاخبار)

قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مرملة وخدودهم
معفرة تسفى عليهم الرياح زوارهم العقبان ووفودهم الرّخم . فلما سمع ذلك
يزيد دمعت عينه وقال ويحكم قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين
لعن الله ابن مرجانة أما والله لو كنتُ صاحبه لعفوت عنه رحم الله أباء الله
ثم تمثّل

نَفَلَقُ هَامَا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا
ثم أمر بالذرية فأدخلوا دار نسائه . وكان يزيد اذا حضر غداؤه دعا على بن
الحسين وأخاه عمر فياً كلان معه فقال ذات يوم لعمر بن الحسين هل تصارع
ابني هذا يعني خالداً وكان من أقرانه فقال عمر بل اعطني سيفاً واعطه سيفاً
حتى أقاتله فتتظر أينما أصبر فضمه يزيد اليه وقال (شِنْشِنَةُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ)
هل تلدُ الحيةَ إلا حيةً . قال ثم أمر بتجهيزهم بأحسن جهاز وقال لعلي بن
الحسين انطلق مع نسائك حتى تبلغن وطنهن ووجهه معه رجلا في ثلاثين
فارساً يسير أمامهم وينزل حَجَرَةً عنهن حتى انتهى بهم الى المدينة . قالوا
وان عييد الله بن الحر ندم على تركه اجابة الحسين حين دعاه بقصر بني مقاتل
الى نصرته وقال

فِيَا لَكَ حَسْرَةً مَا دَمْتُ حَيًّا تَرَدَّدَ بَيْنَ حَلْقِي وَالتَّرَاقِي
حَسِينَ حِينَ يَطْلُبُ بَذْلَ نَصْرِي عَلَى أَهْلِ الْعَدَاوَةِ وَالشَّقَاقِ
فَمَا أَنْسَى غَدَاةً يَقُولُ حَزَنًا أَتُرَكِّنِي وَتُزْمَعُ لَانْطِلَاقِ
فَلَوْ فَلَقَ التَّلَافُ قَلْبَ حَيٍّ لَهْمَ الْقَلْبِ مِنِّي بَانْفِلَاقِ

ثم مضى نحو أرض الجبل مغاضبا لابن زياد واتبعه أناس من صعاليك الكوفة قالوا وإن ابن الزبير لما سار الى مكة وخرج الحسين عنها سائرا الى الكوفة كان يقول انى فى الطاعة غير انى لا أبايع أحدا وأنا مستجير بالبيت الحرام فبعث اليه يزيد بن معاوية رجلا فى عشرة نفر من حرسه وقال انطلق فانظر ما عنده فإن كان فى الطاعة فخذ به بالبيعة وإن أبى فضع فى عنقه جامعة واثنى به فلما قدم الحرسى عليه وأخبره بما أتاه فيه تمثل ابن الزبير

ما إن ألين لغير الحق أسأله حتى يلين لضرس الماضع الحجر وقال للحرسى انصرف الى صاحبك فاعلمه انى لا أجيبه الى شىء مما يسألنى قال الحرسى ألسن فى الطاعة قال بلى غير انى لا أمكنك من نفسى ولا أكاد . فانصرف الحرسى الى يزيد فأخبره بذلك فوجه يزيد بعشرة نفر من أشرف أهل الشام فيهم النعمان بن بشير وعبد الله بن عَصَاة الاشعري وكان له صلاح ومسلم بن عقبة لعنه الله فقال لهم انطلقوا فادعوه الى الطاعة والجماعة واعلموه أن أحب الامور الى ما فيه السلامة . فساروا حتى وافوا مكة ودخلوا على ابن الزبير فى المسجد فدعوه الى الطاعة وسألوه البيعة فقال ابن الزبير لابن عَصَاة أتستحل قتالى فى هذا الحرم قال نعم إن أنت لم تجب الى طاعة أمير المؤمنين قال ابن الزبير وتستحل قتل هذه الحمامة وأشار الى حمامة من حمام المسجد فأخذ بن عَصَاة قوسه وفوق فيها سهما فبواه نحو الحمامة ثم قال يا حمامة أتعصين أمير المؤمنين والتفت الى ابن الزبير وقال أما أنها لو قالت نعم لقتلتها وإن ابن الزبير خلا بالنعمان بن بشير فقال أنشدك الله أنا أفضل عندك أم يزيد

فقال بل أنت فقال فوالدي خير أم والده قال بل والدك قال فأمر خير أم أمه قال بل أمك قال فخالتني خير أم خالته قال بل خالتك قال فعمتي خير أم عمته قال بل عمتك أبوك الزبير وأمك أسماء ابنة أبي بكر وخالتك عائشة وعمتك خديجة بنت خويلد قال أفتشير علي بمبايعة يزيد قال النعمان أما إذا استشرتني فلا أرى لك ذلك ولست بعائد إليك بعد هذا أبدا . ثم ان القوم انصرفوا الى الشام فأعلموا يزيد أن ابن الزبير لم يجب الى شيء وقال مسلم بن عقبة المرّي ليزيد يا أمير المؤمنين ان ابن الزبير خلا بالنعمان بن بشير فكلّمه بشيء لم ندر ما هو وقد انصرف اليك بغير رأيه الذي خرج من عندك

(خلاص ابن الزبير)

ولما انصرف القوم من عند ابن الزبير جمع ابن الزبير اليه وجوه أهل تهامة والحجاز فدعاهم الى بيعته فبايعوه جميعا وامتنع عليه عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وان ابن الزبير أمر بطرد عمّل يزيد من مكة والمدينة وارتحل مروان من المدينة بولده وأهل بيته حتى لحق بالشام . ولما انتهى الى يزيد بن معاوية مبايعة أهل تهامة والحجاز لعبد الله ابن الزبير ندب له الحصين بن نمير السكوني وحبيش بن دجلة القيني ورواح بن زنباع الجذامي وضم الى كل واحد منهم جيشا واستعمل عليهم جميعا مسلم بن عقبة المرّي وجعله أمير الأمراء وشيّعهم حتى بلغ ماء يقال له وبرة وهي أقرب مياه الشام الى الحجاز فلما ودّعهم قال يا مسلم لا تردن أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوهم واجعل طريقك على المدينة فان حاربوك فحاربهم فان ظفرت بهم فانهبها ثلاثة أيام ثم

أنشأ يقول

أبلغ أبا بكر إذا الخيل انبرى وسارت الخيل الى وادى القرى
اجمع سكران من الحمرة

وذلك ان ابن الزبير كان يسمى يزيد السكران ولما بلغ أهل المدينة فصول
الجيش تأهبوا للحرب فولت قریش عليها عبد الله ابن مطيع العدوى
وولت الانصار عليها عبد الله بن حنظلة الراهب وهو غسيل الملائكة ثم
خرجوا الى الحرّة فعسكروا بها ففى ذلك يقول شاعرهم

ان فى الخندق المكلل بالمجد لضربا يفور بالسنوات
لست منا وليس خالك منا يامضيع الصلاة للشهوات

ووافاهم الجيش فقاتلهم حتى كثرت القتلى وأقبلت طائفة من أهل الشام
فدخلوا المدينة من قبل بنى حارثة وهم الذين قالوا ان بيوتنا عورة فلم يشعر
القوم وهم يقاتلون من يليهم الا وأهل الشام يضربونهم من أدبارهم فقتل
عبد الله بن حنظلة أمير الانصار وقتل عمرو بن حزم الانصارى قاضى
المدينة واستباح أهل الشام المدينة ثلاثة أيام بلياليها فلما كان اليوم الرابع
جلس مسلم بن عقبة فدعاهم الى البيعة فكان أول من أتاه يزيد بن عبد
الله بن ربيعة بن الاسود وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له مسلم بايعنى قال أباعك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال
مسلم بل بايع على انكم فى لامير المؤمنين يفعل فى أموالكم وذرائعكم
ما يشاء فأبى أن يبايع على ذلك فأمر به فضربت عنقه . ثم تقدم محمد بن أبى

الجهم بن حذيفة العدويّ فقال له مسلم أنت الذي وفدت على أمير المؤمنين
يزيد فأكرمك وحباك فرجعت الى المدينة تشهد عليه بشرب الخمر والله لا
لا تشهد بشهادة زور أبدا اضربوا عنقه فضربت عنقه . ثم تقدم معقل بن
سنان الأشجعيّ وكان حليفا لبني هاشم فقال له مسلم أتذكر يوما مررت بي
بطبرية فقلت لك من أين أقبلت فقلت سرنا شهرا وانضينا ظهرا ورجعنا
صفرا وسنأتى المدينة فنخلع الفاسق يزيد بن معاوية ونباع رجلا من أولاد
المهاجرين فاعلم انى كنت آليت ذلك اليوم ألا أقدر عليك فى موطن يمكننى
فيه قتلك الا قتلتك وقد أمكننى الله منك يا أحمق ما أشجع والخلافة فتعزل
وتولى اضربوا عنقه فضربت عنقه . ثم تقدم عمرو بن عثمان فقال له أنت
الخبيث بن الطيب الذى اذا ظهر أهل الشام قلت أنا ابن عثمان بن عفان
واذا ظهر أهل الحجاز قلت أنا واحد منكم وأنت فى ذلك تبغى أمير المؤمنين
الغوائل انتفوه فتفت لحيته حتى ماتركت فيها شعرة فقام اليه عبد الملك بن
مروان فاستوهبه فوهبه له . ثم أتاه على بن الحسين بن على بن أبى طالب
فأجلسه معه على ثيابه وفرشه وقال ان أمير المؤمنين قد وصانى بك فقال على
انى كنت لما فعل أهل المدينة كارها قال أجل ثم حملة على بغلة وصرفه الى
منزله . وبعث الى على بن عبد الله بن عباس ليؤتى به للبيعة فأخرج من
منزله فاقبلوا به فلقية الحصين بن نمير فانتزعه من يد الجلاوزة وكان الحصين
من اخوان على بن عبد الله فقال مسلم انى انما بعثت اليه للبيعة فأثنى به فأرسل
اليه الحصين فجاء حتى بايع . وأرسلت بنت الأشعث بن قيس وكانت امرأة

الحسين بن عليّ الى مسلم بن عقبة تعلمه أن منزلها انشعب فأمر ببرد جميع ما أخذ لها . ثم شخص بالجيش الى مكة وكتب الى يزيد بما صنع بالمدينة فتمثل يزيد

ليت أشياخي بيدر شهيدوا جزع الخزر ج من وقع الأسل
حين حكّت بقاء بر كها واستحرّ القتل في عبد الأسل

فلما بلغ ابن عقبة هرشا اعتلّ واشتدت علته ونزل به الموت فقال أسندوني فأسند وقال ان أمير المؤمنين أمرني إن حدث بي في وجهي هذا حدث أن أستخلف الحصين بن نمير على الجيش ولو كان الأمر الى ما استخلفته لأن من شأن اليمانية الرقة غير اني لأعصى أمير المؤمنين . ثم قال يا حصين اذا وافيت مكة فناجز ابن الزبير الحرب من يومك ولا تردّ أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوهم ولا تجعل أذنك وعاء لقريش فيخدعوك ثم مات وكانت به الذبحة فتولى أمر الجيش الحصين بن نمير فسار حتى وافى مكة وتحصن منه ابن الزبير في المسجد الحرام في جميع من كان معه ونصب الحصين المجانيق على جبل أبي قبيس وكانوا يرمون أهل المسجد فيناهم كذلك اذ ورد على الحصين بن نمير موت يزيد بن معاوية فأرسل الى عبد الله بن الزبير ان الذي وجهنا لمحاربتك قد هلك فهل لك في المودة وتفتح لنا الأبواب فنطوف بالبيت ويختلط الناس بعضهم ببعض فقبل ذلك ابن الزبير وأمر بأبواب المسجد ففتحت فجعل الحصين وأصحابه يطوفون بالبيت فينا الحصين يطوف بعد العشاء اذ استقبله ابن الزبير فأخذ الحصين

بيده فقال له سرا هل لك في الخروج معي الى الشام فأدعو الناس الى بيعتك
فان أمرهم قد مرج ولا أرى أحدا أحق بها اليوم منك واست أعصى هناك
فاجتذب عبد الله بن الزبير يده من يده وقال وهو يجهر بقوله دون أن أقتل
بكل رجل من أهل الحجاز عشرة من أهل الشام فقال الحصين لقد كذب
من زعم انك من دهاة العرب أكلمك سرا وتكلمني علانية وأدعوك الى
الخلافة وتدعوني الى الحرب ثم انصرف في أصحابه الى الشام وورّ بالمدينة
فبلغه انهم على محاربه ثانيا فجمع اليه أهلها وقال ما هذا الذي بلغني عنكم
فاعتذروا اليه وقالوا ما همنا بذلك . وذكر أبو هارون العبدى قال رأيت
أبا سعيد الخدرى بالمدينة ولحيته بيضاء وقد خف جانبها وبقي وسطها فقلت
يا أبا سعيد ما حال لحيتك فقال هذا فعل ظلمة أهل الشام يوم الحرّة دخلوا على
ييتى فاتهبوا ما فيه حتى أخذوا قدحى الذى كنت أشرب فيه الماء ثم خرجوا
ودخل على بعدهم عشرة نفر وأنا قائم أصلى فطلبوا البيت فلم يجدوا فيه شيئا
فأسفوا لذلك فاحتملوني من مصلاى وضربوا بى للأرض وأقبل كل رجل
منهم على ما يليه من لحيتى ففتفه فما ترى منها خفيها فهو موضع التف وما
تراه عافيا فهو ما وقع فى التراب فلم يصلوا اليها وسأدعها كما ترى حتى
أوفى بها ربى .

(أمر الخوارج)

قلوا وفى سنة ثمانين تفاقم أمر الازارقة الخوارج وانما سموا ازارقة برئيسهم
نافع بن الازرق وكان أول خروجهم فى أربعين رجلا وفيهم من عظمائهم

نافع بن الأزرق وعطية بن الأسود وعبد الله بن صبار وعبد الله بن أباض
وحنظلة بن يهس وعبيد الله بن ماحوز وذلك في سلطان يزيد وعلى البصرة
يومئذ عبيد الله بن زياد فوجه اليهم عبيد الله أسلم بن ربيعة في ألفي فارس
فلحقهم بقرية من الاهواز تدعى آسك مما يلي فارس فواقهم فقتلت الخوارج
من أصحاب ابن ربيعة خمسين رجلا فانهزم أسلم فأنشأ رجل من الخوارج يقول

أَلَفَّا مَوْءِنَ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَهْزُمُكُمْ بَاسُكَ أَرْبَعُونَ
كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَلِكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنْ الْخَوَارِجُ مَوْءِنُونَ
هُمْ الْفِتْنَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِتْنَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَ
أَطَعْتُمْ أَمْرَ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَمَا مِنْ طَاعَةٍ لِلظَّالِمِينَ

فاغتاظ ابن زياد من ذلك فكان لا يدع بالبصرة أحدا ممن يتهم برأى
الخوارج الا قتله حتى قتل بالهمة والظنة تسعمائة رجل . ولم يزل يتفاقم أمر
الخوارج ويتحلب اليهم من كان على رأيهم وهوأهم من أهل البصرة حتى
كثروا بعد موت يزيد وهرب عبيد الله بن زياد عن العراق وخاف أهل
البصرة الخوارج على أنفسهم ولم يكن يومئذ عليهم سلطان فاجتمعوا على
مسلم بن عبيس القرشي ووجهوا معه خمسة آلاف فارس من أبطال البصرة
فسار اليهم فلحقهم بمكان يسمى الدُّوْلَاب فالتقوا واقتلوا وصبر بعضهم لبعض
حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف وصاروا الى المكادمة فقتل مسلم
ابن عبيس وانهزم أصحابه فقال رجل من الازد

قَدْ زَمَيْنَا الْعَدُوَّ إِذْ عَظُمَ الْخَطْبُ بِذِي الْجُودِ مُسْلِمُ بْنُ عَيْسٍ

فَانْظَرُوا غَيْرَ مُسْلِمٍ بِنِ عَيْسٍ قَاطِبُوهُ مِنْ حَيْثُ أَيْنَ وَلَيْسَ
 لَوْ رُمُوا بِالْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ كَانُوا لَهُ كَاكَلَةَ حَيْسٍ
 وَكَانَ الْمُهَلَّبُ يَوْمَئِذٍ بِخِرَاسَانَ عَلَى وَلَايَتِهَا فَخَافَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ حِينَ قَتَلَ مُسْلِمٌ
 ابْنَ عَيْسٍ خَوْفًا شَدِيدًا مِنَ الْخَوَارِجِ فَاخْتَارُوا عُثْمَانَ ابْنَ مَعْمَرٍ الْقُرَشِيَّ
 وَاتَّعَدَ مَعَهُ زُهَاءُ عَشْرَةَ آلَافٍ رَجُلٍ مِنْ أَبْطَالِهِمْ فَسَارَ بِهِمْ عُثْمَانُ فِي طَلَبِ
 الْخَوَارِجِ فَلَحِقَهُمْ بِفَارِسٍ فَاقْتَتَلُوا فَقَتَلَ عُثْمَانُ وَأَنْهَزَ أَصْحَابَهُ فَكَتَبَ أَهْلُ
 الْبَصْرَةِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَعْلَمُونَهُ أَنْ لَا إِمَامَ لَهُمْ وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يُوَجِّهَ إِلَيْهِمْ
 رَجُلًا مِنْ قَبْلِهِ يَتَوَلَّى الْأَمْرَ فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ
 الْحِزْرِيَّ فَقَدِمَ الْبَصْرَةَ وَتَوَلَّى الْأَمْرَ بِهَا فِدْعَا وَجْهَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَاسْتَشَارَهُمْ
 فِي رَجُلٍ يُوَلِّيهِ حَرْبَ الْخَوَارِجِ فَكَلَّمَهُمْ قَالُوا عَلَيْكَ بِالْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَقَامَ
 إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَعْرِفُ بَابَ عَرَّادَةَ فَأَنشَدَهُ

مَضَى ابْنُ عَيْسٍ مُسْلِمٌ لِسَبِيلِهِ	فَقَامَ لَهَا الشَّيْخُ الْحِجَازِيُّ عُثْمَانُ
فَارْعَدَ مِنْ قَبْلِ الْلِقَاءِ ابْنُ مَعْمَرٍ	وَأَبْرَقَ وَالْبَرْقُ الْحِجَازِيُّ خَوْآنُ
وَلَمْ يُنْكِرْ عُثْمَانُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ	وَأَضْحَى عَدُوَّ الدِّينِ مِثْلَ الَّذِي كَانُوا
وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْمُهَلَّبُ إِنَّهُ	مَلَى بِأَمْرِ الْحَرْبِ شَيْخٌ لَهُ شَانُ
إِذَا قِيلَ مِنْ يَحْمِي الْعِرَاقِينَ أَوَمَاتَ	إِلَيْهِ مَعْدٌ بِالْأَكْفِ وَقَحْطَانُ
فَذَاكَ أَمْرٌ أَنْ يَلْقَهُمْ يُطْفِئُ نَارَهُمْ	وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْمُهَلَّبُ إِنْسَانُ

(حَرْبُ الْمُهَلَّبِ مَعَ الْخَوَارِجِ)

فَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ لِلْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَيُّهَا الْإِمِيرُ اكْتُبْ إِلَى

أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وسله أن يكتب الى المهلب بأن يخلف على
 خراسان رجلا ويسير الى الخوارج فيتولّى محاربتهم فكتب فلما انتهى كتابه
 الى عبد الله بن الزبير كتب الى المهلب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
 عبد الله أمير المؤمنين الى المهلب بن أبي صفرة أما بعد فان الحارث بن عبد
 الله كتب الىّ يخبرني أن الازارقة المارقة قد سُعرت نارها وتفاقم أمرها
 فرأيت ان أوليك قتالهم لما رجوت من قيامك فتكفي أهل مصرك شرهم
 وتؤمن روعتهم فخلف بخراسان من يقوم مقامك من أهل بيتك وسر حتى
 توافي البصرة فتستعدّ منها بأفضل عدتك وتخرج اليهم فاني أرجو أن ينصرك
 الله عليهم والسلام . فلما وصل كتابه الى المهلب خلف على خراسان وأقبل
 حتى وافى البصرة فصعد المنبر وكان نزل الكلام وجيزه فقال أيها الناس انه
 قد غشيتكم عدوّ جاهد سيفك دماءكم ويتهب أموالكم فان أعطيتهموني خصالا
 أسألكموها قت لكم بحرهم واستعنت بالله عليهم والا كنت كواحد منكم
 لمن تجتمعون عليه في أمركم قالوا وما الذي تريد قال انتخب منكم أوساطكم
 لا الغنيّ المثقل ولا السبروت الخفّ وعلىّ أن لي ما غلبت عليه من الارض
 والاّ أخالف فيما أدبر من رأيي في حربهم واترك رأيي الذي أراه وتدبيرى
 الذي أدبره فناداه الناس لك ذلك وقد رضينا به فنزل من المنبر وأتى منزله
 وأمر بديوان الجند فأحضر فانتخب من أبطال أهل البصرة عشرين ألف
 رجل فيهم من الازد ثمانية آلاف رجل وبقيتهم من سائر العرب وولى ابنه
 المغيرة مقدّمته في ثلاثة آلاف رجل وسار حتى أتى الخوارج وهم بنهر تُستر

فواقعهم فهزمهم حتى بلغوا الاهواز فقال زياد الاعجم في ذلك

جزى الله خيراً والجزاء بكفه
ولما رأينا الأمر قد جدَّ جدُّه
دعونا أبا غسان فاستكَّ سمعه
وكان ابن منجوفٍ لكلِّ عزيمةٍ
فلما رأينا القومَ قد كلَّ حدَّهم
وأقام المهلب بالجسر بعد أن هزم الخوارج أربعين يوماً ثم ارتحل سائراً في
آثارهم فبلغ ذلك نافع بن الأزرق فأقام بالاهواز حتى وافاه المهلب فواقعهم
بمكان يسمى بسلى فقاتلهم يوماً إلى الليل وأصابته ضربة في وجهه أغمى عليه
منها فقال الناس قتل الأمير فازدادوا لذلك حنقا وجداً وقتلوا من الخوارج
بشراً كثيراً وقتل رئيسهم نافع بن الأزرق وانهزمت الخوارج نحو فارس
وبلغ أهل البصرة أن المهلب قتل فرج المصمر بأهله وهم أميرهم الحارث بن
أبي ربيعة أن يهرب فكتب إليه رجل من بني يشكر

أيا حارياً بن السادة الصيد هب لنا
فإن كان أودى بالمهلب يومه
وما لك من بعد المهلب عرجة
فدُونك فالحق بالحجاز ولا تقم
وان كان حياً كنت بالمصر آمناً
ومالك لا ترحل ولم يأتك الخبر
فقد كسفت في أرضنا الشمس والقمر
وما لك بالمصريين سمع ولا بصر
يبلدنا إن المقام بها خطر
وكان بقاء المرء فينا هو الظفر

وقال رجل من بني سعد

الا كل ما يأتي من الأمر هين
فان يك قد أودى فما نحن بعده
نعوذ بمن أرسى ثبيراً مكانه
من الخبر الملقى عن الحور خدرها
علينا يسير عند فقد المهلب
بأمنع من شاء عجاف لا ذؤوب
ومرسى حراء والقديد وكبكب
ويشجى به ما بين بصرى ويثرب
فأقبل البشير الى أهل البصرة بسلامة المهلب فاستبشروا بذلك واطمأنوا اليه
وأقام أميرها بعد ان هم بالهرب فقال رجل من بني ضبة

ان ربنا أنجى المهلب ذا الطو
لا يزال المهلب بن أبي صفرة ما عاش بالعراق أميراً
فاذا مات فالرجال نساء ما يساوى من بعده قطميرا
قد آمننا بك العدو على المصير ووقرت منبراً وسريراً

وقال رجل من الخوارج في قتل نافع بن الأزرق

شمت المهلب والحوادث جمّة
ان مات غير مداهن في دينه
والموت أمر لا محالة واقع
فتن منينا بالمهلب انه

ولعلّه يشجى بنا ولعلنا
بالسمر تختطف النفوس ذوابلاً
وبكل أبيض صارم ذي رونق
فيذيقنا في حربنا ونذيقه

وبلغ عبد الله بن الزبير ما كان من عزم عامله بالبصرة على الهرب فعزله

وولى أخاه مصعباً فصار مصعب حتى قدمها وتولى أمر جميع العراقيين وفارس
 والأهواز . ولما قتل نافع بن الأزرق اجتمعت الخوارج فولوا على أنفسهم
 عبد الله بن ماحوز وكان من نساكهم وبلغ ذلك المهلب فصار من الأهواز
 في طلبهم حتى وافاهم بمدينة سابور من أرض فارس فالتقوا فاقتتلوا وانهزمت
 الخوارج في آخر النهار حتى انتهوا إلى مكان يدعى كركان واتبعهم المهلب
 فوافاهم فالتقوا به في يوم شديد المطر فقاتلهم فهزمهم فأخذوا نحو كرمان
 فلم يزل المهلب يسير في طلبهم من بلد إلى بلد ويواقعهم وقعةً بعد وقعة
 طول ما ملك عبد الله بن الزبير إلى مقتله وخلوص الأمر لعبد الملك بن
 مروان فلما استدف الأمر لعبد الملك وولى الحجاج العراقيين استبطأ المهلب
 في استئصال الخوارج وظن أنه يهوى مطاوتهم فبعث إليه عبد الأعلى
 ابن عبد الله العامري وعبد الرحمن بن سبرة وقال لهما احملاه على مناجزة
 القوم وترك مطاوتهم فقدمما عليه فأخبراه بما بعثا له فقال لهما أقيما حتى تعالينا
 ما نحن فيه فإن الحجاج أنه السماع فقبله وأتاه العيان فردّه وقد حملني
 على خلاف الرأي وزعم أنه الشاهد وأنا الغائب . ثم سار نحو الخوارج
 فلحقهم بأداني أرض كرمان فواقعهم وأمامه ابنه المفضل فقتل رئيس الخوارج
 عبد الله بن ماحوز وانهزموا حتى توسطوا أرض كرمان وولوا على أنفسهم
 رجلاً من نساكهم يسمى قطري بن الفجاءة . ثم إن المهلب انصرف إلى
 بلد سابور فوافاهم يوم النحر فخرج بالناس إلى المصلى فبينا هو يخطب الناس
 على المنبر وقد صلى بهم إذ أقبلت الخوارج فقال سبحانه الله أفى مثل هذا

اليوم يأتوننا ما أبغض إلى المحاربة فيه ولكن الله تعالى يقول (الشهر الحرام
بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) ثم نزل
عن المنبر ونادى في أصحابه فركبوا واستاثموا واستقبلوا الخوارج فحملت
عليهم الخوارج وامامهم عظيم منهم يسمى عمرو والقنا وكان من فرسانهم
وهو يرتجز .

نحن صبحناكم غداة النحر بانخيل أمثال الوشيح تسرى
يقدمها عمرو والقنا في الفجر إلى أناس لهجوا بالكفر

اليوم أقضى في العدو نذرى

ثم اقتتلوا وصبر بعضهم لبعض وكثرت بينهم القتل فلم يزل فريق منهما على
مكانه حتى حال بينهم الليل وانحازت الخوارج إلى كازرون وسار اليهم المهلب
فواقعهم بكازرون فأسرع المهلب في الخوارج فرقوا في تلك الوقعة وصاروا
سيارة وخرجوا إلى تخوم اصطخر واتبعهم المهلب فتواقف الفريقان وحمل
بعضهم إلى بعض وأمّام الخوارج رجل يرتجز

حتى متى يتبعنا المهلب ليس لنا في الأرض منه مهرب

ولا السماء أين أين المذهب

فلما سمع قطري ذلك بكى ووطن نفسه على الموت وباشتر الحرب بنفسه
وهو يرتجز

حتى متى تخطئني الشهادة والموت في أعناقنا قلادة

ليس الفرار في الوغى بعاده يارب زدني في التقى عباده

وفي الحياة بعدها زهاده

فماقتلوا يومهم حتى حال بينهم الليل ومضى قطرى في أصحابه نحو جيزفت
وهم بالهرب الى كرمان فقال رجل من أصحابه

أيا قطرى الخيران كنت هاربا ستلبسنا عارا وأنت مهاجر
إذا قيل قد جاء المهلب أسلمت له شفتاك الفم والقلب طائر
فحتى متى هذا الفرار مخافة وأنت وليّ والمهلب كافر

ولما رأت الخوارج نكول قطرى عن الحرب وما هم به من الفرار خلعوه
عنهم وولوا عبد ربه وكان من نساكم فسار بهم الى قومس فأقام بها .
وان الحجاج كتب الى المهلب . أما بعد فقد طاولت القوم وطاولوك حتى
ضروا بك ومرونا على حربك ولعمري لو لم تطاولهم لانهسم الداء وانفصم
القرن وما أنت والقوم سواء ان خلفك رجالا وأموالا والقوم لارجال لهم ولا
أموال ولن يدرك الوجيف بالديب ولا الجد بالتعذير وقد بعثت اليك عبيد
ابن موهب ليأخذك بمناجزة القوم وترك مطاولتهم والسلام . فلما قدم عبيد
ابن موهب على المهلب بكتاب الحجاج كتب اليه في جوابه . أما بعد فانه أتاني
من قبلك رجلان لم أعطهما على الصدق ثمننا ولم أحتج مع العيان الى التعذير
ولم يكذبا فيما أنباك به من أمرى وأمر عدوى والحرب لا يدركها الا المكث
ولا بد لها من فرجة يستريح فيها الغالب ويحتال فيها المغلوب فاما ان أنساهم
وينسونى فبهيات من ذلك والقوم سداً فان طمعوا أقاموا وان يتسوا هربوا
فعلى في مقامهم القتال والحرب وفي هربهم الجد والطلب وأنا اذا طاولتهم

شركتهم في رأيهم واذا عاجلهم شركوني في رأيي فان خليتني ورأيي فذاك
 داء محسوم وقرن مفصوم وان عجلتني لم أطعك ولم أعصك وكان وجهي
 اليك باذن منك وانا أعوذ بالله من سخط الامراء ومقت الائمة والسلام . فلما
 قرأ الحجاج كتابه كتب الى المهلب اني قد رددت الرأي اليك فدبر ما ترى
 واعمل بما تريد . فلما اتاه كتاب الحجاج بذلك نشط لطلب الخوارج وسار في
 طلبهم الى أرض قومس فهربوا منه فأتوا جبرفت وتحصنوا في مدينة هناك
 فخرج خلفهم وحاصرهم في تلك المدينة حتى أكلوا خيلهم وأمر المهلب ابنه
 يزيد أن يقيم عليهم أياماً ثم يخلى لهم عن الباب فاذا خرجوا وأصحروا اتبعهم
 وتنحى المهلب فعسكر على خمسة فراسخ وأقام عليهم يزيد أياماً ثم خلى لهم
 عن الباب فخرجوا واتبعهم المهلب فسار في طلبهم يومين حتى لحقهم فوقفوا له
 فاقتلوا يوماً كله ثم غدوا في اليوم الثاني على الحرب فناداهم عبد ربه يا معشر
 المهاجرين رَوْحُوا بنا الى الجنة فان القوم رَأَحُوا الى النار فاطعنوا بالرماح حتى
 تكسرت واضطربوا بالسيوف حتى تقطعت ثم صاروا الى المعانقة فترجل
 المهلب في حماته وحمل عليهم وهو يتلوا قول الله عز وجل (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا
 تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) فلم يزالوا يقتتلون حتى حال بينهم الليل ثم
 غدوا على الحرب وقد كسرت الخوارج جفون سيوفهم وحلقوا رؤوسهم فاقتلوا
 فقتل عبد ربه وجميع أبطاله ولم يبق الا ضعفاؤهم فدخلوا في عسكر المهلب
 وانضم كل رجل الى عشيرته من أصحاب المهلب فنزل المهلب عن فرسه
 وقال الحمد لله الذي ردنا الى الامن وكفانا مؤونة الحرب وكفى أمر هذا

العدو ووجه بشر بن مالك الحرسى الى الحجاج يبشره بالفتح وكتب معه
كتاب الظفر فلما وصل الكتاب الى الحجاج وجه به الى عبد الملك وقام
بشر بن مالك فأنشأ يقول

قد حسمنا داء الازارقة الدهر فاضحوا طرا كآل نمود
بطمان الحكمة فى ثغر القرم وضرب يشيب رأس الوليد
كلما شئت راعنى قطرى فوق عبل الشوى أقب عتود
معلما يضرب الكتية بالسيف وعمره كالنار ذات الوقود

(قدوم المهلب على الحجاج)

وكتب الحجاج الى المهلب يأمره بالتقدم عليه فصار حتى قدم على
الحجاج فاستقبله الحجاج وأظهر برّه واكرامه وأمر له بالجوائز والصلوات وأمر
لولده وكانوا سبعة المغيرة وحبيب ويزيد والمفضل ومدرّك ومحمد وعبد الملك
وعبد الله وأكرم أصحاب المهلب

(مطاردة قطرى وقتله)

ولحق قطرى بالرى فوجه الحجاج سفيان بن الأبرد حتى أتى الرى
وعليها اسحاق بن محمد بن الأشعث فركب معه فى مائة فارس من جنده
وسارا حتى لحقاه وهو فى مائة فارس بتخوم طبرستان فنزل عن دابته ونام
متوسدا يده ثم استيقظ وقال لعاج من أهله اتفنى بشربة من ماء فأثام بالماء
ولحقه القوم فقتلوه قبل أن يشرب ذلك الماء واحتز رأسه وأخذته سفيان بن
الأبرد وانصرف الى الحجاج فرمى بالرأس بين يديه فوجه الحجاج بالرأس

الى عبد الملك .

(ولاية المهلب خراسان ثم ابنه يزيد)

وأقام المهلب بعد انصرافه بالبصرة في منزله حتى وافاه عهده من عند عبد الملك على خراسان فسار اليها فمكث عليها خمس سنين ثم مات فجعل عبد الملك أمر خراسان الى الحمجاج فأقر الحمجاج عليها يزيد بن المهلب وكان يزيد أجمل ولد المهلب جمالا وأكلمهم عقلا وأفضلهم رأيا وأدربهم لسانا وكان المهلب استخلفه عليها عند وفاته فمكث عليها أعواما

(ولاية قتيبة بن مسلم خراسان)

ثم عزله الحمجاج واستعمل عليها قتيبة بن مسلم فافتتح قتيبة كل ما وراء النهر ولم يزل هنالك الى ان هاج به أصحابه فقتلوه وأفضى الملك بعد ذلك الى الوليد بن عبد الملك ثم الى سليمان بن عبد الملك

(ولاية خالد القسري العراق)

فولى سليمان على العراق خالد بن عبد الله القسري فولى خالد أخاه أسد ابن عبد الله خراسان فلم يزل بها حتى ظهر فيها دعاة الامام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

(الاضطراب في العراق بموت يزيد بن معاوية)

قالوا ومات يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد بالبصرة فكتب اليه

الحارث ابن عباد بن زياد بهذه الايات

ألا يا عبيد الله قد مات من به ملكت رقاب العالمين يزيد

أَتَثَبْتُ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ وَتَرْتَهُمْ وَذَلِكَ مِنَ الرَّأْيِ الزَّنِيقِ بَعِيدُ
وَمَالِكَ غَيْرُ الْأَزْدِ جَارَ فَاتِهِمْ أَجَارُوا أَبَاكَ وَالْبِلَادَ تَمِيدُ

فَتَعَجَّبَ عبيد الله من رأى ابن أخيه وكان ذا رأى ثم ان عبيد الله دعا بمولى له يسمى مهران وكان يُعَدَّلُ في الدهاء والادب والعقل بوردان غلام عمرو ابن العاص وهو الذى يُنسب اليه البراذين المهرانية فقال يا مهران ان أمير المؤمنين يزيد قد هلك فما رأى عندك فقال مهران أيها الأمير ان الناس ان ملكوا أنفسهم لم يولوا عليهم أحدا من ولد زياد وانما ملككم الناس بمعاوية ثم يزيد وقد هلكا وانك قد وترت الناس ولست آمن ان يشبوا بك والرأى لك أن تستجير هذا الحى من الأزد فاتهم ان أجاروك منعوك حتى يبلغوا بك مأمنك والرأى أن تبعث الى الحرث بن قيس فانه سيد القوم وهو لك محب ولك عنده يد فتخبره بموت يزيد وتسأله أن يجيرك فقال عبيد الله أصبت الرأى يا مهران . ثم بعث من ساعته الى الحرث بن قيس فأثابه فأخبره بموت يزيد واستشاره فقال المستشار موثمن فان أردت المقام منعناك معاشر الأزد وان أردت الاستخفاء اشتملنا عليك حتى يسكن عنك الطلب ويخفى على الناس موضعك ثم توجه معك من يبلغك مأمنك فقال عبيد الله هذا أريد فقال له الحرث فأنا أقيم عندك الى أن تُمسي ويختلط الظلام ثم أنطلق بك الى الحى فأقام الحرث عند عبيد الله فلما أمسى واختلط الظلام أمر عبيد الله أن توقد السرج في منزله ليلته كلها ليظن من يطلبه أنه في منزله . ثم قام فلبس ثيابه واعتم بعمامته وتلثم فقال له الحرث التلثم بالنهار ذل وبالليل زينة فاحسر

عن وجهك وسر خلفي فان المقدّم وقاية للمؤخر فسار فقال للحرث تخلّل بنا فذاك أبى وأمى الطرق ولا تأخذ بنا طريقا واحدا فاني لا آمن أن يُطلب أثري فقال الحرث لا بأس عليك ان شاء الله فاطمئن ثم سار هويّا فقال للحرث أين نحن قال في بنى سليم قال سلمنا ان شاء الله ثم سارا جميعا ساعة فقال أين نحن قال الحرث في بنى ناجية قال نجونا ان شاء الله ثم سارا حتى انتهيا الى الأزد واقحم الحارث بعبيد الله دار مسعود بن عمرو وكان رئيس الأزد كلها بعد المهلب بن أبي صفرة وكان المهلب في هذا الوقت بخراسان بعد فقال الحرث لمسعود يا ابن عم هذا عبيد الله بن زياد قد آجرته عليك وعلى قومك قال مسعود أهلكت قومك يا ابن قيس وعرضتنا لحرب جميع أهل البصرة وقد كنا آجرنا أباه من قبله فما كانت عنده مكافأة وكان سبب اجارتهم زيادا أن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه في خلافته ولى زيادا البصرة عند خروجه الى صفين وانما كان يعرف بزياد بن عبيدفوجه معاوية الى البصرة عامر بن الحضرمي في جمع فغلب على البصرة وهرب منه زياد فلجأ الى الأزد فأجاروه ومنعوه حتى ثاب الناس الى زياد واجتمعوا فطرد عامر بن الحضرمي عن البصرة وأقام على عمله فيها . ثم ان مسعود بن عمرو أدخل عبيد الله دار نسائه وأفرده في بيت من بيوته ووكل به امرأتين من خدمه وجمع اليه قومه فأعلمهم ذلك . ولما أصبح الناس واستحق عندهم الخبر أتوا داره فاقتحموها ليقتلوه فلم يصادفوا فيها أحدا فانطلقوا الى الحبس فكسروه وأخرجوا من كان فيه وبقي أهل البصرة تسعة أيام بغير وال فاتفقوا على

عبيد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبيد المطلب بن هاشم فولوه
أمرهم لصلاحه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتولى الأمر وقام
بالتدبير . ولما أتى على عبيد الله أيام وأمن الطلب قال لسعود بن عمرو والحرث
ابن قيس ان الناس قد سكنوا ويتسوا مني فاعملوا في اخراجي من البصرة
لألحق الشام فاكثريا له رجلا من بني يشكر أمينا هاديا بالطريق وحمله
على نقعة مهربية وقالا ليشكري عليك به لا تفارقه حتى توصله اليه آمنه بالشام
فخرج وخرجا معه مشيعين له في نفر من قومها ثلاثة أيام ثم ودعاه وانصرفا
قال اليشكري فيدنا نحن نسير ذات ليلة اذ استقبلنا عير وحاديحدو فيهاو يقول

ياربَّ ربِّ الارض والعباد العنَّ زيادا وبني زياد
كم قتلوا من مسلم عباد جمَّ الصلاة خاشع الفؤاد
يكابد الليل من الشهاد

فلما سمع عبيد الله ذلك فزع وقال عُرف مكاني فقلت لا تخف فليس كل
من ذكرك يعلم موضعك ثم سرنا فأطرق طويلا وهو على ناقته فظننت أنه نائم
فناديته يا نومان فقال ما أنا بنائم ولكني مفكر في أمر قلت اني لأعلم الذي
كنت مفكرا فيه فقال هاته إذن قلت ندمت على قتلك الحسين بن علي
وفكرت في بنائك القصر الأبيض بالبصرة وما أنفقت عليه من الاموال ثم
لم يقض لك التمتع به وندمت على ما كان من قتلك الخوارج من أهل
البصرة بالظلمة والتوهم قال عبيد الله ما أصبت يا أخا بني يشكر شيئا مما كنت
بمفكرا فيه أما قتلى الحسين فإنه خرج على امام وأمة مجتمعة وكتب إلي الامام

يأمرني بقتله فإن كان ذلك خطأً كان لازماً ليزيد وأما بنائى القصر الأبيض
فما فكرت في قصر بنيت له للامام بأمره وماله وأما قتلى من قتلت من الخوارج
فقد قتلهم قبلى من هو خير منى على بن أبى طالب رضى الله عنه غير أنى
فكرت في بنى أبى وأولادهم فندمت على تركى اخراجهم من البصرة قبل
وقوع ما وقع وفكرت في بيوت الاموال بالكوفة والبصرة ألا كون فرقها
وبددها في الناس عند ما ورد على من وفاة الخليفة فكنت أكتسب بذلك
حمدا في الناس وذكر اقلت فما تريد أن تصنع الآن قل ان وافيت دمشق
وقد اجتمع الناس على امام دخلت فيما دخلوا فيه وان لم يكونوا اجتمعوا على
أحد كانوا غنا قلبتها كيف شئت

(خلافة مروان)

قال فسرنا حتى دخلنا دمشق والناس مختلفون لم يملكوا عليهم أحدا
وقد كان مروان بن الحكم هم باللاحق بعبد الله بن الزبير ليبياعه ويكون معه
فدخل عبيد الله وعنه في ذلك وقال أنت سيد قومك وأحق الناس بهذا
الأمر فمد يده إليك أبايعك فقال له مروان وما تبلغ بيعتك وحدك أخرج الى
الناس وناظرهم في ذلك فخرج من عنده ولقى جماعة بنى أمية فعتفهم في ذلك
وفي تخاذلهم وحملهم على بيعة مروان فاجتمعوا فبايعوه وتزوج مروان أم خالد
بنت هاشم بن عتبة التي كانت امرأة يزيد بن معاوية فلما تم الملك مروان بن
الحكم تسعة أشهر قتله امرأته أم خالد وذلك ان مروان نظر يوما الى ابنها
خالد بن يزيد بن معاوية وهو غلام من أبناء سبع سنين يمشى مشية أنكرها

فقال له ما هذه المشية يا ابن الرطبة فشكى الغلام ذلك الى أمه فقالت له انه لا يقول بعد هذا فسقته السم

(خلافة عبد الملك)

فلما أحس بالموت جمع بنى أمية وأشرف أهل الشام فبايع لابنه عبد الملك وامتنع عمرو بن سعيد من البيعة ومات مروان وله ثلاث وستون سنة. ثم ملك عبد الملك بن مروان سنة ست وستين فخرج عمرو بن سعيد بن العاص عليه فصار أهل الشام فرقتين فرقة مع عبد الملك وفرقة مع عمرو بن سعيد فدخلت بنو أمية وأشرف أهل الشام بينهما حتى اصطاحا على أن يكونا مشتركين في الملك وأن يكون مع كل عامل لعبد الملك شريك لعمرو ابن سعيد وعلى أن اسم الخلافة لعبد الملك فإن مات عبد الملك فالخليفة من بعده عمرو بن سعيد وكتب فيما بينهما بذلك كتابا وأشهدا عليه أشرف أهل الشام. وكان رَوْح بن زنباع من أخص الناس بعبد الملك بن مروان فقال له وقد خلا به يوما يأمر المؤمنين هل من رأيك الوفاء لعمرو فقال ويحك يا ابن زنباع وهل اجتمع فخلان في هجمة قط الاقتل أحدهما صاحبه وكان عمرو ابن سعيد رجلا معجبا بنفسه متهاونا في أمره مغترا بأعدائه. ثم ان عمرا دخل على عبد الملك يوما وقد استعدّ عبد الملك للغدر به فأمر به فأخذ فأضجع وذبح ذبحا ولف في بساط وأحس أصحاب عمرو بذلك وهم بالباب فتنادوا فأخذ عبد الملك خمس مائة صرة قدهيئت وجعل في كل صرة الفا درهم فأمر بها فأصعدت الى أعلى القصر فألقيت الى أصحاب عمرو بن سعيد مع

رأس عمرو وفترك أصحابه الرأس ملقى وأخذوا المال وتفرقوا . فلما أصبح عبد الملك أخذ من أصحاب عمرو ومواليه خمسين رجلا فضرب أعناقهم وهرب الباقيون فلحقوا بعبد الله بن الزبير وفي ذلك يقول قائلهم

غدرتم بعمر ويال مروان ضلة ومثلكم يبني البيوت على الغدر
فرحنا وراح الشامتون بقتله كأن على أكتافنا فلق الصخر
وما كان عمر وعاجزا غير انه أتته المنايا بغتة وهو لا يدري
كأن بنى مروان اذ يقتلونه بغاث من الطير اجتمعن على صقر

قالوا ولما خرج عبيد الله من البصرة شاع بها أن عبيد الله كان عند الازد فاقبل رجل من الخوارج ليلا فجلس لمسعود بن عمرو فلما خرج لصلاة الفجر وثب عليه بسكين فقتله فاجتمعت الازد وقالوا والله ما قتله الا بنو تميم ولنقتلن سيدهم الاحنف بن قيس فقال الاحنف لقومه ان الازد قد اتهموكم في قتل صاحبهم وقد استغنوا بالظن عن اليقين ولا بد من غرم عقيله فجمعوا الف ناقة ووجهوا بها الى الازد وكانت دية الملوكة فرضيت الازد وكفوا . وقوى أمر عبد الله بن الزبير وأعطاه أهل الكوفة الطاعة فولى الكوفة عبد الله بن مطيع الغدوى ووجه أخاه مصعب بن الزبير الى البصرة وأمر عبد الله بن مطيع بمكاتبته ووجه عماله الى اليمن والبحرين وعمان وسائر الحجاز ودانت لابن الزبير البلدان الا الشام ومصر فان مروان بن الحكم كان حماها وانحلت على ابن الزبير الأموال فهدم المكعبة وجدد بناءها وذلك في سنة خمس وستين وألف الحجر الاسود في حرير وجعله في تابوت وختم عليه

واستودعه الحجة مع جميع ما كان معلقا في الكعبة من ذهب وجمهر لما بناها أدخل الحجر في البيت فلما قتل ابن الزبير نقضها الحجاج وأعاد بناءها على ما كان فهي على ذلك الى اليوم .

(دعوة المختار الى محمد بن الحنفية وغلبته على الكوفة)

قالوا وان المختار بن أبي عبيد الثقفي جعل يختلف بالكوفة الى شيعة بني هاشم ويختلفون اليه فيدعوهم الى الخروج معه والطلب بدم الحسين فاستجاب له بشر كثير وكان أكثر من استجاب له همدان وقوم كثير من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة ففرض لهم معاوية وكانوا يسمون الجراء وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين ألف رجل وكان غلى الكوفة يومئذ من قبل عبد الله بن الزبير عبد الله بن مطيع فأرسل ابن مطيع الى المختار ما هذه الجماعات التي تغدوا وتروح اليك فقال المختار مريض يعاد فلم يزل كذلك حتى قال له نصحاءؤه عليك إبراهيم بن الأشتر فاستلمه اليك فانه متى شايئك على أمر ظفرت به وقضيت حاجتك فأرسل المختار الى جماعة من أصحابه فدخلوا عليه وبيده صحيفة مختومة بالرصاص فقال الشعبي وكنت فيمن دخل عليه فرأيت الرصاص أبيض يلوح فظننت انه انما ختم من الليل فقال لنا انطلقوا بنا حتى نأتي إبراهيم بن الأشتر قلل فضينا معه وكنت أناؤيز يد بن أنس الأسدي وأحمر بن سليط وعبد الله بن كامل وأبو عمرة كيسان مولى بجيلة الذي يقول الناس قد جاوره أبو عمرة وكان من بعد ذلك على شرط المختار قال الشعبي فأتينا إبراهيم بن الأشتر وهو جالس في صحن داره فسلمنا

عليه فتناول يد المختار وأجلسه معه على مقبدة كان عليها وتكلم المختار وكان مفوهاً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد أكرمك وأكرم أباك من قبلك بموالاة بني هاشم ونصرتهم ومعرفة فضلهم وملا أوجب الله من حقهم وقد كتب اليك محمد بن علي بن أبي طالب يعني ابن الحنفية هذا الكتاب بحضرة هؤلاء نفر الذين همي فقال القوم جميعاً نشهد ان هذا كتابه رأيناه حين كتبه ثم ناوله ففتحه وقرأه فإذا فيه

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي الى ابراهيم بن الأشتر أما بعد فان المختار ابن أبي عبيد على الطلب بدم الحسين فساعدته في ذلك وآزره يُثَبِّك الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة فلما قرأ ابراهيم بن الأشتر الكتاب قال للمختار سمعاً وطاعة لمحمد بن علي فقل ما بدا لك وادع الى ما شئت فقال المختار أتأتينا أو نأتيك في أمرنا فقال ابراهيم بل أنا آتيتك كل يوم الى منزلك. قال الشعبي فكان ابراهيم بن الأشتر يركب الى المختار في كل يوم في نفر من مواليه وخدمه قال الشعبي ودخلتني وحشة من شهادة النفر الذين كانوا معي على انهم رأوا محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب الى ابراهيم بن الأشتر فأتيتهم في منازلهم رجالاً رجلاً فقلت هل رأيت محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب فكل يقول نعم وما أنكرت من ذلك فقلت في نفسي ان لم أستعلمها من العجمي يعني عمرة لم أطمع فيها من غيره فأتيته في منزله فقلت ما أخوفني من عاقبة أمرنا هذا أن ينصب الناس جميعاً لنا فهل شهدت محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب فقال والله ما شهدت حين كتبه غير أن أبا اسحاق

يعني المختار عندنا ثقة وقد أتانا بعلامات من ابن الحنفية فصدّقناه قال الشعبي
 فعرفتُ عند ذلك كذب المختار وتمويهه فخرجت من الكوفة حتى لحقت
 بالحجاز فلم أشهد من تلك المشاهد شيئا قالوا وكان على شرطة عبد الله بن
 مطيع بالكوفة اياس بن نضار العجليّ وكان طريق ابراهيم بن الأشتر إذا
 ركب الى المختار على باب داره فأرسل الى ابراهيم انه قد كثر اختلافك في
 هذا الطريق فاقصر عن ذلك فأخبر ابراهيم المختار بما أرسل اليه اياس فقال
 له المختار تجنب ذلك الطريق وخذ في غيره ففعل وبلغ اياس ان ابراهيم بن
 الأشتر لا يقلع عن إتيان المختار كل يوم فأرسل اليه ان أمرك يريني فلا
 أرينك راكبا ولا تبرحن منزلك فاضرب عنقك فأخبر ابراهيم المختار
 بذلك واستأذنه في قتله فأذن له وان ابراهيم ركب في جماعة من أهل بيته
 وما يليه وجعل طريقه على مجلس اياس فقال له اياس يا ابن الأشتر ألم أمرك
 ألا تبرح من منزلك فقال له ابراهيم أنت والله ما علمت احق فقال للجلاوزة
 نكسوه فاتنضى ابراهيم سيفه وشدّ على اياس فضربه حتى قتله ثم حمل على
 الجلاوزة فأنحرفوا عنه ومضى ابراهيم وبلغ عبد الله بن مطيع الخبر فأمر
 بطلب ابراهيم ووجه الى منزله وبلغ ذلك المختار فوجه الى ابراهيم بمائة
 فارس فلما وافوه حمل على أصحاب ابن مطيع فانهزموا عنه فأقبل ابراهيم نحو
 دار الامارة ووافاه المختار في سبعة آلاف فارس فتحصن ابن مطيع في القصر
 وبعث الى الحرس والجند فوافاه منهم نحو ثلاثة آلاف رجل فنادى يال
 نارات الحسين فوافاه زهاء عشرة آلاف رجل ممن بايعه على الطلب بدم

الحسين وفي ذلك يقول عبد الله بن همام

وفي ليلة المختار ما يُذهلُ الفتي ويزويه عن وود الشباب شموع
دعا يالَ ثارات الحسين فأقبلت كتائب من همدان بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك يقودُ جموعًا أُرِدفتُ بجموع
ومن أسدٍ وافى يزيد لنصره بكل فتى ماضى الجنان منيع
وخرج ابن مطيع من القصر واجتمع اليه الجنود ونهض اليه المختار في أصحابه
وعلى مقدمته ابن الاشتر فالتقوا واقتتلوا فقتل من أصحاب ابن مطيع بشر
كثير فانهزموا وبادر ابن مطيع الى القصر فتحصن فيه في طائفة من أصحابه
وأقبلت همدان حتى تسلقوا القصر بالجلال من ناحية دار عمار بن عتبة بن
أبي مُعيط فلما رأى عبد الله بن مطيع ضعفه عن القوم سأل الامان على نفسه
ومن معه من أصحابه فأجابه المختار الى ذلك فأمنه فخرج ابن مطيع وأظهر
المختار اكرامه وأمر له من بيت المال بمائة ألف درهم وحفظ فيه قرابته من
عمر بن الخطاب وقال له ارحل اذا شئت ثم ان المختار غلب على الكوفة
ودانت له العراق وسائر البلاد الا الجزيرة والشام ومصر فان عبد الملك قد
كان حماها . ووجه عماله في الآفاق فاستعمل عبد الرحمن بن سعيد بن
قيس الهمداني على الموصل ومحمد بن عثمان التميمي على اذربيجان وعبد الله
بن الحارث أخا الأشتر على الماهين وهمدان ويزيد بن معاوية البجلي على
أصبهان وقم وأعمالها وابن مالك البكر وای على حلوان وماسبذان ويزيد
ابن نجبة الفزاري على الري ودستبي وزحر بن قيس على جوخي . وفرق

سائر البلدان على خاصته وولى الشرطة كيسان أبا عمرة وأمره أن يجمع ألف رجل من الفعلة بالمعاول ويتبع دوراً من خرج إلى قتال الحسين بن عليّ فيهدمها وكان أبو عمرة بذلك عارفاً فجعل يدور بالكوفة على دورهم فيهدم الدار في لحظة فمن خرج إليه منهم قتله حتى هدم دوراً كثيرة وقتل أناساً كثيراً وجعل يطلب ويستقصي فمن ظفر به قتله وجعل ماله وعطاءه لرجل من أبناء الفجهم الذين كانوا معه . ثم إن المختار عقد يزيد بن أنس الأسدي في عشرين ألف رجل وقواهم بالسلاح والعدة وولاه الجزيرة وما غلب عليه من أرض الشام فسار يزيد حتى نزل نصيبين وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فخرج بأهل الشام فوافي نصيبين وقاتل يزيد بن أنس فهزله وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وبلغ المختار ذلك فقال لأبراهيم بن الأشتر أيها الرجل إنما هو أنا وأنت فسر إليهم فوالله انتقتان الفاسق عبيد الله بن زياد ولتقتلن الحصين بن نمير وليهزم من الله بك ذلك الجيش أخبرني بذلك من قرأ الكتب وعرف الملاحم . قال إبراهيم ما أحسبك أيها الأمير بأحرص على قتال أهل الشام ولا أحسن بصيرة في ذلك مني وأنا سائر فانتخب له المختار عشرين ألف رجل وكان جلهم أبناء الفرس الذين كانوا بالكوفة ويسمّون الحمراء وسار نحو الجزيرة ورد من كان انهزم من أصحاب يزيد بن أنس فصار في نحو من ثلاثين ألف رجل

(مقتل عبيد الله بن زياد)

وبلغ ذلك عبد الملك فمقد للحصين بن نمير في فرسان أهل الشام وكانوا

نحووا من أربعين ألفا وفيهم عبيد الله بن زياد وفيهم من قتلة الحسين عمير بن
 الحباب وفرات بن سالم ويزيد بن الحضير وأناس سوى هؤلاء كثير فقال فرات
 لعمير قد عرفت سوء ولاية بني مروان وسوء رأيهم في قومنا من قيس ولئن
 خلاص الأمر وصفا لعبد الملك ليستأصلن قيسا أولي قصينهم ونحن منهم
 فانصرف بنا لتنظر ما حال إبراهيم بن الأشتر فلما جنهما الليل ركبا فرسيهما
 وبينهما وبين عسكر إبراهيم أربع فراسخ وكانا يمران بمساح أهل الشام
 فيقولون لهما ما أنتما فيقولان طليعة الأمير الحضير بن نعيم فأقبلا حتى أتيا
 عسكر إبراهيم بن الأشتر وقد أوقد النيران وهو قائم يعي أصحابه وعليه قميص
 أصفر هروى وملاءة موردة متوشح بها متقلدا سيفه فدنا منه عمير بن الحباب
 فصار خافه وإبراهيم لا يأبه له فاحتضنه من ورائه فلما تحاجل إبراهيم عن
 موضعه خير أنه أعال رأسه وقال من هذا قال أنا عمير بن الحباب فأقبل بوجهه
 إليه وقال اجلس حتى أفرغ لك فتحنى عنه وقعدا مسكين بأعنة فرسيهما فقال
 عمير لصاحبه هل رأيت رجلا أربط جأشا وأشد قلبا من هذا تراه تحاجل من
 مكانه أو أكثر ثلى وأنا محتضنه من خلف فقال له صاحبه ما رأيت مثله
 فلما فرغ إبراهيم من تعبئة أصحابه أتاهما فجلس إليهما ثم قال لعمير ما أهلك
 إلى يا أبا المغلس قال عمير لقد اشتد غي مذ دخلت عسكرك وذلك اني
 لم أسمع فيه كلاما عربيا حتى انتهيت إليك وإنما معك هؤلاء الأعاجم
 وقد جاءك صناديد أهل الشام وأبطالهم وهم زهاء أربعين ألف رجل
 فكيف تلقاهم بمن معك فقال إبراهيم والله لو لم أجده إلا النمل لقاتلتهم بهذا

فكيف وما قومٌ أشد بصيرة في قتال أهل الشام من هؤلاء الذين تراهم
معي وإنما هم أولاد الأساورة من أهل فارس والمازنية وأنا ضارب
الخليل بالخليل والرجال بالرجال والنصر من عند الله . قال عمير ان قومي قيسا
إذا التقى الجيالن غدا في ميسرة أهل الشام فلا تحفل بنا فانا منهزمون
لنكسر الجيش بذلك فانا لا نحب ظهور بني مروان لسوء صنيعهم اليانا معاشر
قيس وأنا اليك لا ميل قال ابراهيم وذلك ثم انصرفا الى معسكرهما . ولما
أصبح الفريقان زحف بعضهم الى بعض فتواقفوا بمكان يُدعى خازر فنادى
ابراهيم بن الأشتر حمة عسكره عليكم بالميسرة وفيها قيس فقال عمير بن
الجاباب لصاحبه هذا وأبيك الحزم لم يثق بقولنا وخاف مكرها وصاح عمير بن
الجاباب في قيس يال ثارات مَرَج راهط فنكسوا أعلامهم وانهزموا فانكسر أهل
الشام عند ذلك وحمل عليهم ابراهيم بن الأشتر فأكثر فيهم القتل فانهمز
أهل الشام فاتبعهم ابراهيم يقتلهم الى الليل وقتل أميرهم الحصين بن نمير وكان
من قتلة الحسين وشرحبيل بن ذى الكلاع وعظماء أهل الشام . فلما وضعت
الحرب أوزارها قال ابراهيم بن الأشتر اني قتلت في الوقعة رجلا من أهل
الشام كان يقاتل في أوائلهم قتالا شديدا وهو يقول أنا الغلام القرشي فلما
سقط شمت منه ريح المسك فاطلبوه بين القتلى فطلب حتى أصابوه فاذا هو
عبيد الله بن زياد فأمر به ابراهيم فحز رأسه فوجه به الى المختار فوجه به
المختار الى محمد بن الحنفية واحتوى ابراهيم بن الأشتر على عسكر أهل الشام
فغنم ما كان فيه فأنته هند ابنة أسماء بن خارجة الفزارية امرأة عبيد الله بن

زياد فأخبرته بانتهاب ما كان معها من مالها فقال لها كم ذهب لك قالت قيمة
خمسین ألف درهم فأمر لها بمائة ألف درهم ووجه معها مائة فارس حتى أتوا
بها أباهما البصرة ودخل عبيد الله بن عمرو الساعدي وكان شاعرا على ابراهيم
ابن الاشر فأنشده

الله أعطاك المهابة والتقى وأحل بيتك في العديد الاكثر
وأقر عينك يوم وقعة خازر والخليل تعثر بالقنا المتكسر
من ظالمين كفتهم آثامهم تركوا لهافية وطير حشر
ما كان أجراهم جزاهم ربهم شر الجزاء على ارتكاب المنكر
اني أتيتك إذ تناءى منزلي وذمت إخوان الغنى من معشري
وعلمت أنك لا تضيع مدحتي ومتى أكن بسبيل خير أشكر
فهل نحوى من يمينك نفحة إن الزمان ألقى ابن الأشر

فأعطاه عشرة آلاف درهم وان ابراهيم بن الاشر أقام بالموصل ووجه عماله
الى مدن الجزيرة فاستعمل اسماعيل بن زفر على فرقيسيا وحاتم بن النعمان
الباهلي على حران والرثا وسميساط وعمير بن الحباب السامى على كفرنوتا
والسفاح بن كردوس على سنجار وعبد الله بن مساور على ميفارتين ومسلم
ابن ربيعة العقيلي على آمد وسار هو الى نصيبين فأقام بها . وأن المختار كتب
الى عبيد الله بن الحر الجعفي وكان بناحية الجبل يتطرف ويغير انما خرجت
غضبا للحسين ونحن أيضا ممن غضب له وقد تجردنا لنطلب بثاره فأعنا على
ذلك فلم يجبه عبيد الله الى ذلك فركب المختار الى داره بالكوفة فهدمها وأمر

بامراته أم سلمة ابنة عمرو الجعفي فحبست في السجن وانتهب جميع ما كان في منزله وكان الذي تولى ذلك عمرو بن سعيد بن قيس الهمداني . وبلغ ذلك عبيد الله بن الحر فقصده الى ضيعة لعمر بن سعيد بالماهين فأغار عليها واستاق مواشيها وأحرق زرعها وقال

وما ترك الكذاب من جلّ مالنا ولا المرء من همدان غير شريد
أفي الحق أن يُحتاج مالى كله وتأمينٌ عندى ضيعة ابن سعيد

ثم اختار من أبطال أصحابه مائة فارس فيهم مُحشّر التميمي ودلهم بن زياد المرادي وأحر طيّ وخلف بقية أصحابه بالماهين وسار نحو الكوفة حتى انتهى الى جسر ها ليلا فأمر بقوام الجسر فكشفوا ووكل بهم رجلا من أصحابه ثم عبر ودخل الكوفة فلقية أبو عمرة كيسان وهو يعس بالكوفة فقال من أنتم قالوا نحن أصحاب عبد الله بن كامل أقبلنا الى الامير المختار فقال امضوا في حفظ الله فمضوا حتى انتهوا الى السجن فكسروه فخرج كل من فيه وحمل أم سلمة على فرس ووكل بها أربعين رجلا وقدّمها ثم مضى . وبلغ الخبر المختار فأرسل راشدا مولى بجيلة في ثلاثة آلاف رجل وعطف عليهم أبو عمرة من ناحية بجيلة في ألف رجل وخرج عليهم عبد الله بن كامل من ناحية النخع في ألف رجل فأحاطوا بهم فلم يزل عبيد الله يكشفهم ويسير والحجارة تأخذه وأصحابه من سطوح الكوفة حتى عبر الجسر وقد قتل من أصحاب المختار مائة رجل ولم يُقتل من أصحابه الا أربعة نفر . وسار عبيد الله حتى انتهوا الى بائقيا فنزلوا وداووا جروحهم وعافوا دوابهم وسقوها ثم ركبوا فلم يحلوا عقدها

حتى انتهوا الى سورا فأراحوا بها ثم ساروا حتى أتوا المدائن ثم لحق بأصحابه
 بالمهين . ولما تجرّد المختار لطلب قتلة الحسين هرب منه عمرو بن سعد ومحمد
 ابن الأشعث وهما كانا المتولين للعرب يوم الحسين وأتى بعبد الرحمن بن
 ابزى الخزاعي وكان ممن حضر قتال الحسين فقال له يا عدو الله أكنت ممن
 قاتل الحسين قال لا بل كنت ممن حضر ولم يقاتل قال كذبت اضربوا عنقه
 فقال عبد الرحمن ما يمكنك قتلي اليوم حتى تُعطي الظفر على بنى أمية ويصفو
 لك الشام وتهدم مدينة دمشق حجرا حجرا فتأخذني عند ذلك فتصليني على
 شجرة بشاطئ نهر كأني أنظر اليها الساعة . فالتفت المختار الى أصحابه وقال
 أما ان الرجل عالم بالملاحم ثم أمر به الى السجن فلما جن عليه الليل بعث
 اليه من أتاه به فقال له يا أخا خزاعة أظرفا عند الموت فقال عبد الرحمن بن
 ابزى أنشدك الله أيها الأمير أن أموت هاهنا ضيعة قال فما جاء بك من الشام
 قال أربعة آلاف درهم لي على رجل من أهل الكوفة أتيت متقاضيا فأمر له
 المختار بأربعة آلاف درهم وقال له إن أصبحت بالكوفة قتلتك فخرج من
 ليلته حتى لحق بالشام . ومكث المختار بذلك يطلب قتلة الحسين وتُجبي اليه
 الاموال من السواد والجل وأصبهان والري وأذربيجان والجزيرة ثمانية عشر
 شهرا وقرب أبناء العجم وفرض لهم ولاؤهم الأعطيات وقرب مجالسهم
 وباعد العرب وأقصاهم وحرّمهم فغضبوا من ذلك واجتمع أشرفهم فدخلوا
 عليه فعاتبوه فقال لا يبعد الله غيركم أكرمتكم فشمختم بآنافكم ووليتكم
 فكسرتم الخراج وهو لاء العجم أطوع لي منكم وأوفى وأسرع الى ما أريد .

قالوا فدنت العرب بعضها الى بعض وقالوا هذا كذاب يزعم انه يوالي بني هاشم وانما هو طالب دنيا فاجتمعت القبائل على محاربته وصاروا في ثلاثة أمكنة وقلدوا أمرهم رفاعة بن سؤار فاجتمعت كندة والازد وبجيلة والنخع وخثعم وقيس وتيمم الرباب في جبانة مراد واجتمعت ربيعة وتميم فصاروا في جبانة الحشاشين . فأرسل المختار الى همدان وكانوا خاصته واجتمع اليه أبناء العجم فقال لهم ألا ترون ما يصنع هؤلاء قالوا بلى قال فانهم لم يفعلوا ذلك الا لتقديمي إياكم فكونوا أحرارا كراما فخرّضهم بذلك وأخرجهم الى ظهر الكوفة فاحصاهم فبلغوا أربعين ألف رجل . وان شمر بن ذى الجوشن وعمر ابن سعد ومحمد بن الاشعث وأخاه قيس بن الاشعث قدموا الكوفة عند ما بلغهم خروج الناس على المختار وخلصهم طاعته وكانوا هربا من المختار طول سلطانه لانهم كانوا الرؤساء في قتال الحسين فصاروا مع أهل الكوفة وتولوا أمر الناس وتأهب الفريقان للحرب واجتمع أهل الكوفة جميعا في جبانة الحشاشين وزحف المختار نحوهم فاقتلوا فقتل بينهم بشر كثير فنادى المختار يا معشر ربيعة ألم تباعوني فلم خرجتم عليّ قالت ربيعة قد صدق المختار لقد بايعناه وأعطيناه صفقة أيماننا فاعتزلوا وقالوا لانكون على واحد من الفريقين وثبت سائر القبائل فقاتلوا وان أهل الكوفة انهزموا وقد قتل منهم نحو الخمسمائة رجل وأسر منهم مائتا رجل فهرب أشراف الكوفة فلاحقوا بالبصرة وبها مصعب بن الزبير فانضموا اليه . وبلغ المختار أن شبث بن ربعي وعمرو ابن الحجاج ومحمد بن الاشعث مع عمر بن سعد قد أخذوا طريق البصرة

أناس معهم من أشرف أهل الكوفة فأرسل في طلبهم رجلا من خاصته
 من أبا القلوص الشامي في جريدة خيل فلحقهم بناحية المذار فواقعه وقاتلوه
 عة ثم انهزموا ووقع في يده عمر بن سعد ونجا الباقر فأتى به المختار فقال
 يا كيسان والله الذي أمكن منك والله لا شفين قلوب آل محمد بسفك دمك يا كيسان
 رب عنقه فضرب عنقه وأخذ رأسه فبعث به إلى المدينة إلى محمد بن الحنفية
 ل أعشى همدان وكان من أهل الكوفة

ولم أنس همدانا غداة تجوسنا بأسيا فها لا أسقيت صوبها ضب
 فقتل من أشرفنا في محالهم عصائب منهم أردفت بعصائب
 فكم من كمي قد أبارت سيوفهم إلى الله أشكور رزء تلك المصائب
 يقتلنا المختار في كل غائط فيالك دهر مرصد بالعجائب

لغ المختار أن شمر بن ذي الجوشن مقيم بدست ميسان في أناس من بني
 ر بن صعصعة يكرهون دخول البصرة أشماتة أهل البصرة بهم فأرسل
 نثار إليهم زربيا مولى بجيلة في مائة فارس على الخيل العتاق فسار إليهم بالحث
 لديد فقطع أصحابه عنه الا عشرة فوارس فلحقهم وقد استعدوا له فطعنه
 بر فقتله وانهزم أصحابه العشرة حتى لحق بهم الباقر فطلبوا شمر وأصحابه
 يلحقوهم ومضى شمر حتى نزل قريبا من البصرة بمكان يدعى ساد ماء
 نام به . وان قيس بن الأشعث أنف من أن يأتي البصرة فيشمت به
 لها فانصرف إلى الكوفة مستجيرا بعبد الله بن كامل وكان من أخص
 اس عند المختار فأقبل عبد الله إلى المختار فقال أيها الأمير ان قيس بن

الاشعث قد استجار بي وأجرته فانفذ جوارى آياه فسكت عنه المختار مليا
 وشغله بالحديث ثم قال أرني خاتمك فناوله آياه فجعله في أصبعه طويلا ثم دعا
 أبا عمرة فذفع اليه الخاتم وقال له سرا انطلق الى امرأة عبد الله بن كامل فقل
 لها هذا خاتم بعلمك علامة لتدخليني الى قيس بن الاشعث فاني أريد مناظرته
 في بعض الأمور التي فيها خلاصه من المختار فأدخلته اليه فانتضى سيفه فضرب
 عنقه وأخذ رأسه فأتى به المختار فألقاه بين يديه فقال المختار هذا بقطيفة الحسين
 وذلك ان قيس بن الاشعث أخذ قطيفة كانت للحسين حين قتل فكان
 يسمى قيس قطيفة فاسترجع عبد الله بن كامل وقال للمختار قتلت جاري
 وضيقي وصدقي في الدهر قال له المختار لله أبوك أسكت ألتستحل أن تجير قتلة
 ابن بنت نبيك . ثم ان المختار دعا بالأسرى الذين أسره من أهل الكوفة
 في الوقعة التي كانت بينه وبين أهل الكوفة فجعل يضرب أعناقهم حتى
 انتهى الى سراقه البارقي وكان فيهم فقام بين يديه وأنشأ يقول

ألا من مبلغ المختار أنا نزونا نزوة كانت علينا

خرجنا لا نرى الا شرادينا وكان خروجنا بطراوحينا

ثم قال للمختار أيها الأمير لو انكم أنتم الذين قاتلتمونا لم تطعموا فينا فقال له
 المختار فمن قاتلكم قال سراقه قاتلنا قوم بيض الوجوه على خيل شهب قال له
 المختار تلك الملائكة ويالك أما اذ رأيتمهم فقد وهبتك لهم ثم خلى سبيله
 فهرب فلاحق بالبصرة وأنشأ يقول

ألا أبلغ أبا استحقاق اني رأيت الشهب كتما مصمات

أرى عينيَّ ما لم ترأياه كلانا عالمٌ بالترهات
كفرت بدينكم وبرئت منكم ومن قتلناكم حتى المات

وهرب أسماء بن خارجة الفزاريّ وكان شيخ أهل الكوفة وسيدهم من
المختار خوفاً على نفسه فنزل ماء لبني أسد يسمى ذروة في نفر من مواليه
وأهل بيته فأقام به . وهرب عمرو بن الحجاج وكان من رؤساء قتلة الحسين
يريد البصرة فخاف السماتة فعدل إلى سراف فقال له أهل الماء ارحل عنا فانا
لانا من المختار فارتحل عنهم فتلوا وموا وقالوا قد أسأنا فركبت جماعة منهم في
طلبه ليردوه فلما رأهم من بعيد ظن أنهم من أصحاب المختار فسلك الرمل
يمكن يدعى البيضة وذلك في حمارة القيظ وهي فيما بين بلاد كلب وبلاد
طيّ فقال فيها فقتله ومن معه العطش . ولم يزل أسماء مقيماً بذروة إلى أن
قبل المختار ودخل مصعب بن الزبير الكوفة فأنصرف أسماء إلى منزله
بالكوفة . ولما تتبع المختار أهل الكوفة جعل عظماءهم يتسللون هرباً إلى
البصرة حتى وافاها منهم مقدار عشرة آلاف رجل وفيهم محمد بن الأشعث
فاجتمعوا ودخلوا على مصعب بن الزبير فتكلم محمد بن الأشعث وقال أيها
الأمير ما يمنعك من المسير لمحاربة هذا الكذاب الذي قتل خيارنا وهدم
دورنا وفرّق جماعتنا وحمل أبناء العجم على رقابنا وأباحهم أموالنا سراليه فانا
جميعاً معك وكذلك من خلفنا بالكوفة من العرب هم أعوانك قال مصعب
يا ابن الأشعث أنا عارف بكل ما ارتكبكم به وليس يمنعني من المسير إليه إلا
غيبة فرسان أهل البصرة وأشرافهم فانهم مع ابن عمك المهلب بن أبي صفرة

في وجوه الأزارقة بناحية كومان غير اني قد رأيتُ رأيا قال وما رأيتُ أيها
 الامير قال رأيتُ أن أكتب الى المهلب أمره أن يوادع الأزارقة ويقبل
 الى فيمن معه فاذا وافى تجهزنا وخرجنا لمحاربة المختار قال ابن الاشعث نعم
 مارأيتُ فاكذب اليه واجعلني الرسول . فكتب مصعب بن الزبير الى
 المهلب كتابا يذكر له ما فيه أهل الكوفة من القتل والحرب ويفسر فيه أمر
 المختار فسار محمد بن الاشعث بكتابه حتى ورد كومان وأوصل الكتاب الى
 المهلب وقال له يا ابن عم قد بلغك ما لقي أهل الكوفة من المختار وقد كتب
 اليك الامير مصعب بما قد قرأته فكتب المهلب الى قطريّ وكان رئيس
 الأزارقة يومئذ يسأله الموادة الى أجل سمّاه ويكتب بينهما كتابا في ذلك
 ويضع الحرب الى ذلك الاجل فأجابه قطريّ الى ذلك وكتب بينهما كتابا
 وجعلا الاجل ثمانية عشر شهرا وسار المهلب بمن معه حتى وافى البصرة فوضع
 مصعب لاهل البصرة العطاء وتهيأ للمسير . وبلغ المختار ذلك فعقد لاحمر بن
 سليط في ستين ألف رجل من أصحابه وأمره أن يستقبل القوم فيناجزهم
 الحرب فسار أحمر بن سليط في الجيوش حتى وافى المذار وقد انصرف اليها
 شمر بن ذى الجوشن أنفة من أن يأتى البصرة هاربا فيشمتوا به فوجه أحمر
 ابن سليط الى المكان الذي كان متحصنا فيه خمسين فارسا وأمامهم نبطيّ
 يدلهم على الطريق وذلك في ليلة مقمرة فلما أحس بهم دعا بفرسه فركبه
 وركب من كان معه ليهربوا فأدركهم القوم فقاتلوهم فقتل شمر وجميع من
 كان معه واحتزوا رؤسهم فأتوا بها أحمر بن سليط فوجهها الى المختار فوجه

المختار برأس شمر الى محمد بن الحنفية بالمدينة . وسار مصعب بن الزبير بجماعة أهل البصرة نحو المذار وتخلّف عنه المنذر بن الجارود وهرب منه نحو كرمان في جماعة من أهل يده ودعا لعبد الملك بن مروان . وأقبل مصعب حتى وافى المذار وأمامه الاحنف بن قيس في ثميم وزحف الفريقان بعضهم الى بعض فاقتتلوا فانهزم أصحاب المختار واستحرج القتل فيهم ومضوا نحو الكوفة واتبعهم مصعب يقتلهم في جميع طريقه فلم يفلت منهم الا القليل فقال أعشى همدان في ذلك

ألم يبلّغك ما لقيتُ شبامٌ وما لاقتُ عُرينةً بالمذار
أُتيح لهم بها ضربٌ طليحٌ وطعنٌ بالثقفة الحرار
كأن سحابةً صُعقت عليهم فعمتهم هنالك بالدمار
وما ان ساءني ما كان منهم لدى الإِعمار منى واليسار
ولكنني فرحتُ وطابَ نومي وقرّ لقتلهم منى قرارى

(مقتل المختار)

وان مصعبا سار بالجيوش نحو الكوفة فعبر دجلة وخرج الى أرض كسكر ثم أخذ على حديثه الفجار ثم أخذ على النجرانية حتى قارب الكوفة وبلغ المختار مقتل أصحابه فنادى في بقية من كان معه من جنوده فقوّاهم بالاموال والسلاح وسار بهم من الكوفة مستقبلا لمصعب بن الزبير فالتقوا بنهر البصريين فاقتتلوا فقتل من أصحاب المختار مقتلة عظيمة وقتل محمد بن الاشعث وقتل عمر بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وذلك أنه قدم من

الحجاز على المختار فقال له المختار هات معك كتاب محمد بن الحنفية فقال عمر
ابن علي لا مامعني كتابه فقال له انطلق حيث شئت فلا خير لك عندي
فخرج من عنده وسار الى مصعب فاستقبله في بعض الطريق فوصله بمائة ألف
درهم وأقبل مع مصعب حتى حضر الواقعة فقتل فيمن قتل من الناس . وانهزم
المختار حتى دخل الكوفة وتبعه مصعب فدخل في أثره وتحصن المختار في
قصر الامارة فاقبل مصعب حتى أناخ عليه وحاصره أربعين يوما ثم ان المختار
قلق بالحصار قلقا شديدا فقال للسائب بن مالك الاشعري وكان من خاصته
أيها الشيخ اخرج بنا لنقاتل على احسابنا لا على الدين فاسترجع السائب وقال
يا أبا اسحق لقد ظنّ الناس ان قيامك بهذا الامر دينونة فقال المختار لا عمرى
ما كان الا لطلب دنيا فاني رأيت عبد الملك بن مروان قد غلب على الشام
وعبد الله بن الزبير على الحجاز ومصعبا على البصرة ونجدة الحروري على
العروض وعبد الله بن خازم على خراسان ولست بدون واحد منهم ولكن
ما كنت أقدر على ما أردت الا بالدعاء الى الطلب بشار الحسين ثم قال قبح
يا غلام على بفرسى ولا متى فاني بدرعه فدرعها وركب فرسه ثم قال قبح
الله العيش بعد ما أرى يا بواب افتح ففتح له الباب وخرج ومعه نخاعة
أصحابه فقاتل القوم قتالا شديدا وانهزم أصحابه ومضى هو نحو القصر وهو في
حامية أصحابه فدخل القصر من أصحابه ستة آلاف رجل وبقي مع المختار نحو
من ثمانية رجل فأخذ أصحاب مصعب عليه باب القصر فلجأ المختار فيمن معه
الى حائط القصر وأقبل يذمر أصحابه ويحمل فلم يزل يقاتل حتى قتل أكثر

من كان معه فحمل عليه اخوان من بني حنيفة من أصحاب المهلب فضرباه
بالسيف حتى سقط وبادرا اليه فاحتزوا رأسه فأتيا به مصعبا فأعطاهما ثلاثين
ألف درهم فقال سويد بن أبي كاهل يذكر قتل المختار

يأليت شعري متى تغدو نحيسة منا فتبلغ أهل الموسم الخبرا
أنا تجزرتاعن الكذاب هامة من بعد طعن وضرب بكشف الخرا

ووجه مصعب برأس المختار الى عبد الله بن الزبير مع عبد الله بن عبد
الرحمن قال عبد الله فوافيت مكة بعد العشاء الآخرة فأتيت المسجد
وعبد الله بن الزبير يصلي قال فجلست أنتظره فلم يزل يصلي الى وقت
السحر ثم انقفل من صلاته فدتوت منه فناولته كتاب الفتح فقرأه وناولته غلامه
وقال امسكه معك فقلت يا أمير المؤمنين هذا الرأس معي قال فما تريد قلت
جأزني قال خذ الرأس الذي جئت به بجأزتك فتركته وانصرفت قالوا
ولما قتل المختار واستتب الأمر لعبد الله بن الزبير أرسل الى عبد الله
ابن عباس ومحمد بن الحنفية أما أن تبايعاني أو تخرجاني فخرجنا من
مكة فنزلنا الطائف وأقاما هناك وتوفي عبد الله بن عباس بالطائف وصلى عليه
محمد بن الحنفية وخرج محمد بن الحنفية من الطائف حتى أتى أيلة وكتب الى
عبد الملك بن مروان يستأذنه في القدوم عليه والنزول في جواره فكتب اليه
وراءك أوسع لك ولا حاجة لي فيك فأقام محمد بن الحنفية عامه ذلك بأيلة ثم
توفي بها. وقتل المختار وابراهيم بن الأشتر عامه على كورة الجزيرة فكتب
الى مصعب يسأله الأمان وكتب اليه يأمره بالقدوم عليه فقدم وبايعه وفوض

مصعب اليه جميع أمره وأظهر برّه والطافه . ولم تزل الستة آلاف الذين دخلوا
 القصر متحصنين فيه شهرين حتى نفذ جميع ما كان المختار أعدّ فيه من
 الطعام فسألوا الأمان فأبى مصعب أن يعطيهم الأمان الا على حكمه فارسلوا
 اليه انا ننزل على حكمك فنزلوا عندما بلغ اليهم الجوع فضرب أعناقهم كلّهم
 وكانوا ستة آلاف ألفين من العرب وأربعة آلاف من العجم . ودعا مصعب
 بامرأتى المختار أمّ ثابت ابنة سمرة بن جندب وعمرة بنت النعمان بن بشير
 فدعاها الى البراءة من المختار فأما أمّ ثابت فانها تبرأت منه وأبت عمرة ان
 تبرأ منه فأمر بها مصعب فأخرجت الى الجبانة فضربت عنقها فقال
 بعض الشعراء فى ذلك

ان من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرّة عطبول
 قتلوها بغير ذنب سفاهها انّ لله درّها من قتيل
 كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جرّ الذبول

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فى ذلك

ألم تعجب الاقوام من قتل حرّة من المخلصات الدين محمودة الادب
 من الغافلات المؤمنات بريئة من الزور والبهتان والشك والريب
 علينا كتاب الله فى القتل واجب وهن الضعاف فى الحجال وفى الحجب
 فقلت ولم أظلم أعمرو بن مالك يقتل ظلما لم يخالف ولم يرب
 ويسبقنا آل الزبير بوترنا ونحن حماة الناس فى البارق الاشب
 فان تعقب الايام منهم نجازهم على حنق بالقتل والاسر والجنب

ثم ان مصعب بن الزبير نزل القصر بالكوفة واستعمل العمال وجبى الخراج فولى
البصرة عبيد الله بن معمر التيمي ورد المهلب الى قتال الازارقة

(غزو عبد الملك العراق وقتل مصعب)

قالوا ولما صفا الامر لعبد الله بن الزبير ودانت له البلدان الا أرض الشام
جمع عبد الملك بن مروان اخوته وعظماء أهل بيته فقال لهم ان مصعب بن
الزبير قد قتل المختار ودانت له أرض العراق وسائر البلدان ولست آمنه أن
يغزوكم في عقر بلادكم وما من قوم غزوا في عقر دراهم الا ذلوا فأتروا
فتكلم بشر بن مروان فقال يا أمير المؤمنين أرى أن تجمع اليك اطرافك
وتستجيش جنودك وتضم اليك قواصيك وتسير اليه وتلئت الخيل بالخيول
والرجال بالرجال والنصر من عند الله فقال القوم هذا الرأي فاعمل به فان بنا قوة
ونهبوا فوجه رسله الى كور انشام ليجمع اليه فاجتمع له جميع أجناد الشام ثم
سار وقد احتشد ولم ينزل وبلغ مصعب بن الزبير خروجه فضم اليه اطرافه
وجمع اليه قواصيه واستعد ثم خرج لمحاربتة فتوافى العسكران بدر الحانات
فقال عدي بن زيد بن عدى وكان مع عبد الملك

لعمري لقد أصحرت خيلنا بأكناف دجلة للمصعب

يجرون كل طويل الكمو ب معتدل النصل والشعب

بكل فتى واضح وجهه كريم الضرائب والمنصب

ولما نظر أصحاب مصعب الى كثرة جموع عبد الملك توافوا وشملهم الرعب
فقال مصعب لعروة بن المغيرة وهو يسايره ادن يا عروة أكلمك فدنا منه

فقال اخبرني عن الحسين كيف صنع حين نزل به الامر قال عمرو فجعلت
أحدثه بمحدث الحسين وما عرض عليه ابن زياد من النزول على حكمه فأبى
ذلك وصبر للموت ففُضِرِب مصعب معرفةً دابته بالسوط ثم قال

فان الألى بالطنن من آل هاشم تأسؤوا فسنؤوا للكرام التأسيا

وان عبد الملك كتب الى رؤساء أصحاب مصعب يستميلهم اليه ويعرض
عليهم الدخول في طاعته ويبذل لهم على ذلك الاموال وكتب الى ابراهيم بن
الاشتر فيمن كتب فأقبل ابراهيم بالكتاب محتوما فناولاه مصعبا وقال أيها
الامير هذا كتاب الناسق عبد الملك بن مروان قال له مصعب فهلا قرأته
قال ما كنت لأفضيه ولا أقرأه الا بعد قراءتك له ففضضه مصعب واذا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى ابراهيم بن
الاشتر أما بعد فاني أعلم أن تركك الدخول في طاعتي ليس إلا عن معية فلاك
الفرات وما سقي فأنجز إلى فيمن أطاعك من قومك والسلام ، فقال مصعب
فا يمنعك يا أبا النعمان قال لو جعل لي ما بين المشرق الى المغرب ما أعنت
بنى أمية على ولد صفية فقال مصعب جزيت خيرا أبا النعمان فقال ابراهيم
لمصعب أيها الامير لست أشك أن عبد الملك قد كتب الى عظماء أصحابك
بنحو مما كتب إليّ وانهم قد مالوا اليه فأذن لي في ضرب عنق من اتهم منهم
قال مصعب إذن لا يناصحننا عشائهم قال فأذن لي في حبسهم الي فراغك
فان ظفرت مننت بهم على عشائهم وان تكن الأخرى كنت قد أخذت
بالحزم قال مصعب إذن يحتجوا علىّ عند أمير المؤمنين فقال ابراهيم أيها

الامير لا أمير المؤمنين والله لك اليوم وما هو الا الموت فمت كريما فقال مصعب يا أبا النعمان انما هو أنا وأنت فتقدم للموت قال ابراهيم إذا والله أفعَل قال ولما نزلوا بدير الجاثليق باتوا ليلتهم فلما أصبحوا نظر ابراهيم بن الاشر فاذا القوم الذين اتهمهم قد ساروا تلك الليلة فلحقوا بعبد الملك بن مروان فقال لمصعب كيف رأيت رأيي ثم زحف بعضهم الى بعض فاقتتلوا فاعتزلت ربيعة وكانوا في ميمنة مصعب وقالوا لمصعب لا نكون معك ولا عليك وثبت مع مصعب أهل الحفاظ فقاتلوا وأمامهم ابراهيم بن الاشر فقتل ابراهيم فلما رأى مصعب ذلك استمات فترجل وترجل معه حماة أصحابه فقاتلوا حتى قتل عامتهم وانكشف الباقون عن مصعب فحمل عليه عبد الله بن ظبيان فضربه من ورائه بالسيف ولا يشعر به مصعب فخر صريعا فنزل وأجهز عليه واحترأ رأسه فأتى به عبد الملك فحزن عليه حزنا شديدا وقال متى تغزو قریش مثل مصعب وددت أنه قبل الصلح واني قاسمته مالي قال ولما قتل مصعب بن الزبير استأمن من بقي من أصحابه الى عبد الملك فأمنهم فقال عبد الله بن قيس الرقيتات

لقد وردَ المصيرين خزي وذلةً قتل بدير الجاثليق مقيم
فما صبرت في الحرب بكر بن وائل ولا ثبتت عند اللقاء تميم
ولكنه ضاعَ الدمار فلم يكن بها عربي عند ذاك كريم
كان قتل مصعب يوم الخميس للنصف من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين
رتحل عبد الملك بالناس حتى دخل الكوفة فدعاهم الى ربيعة فبايعوه ثم جهز

الجيش الى تهامة لمحاربة عبد الله بن الزبير وولى الحرب قدامة بن مظعون وأمره بالمسير وانصرف عبد الملك الى الشام .

(مقتل عبد الله بن الزبير علي يدي الحجاج)

ثم وجه الحجاج بن يوسف لمحاربة عبد الله بن الزبير وعزل قدامة بن مظعون فسار الحجاج حتى نزل الطائف وأقام شهرا ثم كتب الى عبد الملك انك يا أمير المؤمنين متى تدع ابن الزبير يعمل فكره ويستجيش ويجمع أنصاره وتثوب اليه فلا له كان في ذلك قوة له فأذن في معالجته لي فأذن له فقال الحجاج لأصحابه تجهزوا للحج وكان ذلك في أيام الموسم ثم سار من الطائف حتى دخل مكة وأنصب المنجنيق على أبي قيس فقال الاقيشر الاسدي لم أر جيشا غرَّ بالحج مثلنا ولم أر جيشا مثلنا غير ماخرس دلفنا لبيت الله نرمى ستوره دلفنا له يوم الثلاثاء من منى بجيش كصدر الفيل ليس بذى رأس فألا ترحنا من ثقيف وملكمها فصل لا يام السباسب والنحس فطالبه الحجاج فهرب وأناخ الحجاج بابن الزبير وتحصن منه ابن الزبير في المسجد واستعمل الحجاج على المنجنيق ابن خزيمة الخثعمي فجعل يرمى أهل المسجد ويقول

خطارة مثل الفنيق الملبد نرمى بها عواذ أهل المسجد

فلما اشتد على ابن الزبير وأصحابه الحصار خرجت بنو سهم من بابهم فقال ابن الزبير .

فَرَّتْ سَلامانَ وَفَرَّتِ النِّمْرُ وَقَدْ تَكُونُ مَعَهُمْ فَلَا تَفِرْ
 وَجَعَلَ أَهْلَ الشَّامِ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ الْمَسْجِدَ فَيُشَدُّ عَلَيْهِمْ فَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ
 حَتَّى رَمَى بِحَجَرٍ فَأَصَابَ جَبْهَتَهُ فَسَقَطَ لَوَجْهَهُ ثُمَّ تَحَامَلَ فَقَامَ وَهُوَ يَقُولُ
 فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمِي كُلَّوْمَنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَاءُ
 ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ اخْرُجُوا إِلَى مِنَ الْبَابِ وَاحْمِلُوا وَلَا يَلْبِسْكُمْ طَلْبِي وَالسُّؤَالُ
 عَنِّي فَإِنِّي فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ فَخَرَجَ وَخَرَجُوا مَعَهُ فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى قَتَلَ
 عَامَةً مِنْ كَانَ مَعَهُ وَوَحْدَقُوا بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَضْرِبُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى قَتَلُوهُ فَأَمَرَ
 بِهِ الْحِجَاجُ فَصَلَبَ فُهِمَّ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ أَمَا وَاللَّهِ
 قَدْ كُنْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا غَيْرَ أَنَّكَ رَفَعْتَ الدُّنْيَا فَوْقَ قَدْرِهَا وَلَيْسَتْ لَدُنْكَ بِأَهْلٍ
 وَإِنَّ أُمَّةً أَنْتَ شَرُّهَا لَأُمَّةٌ صَدَقَ وَكَانَ مُقْتَلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ يَوْمَ الثَّلَاثَةِ لِسَبْعِ
 عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ جِهَادِي الْآخِرَةِ سَنَةً ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ . وَلَمَّا قَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ
 بْنُ الزُّبَيْرِ خَرَجَ أَخُوهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ هَارِبًا مِنَ الْحِجَاجِ حَتَّى أَتَى الشَّامَ
 فَاسْتَجَارَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَجَارَهُ وَأَظْهَرَ أَكْرَامَهُ وَأَقَامَ عِنْدَهُ فَكَتَبَ
 لِلْحِجَاجِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّ أَمْوَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عِنْدَ أَخِيهِ عُرْوَةَ فَردَهُ
 لِيَّ لَا اسْتَخْرَجَهَا مِنْهُ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِبَعْضِ أَحْرَاسِهِ انْطَلِقْ بِعُرْوَةَ إِلَى الْحِجَاجِ
 يُقَالُ عُرْوَةُ يَا بَنِي مَرْوَانَ مَا ذَلَّ مَنْ قَتَلْتُمُوهُ بَلْ ذَلَّ مَنْ مَلَكَتُمُوهُ فَتَدْنِمُ عَبْدَ
 الْمَلِكِ وَخَلَّى سَبِيلَ عُرْوَةَ وَكَتَبَ إِلَى الْحِجَاجِ أَلَهُ عَنْ عُرْوَةَ فَلَمَّا اسْلَطَكَ عَلَيْهِ
 أَقَامَ الْحِجَاجُ بِمَكَّةَ حَتَّى أَقَامَ لِلنَّاسِ الْحُجَّ وَأَمَرَ بِالْمَكْبَةِ فَتَنْقَضَتْ وَأَعَادَ بِنَاءَهَا
 هُوَ هَذَا الْبِنَاءُ الْقَائِمُ الْيَوْمَ . وَفِي ذَلِكَ الْعَامِ تَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَلَهُ أَرْبَعُ
 (٢٠ - الْإِخْبَار)

وسبعون سنة فدفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وكان يكنى أبا عبد الرحمن
وفيها مات أبو سعيد الخدري واسمه سعد بن مالك وفيها مات رافع بن خديج
وله ست وثمانون سنة وكان يكنى أبا عبد الله .

(ضرب الدراهم)

قالوا وأمر عبد الملك بضرب الدراهم سنة ست وسبعين ثم أمر بعد ذلك
بضرب الدنانير وهو أول من ضربها في الاسلام وإنما كانت الدراهم والدنانير
قبل ذلك مما ضربت العجم . وفي تلك السنة مات جابر بن عبد الله وله
سبع وتسعون سنة .

(فتنة ابن الأشعث)

ثم خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس على الحجاج وكان
سبب خروجه أنه دخل على الحجاج يوما فقال له الحجاج انك لمنظراني قال
عبد الرحمن أي والله ومخبراني وقام عبد الرحمن فخرج فقال الحجاج لمن كان
عنده ما نظرت الى هذا قط الا اشتيت أن أضرب عنقه وكان عامر الشعبي
حاضرا وان عبد الرحمن لما خرج قعد بالباب حتى خرج الشعبي فقام عبد
الرحمن اليه فقال له هل ذكرني الأمير بعد خروجي من عنده بشئ فقال
الشعبي اعطني عهدا وثيقا ألا يسمعه منك أحد فأعطاه ذلك فأخبره بما كان
الحجاج قال فيه فقال عبد الرحمن والله لأجهدن في قطع خيط رقبته . ثم ان
عبد الرحمن دب في عباد أهل الكوفة وقرأهم فقال أيها الناس ألا ترون
هذا الجبار يعني الحجاج وما يصنع بالناس ألا تغضبون لله ألا ترون ان السنة

قد أميتت والاحكام قد عطت والمنكر قد علن والقتل قد فشا اغضبوا الله
واخرجوا معي فما يحل لكم السكوت فلم يزل يدب في الناس بهذا وشبهه حتى
استجاب له القراء والعباد وواعدهم يوما يخرجون فيه فخرجوا على بكرة أبيهم
واتبعهم الناس فصاروا حتى نزلوا الاهواز ثم كتبوا الى الحجاج

خلع الملوك وسارت تحت لوائه شجر العري وغرأير الاقوام

فأرسل الحجاج كتابه الى عبد الملك فكتب عبد الملك في جوابه

واني واياهم كن نبه القطا ولولم ينبه باتت الطير لا تسرى

أخال صروف الدهر للحين منهم ستحملهم مني على مركب وعر

قالوا وأهديت لعبد الملك في ذلك اليوم جارية افريقية أهداها اليه

موسى بن نصير عامله على أرض المغرب وكانت من أجمل نساء دهرها

فبانت عنده تلك الليلة فلم ينل منها شيئا أكثر من أن غمز كفها وقال

لها والله ان دونك أمنية الممتنى قالت فما يمنعك قال يمنعني بيت مدحنا

به وهو .

قوم اذا حاربوا شدوا ما زرعهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فرغموا انه مكث سبعة أشهر لا يقرب امرأة حتى أناه قتل عبد الرحمن بن محمد

ثم ان الحجاج بعث أيوب بن القرية الى عبد الرحمن بن محمد وقال انطلق

فادعه الى الطاعة وله الأمان على ماسلف من ذنبه فانطلق اليه ابن القرية فدعاه

فأبلغ في الدعاء فقال له عبد الرحمن ويحك يا ابن القرية أيجل لك طاعته مع

ارتكابه العظام واستحلالة المحارم اتق الله يا ابن القرية ووال عباد الله في

البرية ولم يزل عبد الرحمن بابن القرية يختدعه حتى ترك ما أرسل فيه وأقام مع عبد الرحمن فقال له عبد الرحمن اني أريد أن أكتب الى الحاجاج كتابا مسجعا أعرفه فيه سوء فعاله وأبصره قبج سريرته فأمله على فقال أيوب ان الحاجاج يعرف ألفاظي قال وما عليك اني لأرجو أن تقتله عن قريب فأملى عليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد الى الحاجاج بن يوسف سلام على أهل طاعة الله . الذين يحكمون بما أنزل الله . ولا يفسكون دما حراما . ولا يعطلون لله أحكاما . فاني أحمد الله الذي بعثنى لمنازلتك . وقواني على محاربتك . حين تهتكت ستورك . وتحيرت أمورك . فأصبحت حيران نائمها لهفان . لا تعرف حقا . ولا تلام صدقا . ولا ترتق فتقا . ولا تفتق رتقا . وطال ما تناولت . فيما تناولت . فصرت في الغي مذنبا . وعلى الشرارة مركبا . فتدبر أمرك . وقس شبرك بفترك . فانك مراق عراق . ومعك عصاة فساق . جعلوك مثاهم . كخدوهم ناهم . فاستعد للابطال . بالسيوف والحوال . فستذوق وبال أمرك . ويرجع عليك غيك . والسلام فلما قرأ الحاجاج الكتاب عرف ألفاظ ابن القرية وعلم أنه من املائه فكتب الى عبد الرحمن في جوابه بسم الله الرحمن الرحيم من الحاجاج بن يوسف الى عبد الرحمن بن الاشعث سلام على أهل التورع لا التبذع فاني أحمد الله الذي حيرك بعد البصيرة فرقت عن الطاعة . وخرجت عن الجماعة فمسكرت في الكفر . وذهلت عن الشكر . فلا تحمد الله في سراء . ولا تصبر لامره في ضراء . قد أتاني كتابك بلفظات فاجر . فاسق غادر . وسيمكن الله

منه ويهتك ستوره أما بعد فہلم الى فعل وفعال . ومعانقة الابطال . بالبيض
والعوال . فان ذلك أحرى بك من قيل وقال . والسلام على من اتبع الهدى
وخشى الله واتقى . وان عبد الملك وجه الى الحجاج عشرة آلاف رجل من
فرسان أهل الشام لمحاربة عبد الرحمن بن محمد فلما قدموا عليه تجهز وسار نحو
عبد الرحمن فالتقوا بالاهواز فاقتتلوا فانهزم عبد الرحمن ومضى على وجهه فمرّ
على رجل من أصحابه مسلوب حاف يمشى ويعثر فأنشأ عبد الرحمن يقول
مُنْخَرَقُ الْخَفَيْنِ يَشْكُو الْوَجَى تُنَكِّئُهُ أَطْرَافُ مَرَوٍ حَدَادِ
أَخْرَجَهُ الْخِذْلَانُ عَنْ أَرْضِهِ كَذَاكَ مِنْ يَكْرِهِ حَرَّ الْجِلَادِ
قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ فَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ
فقال الرجل فهلاً ثبتّ فنقاتل معك قال له عبد الرحمن أو بمثلك تُسدّ الثغور
ومضى عبد الرحمن حتى استجار بملك الأتراك فأقام عنده فكتب عبد الملك
الى ملك الأتراك يخبره بشقاق عبد الرحمن وخلعه الطاعة وخروجه عليه
ويسأله أن يرده عليه فقال ملك الأتراك لطراختته ان ابن الأشعث هذا
رجل مخالف للملوك فلا ينبغي لى أن أوويه بل أبعث به الى ملكه فيتولى
من أمره ما أحبّ فوجه به دع مائة رجل من ثقاته فانزلوه في طريقه قصرا
في قرية فرقى الى ظهر القصر ورمى بنفسه من السور فمات . وان أيوب بن
القرية أسر فيمن أسر من أصحاب عبد الرحمن فأدخل به على الحجاج فلما
أدخل عليه قال له يا عدوّ الله بعثتك رسولا الى عبد الرحمن فتركت ما بعثت
له وصرتَ وزيراً ومشيراً تُصدر له الكتب وتسجع له الكلام وتدبر له

الامور فقال ابن القرية أصلح الله الأمير كان شيطاناً في مَسَكِ انسان استماني
بسحره وخبني بلفظه فكان اللسان ينطق بغير ما في القلب قال الحجاج
كذبت يا ابن اللئيم بل كان قلبك منافقاً ولسانك مُداحجاً فكتمتَ أمراً
أظهره الله وأطعتَ فاسقاً خذله الله فما بقي من نعتك قال ابن القرية ذهني
جديد وجوابي عتيد قال كيف علمك بالارض قال ليسألني الأمير عما أحب
قال أخبرني عن الهند قال بحرّها دُرٌّ وجبالها ياقوت وشجرها عطر قال فأخبرني
عن مُكران قال ماؤها وشل وتمرها دقل وسهلها جبل ولصّها بطل ان كثير
الجيش بها جاعوا وان قَلّوا ضاعوا قال فخراسان قال ماؤها جامد وعدوّها
جاهد بأسهم شديد وشرّهم عتيد وخيرهم بعيد قال فاليمن قال أرض العرب
ومعدن الذهب قال فعمان قال حرّها شديد وصيدها موجود وأهلها عبيد قال
فالبحران قال كناسة بين مصرين وجنة بين بحرّين قال فهكّة قال قوم
ذوو جفاء ومن سجيّتهم الوفاء قال فالمدينة قال ذوو لطف وبرّ وخير وشرّ
قال فالبصرة قال حرّها فادح وماؤها مالح وفيضها سائح قال فالكوفة قال جنة
بين حماة وكنتّة. العراق تحشد لها والشام يُدرّ عليها سفُلت عن برد الشام
وارتفعت عن حرّ الحجاز قال فالشام قال تلك عروس بين نسوة جلوس
تجلب إليها الاموال وفيها الضراغمة الا بطل قال له الحجاج ثكلتك أمك
أنت المصدر الكتب لابن الاشعث ألم تعلم أنّي لا أّصاحب على الشقاق ولا
أّجامع على النفاق قال ابن القرية استبقني أيها الأمير قال لماذا قال لنبوة بعد
هفوة قال الحجاج لا بل لغدرة بعد نكشة يا غلام ناولني الحربة فتناولها وقد

أَمْسَكَ ابْنُ الْقُرَيْبَةِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ فَلَا يَسْتَطِيعُ تَحْرِيكَهَا وَهَزَّ الْحِجَاجُ الْحَرْبَةَ ثَلَاثًا
فَقَالَ ابْنُ الْقُرَيْبَةِ أَسْمِعْ مِنِّي ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ تَكُنْ بَعْدِي مِثْلًا قَالَ هَاتِ قَالَ لِكُلِّ
جَوَادٍ كِبْرَةٌ . وَلِكُلِّ حَلِيمٍ هَفْوَةٌ . وَلِكُلِّ شَجَاجٍ نَبْوَةٌ . فَوَضَعَ الْحِجَاجُ الْحَرْبَةَ فِي
تَسْدُودِ ابْنِ الْقُرَيْبَةِ وَدَفَعَهَا حَتَّى خَالَطَتْ جَوْفَهُ ثُمَّ خَضَخَضَهَا وَأَخْرَجَهَا فَاتَّبَعَهَا
دُمُ اسْوَدَ فَقَالَ الْحِجَاجُ هَكَذَا تَشْخَبُ أَوْدَاجُ الْإِبِلِ وَفَخَصَ ابْنُ الْقُرَيْبَةِ بِرِجْلَيْهِ
وَشَخَصَ بِصُرِهِ وَجَعَلَ الْحِجَاجُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ حَتَّى قَضَى فُحْمَلٌ فِي النَّطْعِ فَقَالَ
الْحِجَاجُ لِلَّهِ دَرَكٌ يَا ابْنَ الْقُرَيْبَةِ أَيُّ أَدَبٍ فَقَدْنَا مِنْكَ وَأَيُّ كَلَامٍ رَصِينُ سَمْعِنَا
مِنْكَ . وَدَخَلَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَقَالَ لَهُ الْحِجَاجُ هَيْهَ يَا أَنَسُ يَوْمًا مَعَ
الْمُخْتَارِ وَيَوْمًا مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ جَوَّالٌ فِي الْفَتَنِ وَاللَّهُ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَطْحَنَكَ
طَحْنَ الرَّحَا بِالْثِفَالِ وَأَجْعَلَكَ غَرَضًا لِلنِّبَالِ قَالَ أَنَسُ مَنْ يَعْنِي الْأَمِيرَ أَصْلَحَهُ
اللَّهُ قَالَ آيَاكَ أَعْنَى أَسْكَ اللَّهُ سَمْعَكَ فَانصَرَفَ أَنَسُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَكَتَبَ مِنْ
سَاعَتِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِعَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَمَّا بَعْدُ فَانِ الْحِجَاجُ قَالَ لِي نَكَرًا وَأَسْمَعْنِي
هَجْرًا وَلَمْ أَكُنْ لَذَلِكَ مِنْهُ أَهْلًا فَخَذْتُ عَلَى يَدَيْهِ وَاعْدَنِي عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا
قَرَأَ عَبْدُ الْمَلِكِ كِتَابَ أَنَسِ اسْتَشَاطَ غَضَبًا ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ هَيْهَ يَا ابْنَ يَوْسُفَ
أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَنَسٍ فَإِنْ سَوَّغْتَكَ مَضِيَّتَ قُدَمَا وَإِنْ
لَمْ يَسَوَّغْكَ رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى يَا ابْنَ الْمُسْتَفْرَمَةِ بَعَجَمِ الزَّيْبِ أَنْسَيْتَ مَكَاسِبَ
آبَائِكَ بِالطَّائِفِ فِي حَفْرِ الْآبَارِ وَسَدِّ السُّكُورِ وَحَمْلِ الصِّخُورِ عَلَى الظُّهُورِ
أَبْلَغَ مِنْ جَرَأَتِكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُعْنَتَ بِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ست سنين يطلعه على سره ويفشي اليه الاخبار التي كانت تأتيه عن ربه فاذا أتاك كتابي هذا فامش اليه على قدميك حتى تأخذ كتابه الى بالرضا والسلام . فلما وصل كتاب عبد الملك الى الحجاج قال لمن حوله من أصحابه قوموا بنا الى أبي حمزة فقام ماشيا ومضي معه أصحابه حتى أتى أنسا فأقرأه كتاب عبد الملك اليه في أمره فقال أنس جزى الله أمير المؤمنين خيرا كذلك كان رجائي فيه قال له الحجاج فان لك العتي واناصر الى مسرتك فاكتب الى أمير المؤمنين بالرضا فكتب اليه أنس بالرضا عنه ودفعه الى الحجاج فأنفذه الحجاج على البريد الى عبد الملك قالوا ولما حضرت عبد الملك الوفاة وذلك في سنة ست وثمانين أخذ البيعة لابنه الوليد وكان ولده الوليد وسليمان ويزيد وهشام ومسلمة ومحمد ثم قال للوليد يا وليد لا ألفينك اذا وضعتني في حفرتي ان تعصر عينيك كالامة الورهاء بل ايتزر وشمر والبس جلد النمر وادع الناس الى البيعة ثانيا فمن قال برأسه كذا فقل بالسيف كذا ووعك وعكا شديدا فلما أصبح جاء الوليد فقام بباب المجلس وهو غاص بالنساء فقال كيف أصبح أمير المؤمنين قيل له يرجي له العافية وسمع عبد الملك ذلك فقال وكم سائل عنا يريد لنا الردى وكم سائلات والدموع ذوارف ثم أمر بالنساء فخرجن وأذن لبنى أمية فدخلوا عليه وفيهم خالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية فقال لهما يا بني يزيد أتحبان ان أقبلكما بيعة الوليد قالا معاذ الله يا أمير المؤمنين قال لو قلتما غير ذلك لامرت بقتلكما على حالتي هذه ثم ثم خرجوا عنه واشتد وجهه فتمثل بيت امية بن أبي الصلت

ليتني كنت قبل ما قد بدالى فى قلال الجبال أرى الوُعولا

فلم يمس يومه ذلك حتى قضى وكان سلطانه احدى وعشرين سنة وستة أشهر
وكان له يوم مات ثمان وخمسون سنة من ذلك سبع سنين كان فيها محاربا
لعبد الله بن الزبير ثم صفا له الملك بعد قتله ابن الزبير ثلاث عشرة سنة ونصفا

(خلافة الوليد بن عبد الملك)

ولما انصرف الوليد من قبل أبيه قصد المسجد الاعظم واجتمع اليه الناس
فبايعوه وعقد لعمر بن عبد العزيز بن مروان على الحرمين فقتل المدينة فدعا
ب عشرة نفر من أفاضل أهلها منهم عزرة بن الزبير وعبيد الله بن عتبة وأبو
بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وأبو بكر بن سليمان بن أبي حشمة
وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله فاجتمعوا فدخلوا عليه فقال
اعلموا أنى لست أقطع أمرا إلا برأيكم ومشورتكم فأشيروا علىّ قالوا نفعل أيها
الامير جزيت على ما تنوى خيرا ما جزي مؤثرا لمرضاة ربه ثم خرجوا

(بناء الحرم المدني)

ثم كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز أن يشتري الدور التي حول
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزيدها فى المسجد ويجدد بناء المسجد
وكتب الى ملك الروم يُعلمه ما هم به من ذلك ويسأله أن يبعث اليه ما استطاع
من الفسيفساء فوجه اليه منها أربعين وسقا فبعث به الى عمر بن عبد العزيز
فهدم عمر المسجد وزاد فيه وبناه وزينه بالفسيفساء

(عبور نهر بلخ وفتح بخارى وسمرقند)

وكان على خراسان من قبل الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي فكتب اليه الحجاج يأمره بعبور النهر نهر بلخ وأن يفتح تلك البلاد فاستعد قتيبة وسار في المفازة التي بين مدينة مرو وبين مدينة آموية وهي ذات رمال وغضا فصار الى آموية ثم عبر النهر وسار الى بخارى وكان ملك تلك الارضين يسمى صول وكان ملكه على جميع ما وراء النهر فلقبه الملك فخار به قتيبة فهزمه وهرب صول نحو الصغانيان فاحتوى قتيبة على بخارى وحيزها فولى عليها رجلا وسار حتى وافى بلاد السغد فأناخ على مدينتها العظمى وهي سمرقند فحاصرها أشهراً فوجه اليه دهقانها انك لو أقمت على مدينتي هذه عمرك لم تصل اليها لأننا نجد في كتب آبائنا أنه لا يقدر عليها إلا رجل اسمه بالان لست إياه فاهض لشأنك فزعموا أن قتيبة احتال لما يئس من مكابرتها فهيأ صناديق وجعل لها أبواباً من أسافلها تغلق من داخل وتفتح وجعل في كل صندوق رجلاً مستلماً معه سيفه وأقل أبوابها العليا ثم أرسل الى الدهقان أما اذ كان هذا هكذا فاني راحل عنك الى الصغانيان وناحيتها ومعى فضول أموال وسلاح فوادعني واحرز هذه الصناديق عندك الى عودي ان سلمت فأجابه الى ذلك وتقدم قتيبة الى الرجال أن يفتحوا أبواب الصناديق في جوف الليل فيخرجوا ثم يصيروا الى باب المدينة فيفتحوه وأمر الدهقان بالصناديق فأدخلت المدينة فلما جن الليل وهذا الناس خرج الرجال مستلّمين معهم السيوف لا يستقبلهم أحد إلا قتلوه حتى أتوا باب المدينة فقتلوا الحرس وفتحوا الباب ودخل قتيبة بالجيش ووقعت

الواعية وهرب الدهقان في سرب فالحق بالملك وصارت سمرقند في قبضة قتيبة
فخلف عليها رجلا وسار حتى أتى الصغانيان فهرب الملك منه حتى صار في بلاد
الترك ووغل فيها وخلق المملكة لقتيبة فدخل قتيبة الصغانيان ووجه عماله الى
كش ونسف وافتتح جميع ما وراء النهر وجميع تخارستان ولم يبق من خراسان شيء
الا افتتحه ولم يزل قتيبة بخراسان سنين حتى شغب عليه أجناده فقتلوه فاستعمل
الوليد بن عبد الملك عليها الجراح بن عبد الله الحنكي وحج الوليد بن عبد
الملك في سنة احدى وتسعين وقد فرغ عمر بن عبد العزيز من بناء مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم فدخله وطاف به ونظر الى بنائه ولم يكن بقي في
زمن الوليد من الصحابة الا نفر يسير منهم بالمدينة سهل بن سعد الساعدي
وكان يكنى أبا العباس توفي في آخر خلافة الوليد وكان يوم مات ابن مائة
سنة ومنهم جابر بن عبد الله وبالبصرة أنس بن مالك وبالكوفة عبد الله بن
أبي أوفى وبالشام أبو أمامة الباهلي . وفي السنة الخامسة من خلافة الوليد مات
الحجاج بواسط وله أربع وخمسون سنة وكانت امرته على العراق عشرين سنة
منها في خلافة عبد الملك خمس عشرة سنة وفي خلافة الوليد خمس سنين وقد
كان قتل سعيد بن جبير قبل موته بأربعين يوما . قالوا وكان يقول في طول
مرضه اذا هجر مالي ولك يا ابن جبير وقتل ابن جبير وهو ابن تسع وأربعين
سنة وكان يكنى أبا عبد الله وكان ولاؤه لبني أمية

(خلافة سليمان بن عبد الملك)

ولما تم للوليد بن عبد الملك تسع سنين وستة أشهر حضرته الوفاة فأسند

الملك الى أخيه سليمان بن عبد الملك فبويع سليمان في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وسليمان يومئذ من أبناء سبع وثلاثين سنة فملك سليمان سنتين وثمانية أشهر ثم مرض مرضه التي مات فيها فلما ثقل كتب كتابا وختمه ولم يدر أحد ما كتب فيه ثم قال لصاحب شرطه اجمع اليك اخوتي وعمومتي وجميع أهل بيتي وعظماء أجناد الشام واحملهم على البيعة لمن سميت في هذا الكتاب فمن أبى منهم أن يبايع فاضرب عنقه ففعل فلما اختموا في المسجد أمرهم بما أمر به سليمان فقالوا اخبرنا من هو لنبايعه على بصيرة فقال والله ما أدري من هو وقد أمرني أن أضرب عنق من أبى قال رجاء بن حيوة فدخلت على سليمان فأكبت عليه وقلت يا أمير المؤمنين من صاحب الكتاب الذي أمرتنا بمبايعته فقال ان أخوي يزيد وهشاما لم يبايعا أن يؤتمنا على الأمة فجعلتهما للرجل الصالح عمر بن عبد العزيز فاذا توفي عمر رجع الأمر إليهما فخرج رجاء بن حيوة فأخبر يزيد وهشاما بذلك فرضا وسلما وبايعا . ثم بايع بعدهما جميع الناس وكان أكبر ولده يومئذ محمد بن سليمان كانت له اثنتا عشرة سنة فجعل يقول وهو يجود بنفسه

إِنَّ بَنِيَّ صَبِيَّةٌ صَيْفِيُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونَ

وذكر عن الكلبي أنه قال بعث إلى سليمان بن عبد الملك فدخلت عليه وقد انتفخ سحرى فسلمت عليه بالخلافة فردّ عليّ السلام ثم أومأ إليّ فجلست فسكت عني حتى إذا سكن جاشي قال لي يا كلبي ان ابني محمدا قرّة عيني وثمره قلبي وقد رجوت أن يبلغ الله به أفضل ما بلغ رجلا من أهل بيته

وقد وليتلك تأديبه فعلمه القرآن وروّه الاشعار فان الشعر ديوان العرب وفهمه
 أيام الناس وخذه بعلم الفرائض وفهمه السنن ولا تفتقر عنه ليلا ولا نهارا فاذا
 أخطأ بكلمة أوزل بحرف أو هفا بقول فلا تؤنبه بين يدي جلسائه ولكن
 اذا خلا لك مجلسه لئلا تمحكه واذا دخل عليه الناس للتسليم فخذ به بالطافهم
 واظهار برهم واذا حيوه بتحية فليحيهم بأحسن منها وأطيبا لمن حضر بمائدتكما
 الطعام وأحمله على طلاقة الوجه وحسن البشر وكظم الغيظ وقلة القدر والتثبت
 في المنطق والوفاء بالعهد وتنكب الكذب ولا يركبن فرسا محدوفا ولا مهلوبا
 ولا يركبن بسر ج صغير فتبدوا اليته منه قال فلم يلبث سليمان بعد ذلك الا
 قليلا حتى مات

(خلافة عمر بن عبد العزيز)

وأسند الأمر الى عمر بن عبد العزيز . قالوا فلما استخلف قعد للناس
 على الارض فقليل له لو أمرت ببساط يبسط لك فتجلس ويجلس الناس عليه
 كان ذلك أهيب لك في قلوب الناس فتمثل

قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى له صبرة احدى الليالى الغواير
 ولولا التقى من خشية الموت والردى لعاصيت فى حب الصبا كل زاجر
 وكان اذا جلس للناس قال بسم الله وبالله وصلى الله على رسول الله (أفرايت
 ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون) ثم
 تمثل بهذه الايات

نسر بما يبلى ونشغل بالمنى كما سر بالاحلام فى النوم حالم

نهارك يامغرور سهوً وغفلةً وليك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا يعيش البهائم
ثم نصب نفسه لرد المظالم وبدأ يبنى أمة وأخذ ما كان في أيديهم من الغصب
فردها على أهلها فدخل عليه أناس من خاصته فقالوا يأمير المؤمنين ألا تخاف
غوائل قومك فقال أيوم سوى يوم القيامة تخوفونني فكل خوف أتيه قبل
يوم القيامة لا وقتيه . فلما تم لخلافته سنتان وخمسة أشهر مات

(خلافة يزيد بن عبد الملك)

وأفضى الأمر الى يزيد بن عبد الملك في أول سنة مائة واحد فولى
المصريين أخاه مسلمة بن عبد الملك وكان مسلمة ذاعقل كامل وأدب فاضل
فاستعمل مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحكم بن أبي
العاص بن أمة .

(بدء الدعوة العباسية)

قالوا وفي ذلك العام توفدت الشيعة على الامام محمد بن علي بن عبد الله
ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وكان مستقره بأرض الشام بمكان يسمى
الحيمة وكان أول من قدم من الشيعة ميسرة العبدى وأبو عكرمة السراج
ومحمد بن خنيس وحيان العطار فقدم هؤلاء عليه فأرادوه على البيعة وقالوا له
ابسط يدك لتبايعك على طلب هذا السلطان لعل الله أن يحيى بك العدل
ويميت بك الجور فان هذا وقت ذلك وأوانه الذي وجدناه مأثورا عن
علمائكم فقال لهم محمد بن علي هذا أوان مانوئل ونرجو من ذلك لا تقضاء

مائة سنة من التاريخ فانه لم تنقض مائة سنة على أمة قط الا أظهر الله حق المحقين وأبطل باطل المبطلين لقول الله جل اسمه (أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه) فانطلقوا أيها النفر فادعوا الناس في رفق وستر فأتى أرجو أن يتم الله أمركم ويظهر دعوتكم ولا قوة الا بالله / ثم وجه ميسرة العبدى ومحمد بن خنيس الى أرض العراق ووجه أبا عكرمة وحيّان العطار إلى خراسان وعلى خراسان يومئذ سعيد بن عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص فجعلوا يسيرون في أرض خراسان من كورة الى أخرى فيدعوان الناس الى بيعة محمد بن علي ويؤمّنونهم في سلطان بني أمية نخب سيرتهم وعظيم جورهم فاستجاب لهما بخراسان أناس كثير وفشا بعض أمرهم وعلان فبلغ أمرهما سعيدا فأرسل اليهم فأتى بهم فقال من أنتم قالوا نحن قوم تجار قال فما هذا الذي يذكر عنكم قالوا وما هو قال أخبرنا انكم جئتم دعاة لبني العباس قالوا أيها الأمير لنا في أنفسنا وتجارتنا شغل عن مثل هذا فأطلقهم فخرجوا من عنده وارتحلا من مرو فجعلوا يدوران كور خراسان ورسايقها في عداد التجار فيدعوان الناس الى الامام محمد بن علي فكثا بذلك عامين ثم قدما على الامام محمد بن علي بأرض الشام فأخبراه أنهما قد غرسا بخراسان غرسا يرجوان أن يثمر في أوانه والفياء قد ولد له أبو العباس ابنه فأمر باخراجه اليهم قال هذا صاحبكم فقبلوا أطرافه كلّا وكان مع الجنيد بن عبد الرحمن عامل السند رجل من الشيعة يسمى بكير بن ماهان فانصرف الى

موطنه من الكوفة وقد أصاب بأرض السند مالا كثيرا فلقية ميسرة العبدى وابن خنيس وأخبره بأمرها وسألاه أن يدخل في الأمر معها فأجابهما إليه وقام معهما وأنفق جميع ما استفاد بأرض السند من الأموال بذلك السبب ومات ميسرة بأرض العراق وكتب الامام محمد بن عيسى الى بكير بن هاشم أن يقوم مقام ميسرة وكان بكير يكنى بأبي هاشم وبها كان يعرف في الناس وكان رجلا مفوها فقام بالدعاء وتولى الدعوة بالعراقين وكان كتب الامام تأتيه فيغسلها بالماء ويعجن بغسلاتها الدقيق ويأمر فيختبز منه قرص فلا يبقى احد من أهله وولده الا أطعمه منه ثم انه مرض مرضه الذي مات فيه فأوصى الى أبي سلمة الخلال وكان أيضا من كبار الشيعة وكتب الى الامام بعلفه ذلك فكتب محمد بن عيسى الى أبي سلمة فولاه الأمر وأمره بالقيام بما كان يقوم به أبو هاشم ثم كتب الى أبي عكرمة وحيان وكانا صاحبي الأمر بخراسان يأمرهما أن يكاتبا أباسلمة وينتھيا الى أمره ورأيه وكان يقطين والوليد بن الأزرق صديقين لأبي سلمة فدعاهما الى الدخول معه في أمره فأجاباه ودخلا معه وكانفاه ثم ان يزيد بن عبد الملك عزل أخاه مسلمة عن العراق وخراسان واستعمل مكانه خالد بن عبد الله القسري واستعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله على خراسان فاتته خبر أبي عكرمة وحيان الى أسد بن عبد الله فأمر بطلبهما فأخذا وأتى بهما فضربت أعناقهما وصلبا . وبلغ ذلك محمد بن عيسى فقال الحمد لله الذي صحح هذه العلامة وقد بقي من شيعتي رجال سوف يفوزون بالشهادة فلما تم للملك يزيد بن عبد الملك أربع سنين وأشهر توفي باللقاء من

أرض دمشق وكانت وفاته سنة خمس ومائة وله يوم مات ثمان وثلاثون سنة

(خلافة هشام بن عبد الملك)

ثم استخلف هشام بن عبد الملك وهو ابن أربع وثلاثين سنة فعزل أسد
ابن عبد الله عن خراسان وولاهما الجنيد بن عبد الرحمن وكان رجلاً من اليمانية
ذا فضل وسخاء وهو الذي يقول فيه الشاعر

ذهب الجودُ والجنيدُ جميعاً فعلى الجودِ والجنيدِ السلامُ

ولما قتل أبو عكرمة وحيان وجه الامام محمد بن عليّ الى خراسان خمسة نفر
من شيعة سليمان بن كثر ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب وخالد بن الهيثم
وطليحة بن زريق وأمرهم بكتمان أمرهم وأن لا يُفشوه الى أحد إلا بعد أن
يأخذوا عليه العهد المؤكدة بالكتمان فساروا حتى أتوا خراسان فكانوا
يأتون كورة بعد كورة فيدعون الناس سرا الى أهل بيت نبيهم ويُبغضون
اليهم بنى أمية لما يظهر من جورهم واعتدائهم وركوبهم القبائح حتى استجاب
لهم بشر كثير في جميع كور خراسان وبلغ الجنيد أمرهم فأمر بطلبهم وأخذوا وأتى
بهم الجنيد فقال يا فسقة قدمتم هذه البلاد فأفسدتم قلوب الناس على بنى أمية
ودعوتهم الى بنى العباس فتكلم سليمان بن كثر وقال أيها الامير أأذن لي في
الكلام قال تكلم قال إنا وإياك كما قال الشاعر

لو بغير الماء خلق شريقٌ لاستغثت اليوم بالماء القراح

فعلك أيها الامير أنا أناس من قومك اليمانية وإن هؤلاء المضرية تعصبوا
علينا فارقوا اليك فينا الزور والبهتان لأننا كنا أشد الناس على قتيبة فهم الآن

يطلبون بثأره بكل علة فقال الجنيد لمن كان حوله من أصحابه ماترون فتكلم
عبد الرحمن بن نعيم رئيس ربيعة وكان من خاصته نرى أن تمن بهم على قومك
فلعل الامر كما يقولون فأمر بإطلاقهم فخرجوا وكتبوا بقصتهم الى الامام فكتب
اليهم إن هذا أقل ما ايكم فاكموا أمرهم وترفقوا في دعوتكم فساروا من
مدينة مرو الى بخارى ومن بخارى الى سمرقند ومن سمرقند الى كش ونيف
ثم عطفوا على الصغانيان وجازوا منها الى ختلان وانصرفوا الى مرو وروذ
والطالقان وعطفوا الى كهرات وبوشنج وجازوا الى سجستان فغرسوا في هذه
البلدان غرسا كثيرا وفشا أمرهم في جميع أقطار خراسان وبلغ ذلك الجنيد
فأسف على تركهم ووجه في طلبهم فلم يقدر عليهم فكتب الى خالد بن عبد الله
القسري وكان على العراق يعلمه انتشار خراسان وما حدث فيها من الدعاة
الى محمد بن علي فكتب خالد بن عبد الله الى هشام يعلمه بذلك فكتب
اليه هشام يأمره بالكتاب الى الجنيد ألا يرغب في الدماء وأن يكف عمن
كف عنه ويُسكن الناس بجوده وأن يطلب النفر الذين يدعون الناس حتى
يجدهم فينفهم فلما انتهى ذلك الى الجنيد بعث رسله في أقطار خراسان وكتب
الى عماله في الكور بطلب القوم فطأبوا فلم يُدرك لهم أثر

(بدء أمر أبي مسلم الخراساني)

قالوا وكان بدء أمر أبي مسلم انه كان مملوكا لعيسى ومعقل ابني ادريس
ابن عيسى العجليين وكان مسكنهما بماء البصرة مما يلي أصبهان وكان أبو مسلم
وُلد عندهما فنشأ غلاما فهما لقنا أديبا ذهنا فأحباه حتى نزل منهما منزلة الولد وكانا

يتوليان بني هاشم ويكاتبان الامام محمد بن علي فكتبنا بذلك ما شاء الله .
ثم ان هشاما عزل خالد بن عبد الله القسري عن العراق وولى مكانه يوسف
ابن عمر الثقفي فكان يوسف بن عمر لا يدع أحدا يعرف بموالاة بني هاشم
ومودة أهل بيت رسول الله الا بعث اليه فحبسه عنده بواسط فبلغه أمر عيسى
ومعقل ابني ادريس فأشخصهما وحبسهما بواسط فيمن حبس من الشيعة وكانا
أخرجا معهما أبا مسلم فكان يخدمهما في الحبس وان سليمان بن كثير ومالك
ابن الهيثم ولاهز بن قرط وهم كانوا الدعاة بخراسان قدموا للحج وقدم معهم
قحطبة بن شبيب وكان ممن بايعهم وشايعهم على أمرهم فجعلوا طريقهم على
مدينة واسط ودخلوا الحبس فلقوا من كان فيه من الشيعة فرأوا أبا مسلم فأعجبهم
ما رأوا من هيئته وفهمه واستبصاره في حب بني هاشم ونزل هؤلاء النفر بعض
الفنادق بواسط فكان أبو مسلم يختلف اليهم طول مقامهم حتى أنس بهم
وأنسوا به فسألوه عن أمره فقال ان أمي كانت أمة لعмир بن بطين العجلي
فوقع عليها فحملت بي فباعها وهي حامل فاشتراها عيسى ومعقل ابنا ادريس
فولدت عندهما فانا كهيسة المملوك لهما ثم ان النفر شخصوا من واسط وأخذوا
نحو مكة على طريق البصرة فوصلوا الى مكة وقد وافاها الامام محمد بن علي
حاجا فلقوه وسلموا عليه وأخبروه بما غرسوا به في جميع خراسان من الغرس ثم
أخبروه بممرهم بواسط ودخولهم على اخوانهم المحبسين بها ووصفوا له صفة
أبي مسلم وما رأوا من ذكاء عقله وفهمه وحسن بصره وجودة ذهنه وحسن
منطقه فسألهم أحر هو أم مملوك فقالوا أما هو فيزعم أنه ابن عمير بن بطين

العجلى كانت قصته كيت وكيت ثم فسروا له ما حكى لهم من أمره فقال
 ان الولد تبع للأم فاذا انصرفتم فاجعلوا ممركم بواسطة فاشتروه وابعثوا به الى
 الحُمَيْمَةِ من أرض الشام لاجعله الرسول فيما بيني وبينكم على اني أحسبكم
 لا تلقوني بعد عامي هذا فان حدث بي حدث فصاحبكم ابني هذا يعنى
 ابراهيم فاستوصوا به خيرا فاني سأوصيه بكم خيرا فانصرف القوم نحو خراسان
 ومروا بواسطة ولقوا عيسى ومعقل ابني ادريس فأخبروها بحاجة الامام الى
 أبي مسلم وسألوها بيعه منهم فزعموا انهما وهباه له فوجه به القوم الى الامام
 فلما رآه تفرّس فيه الخير ورجا أن يكون هو القيم بالأمر لعلامات رآها فيه
 قد كانت بلغت فجعله الرسول فيما بينه وبينهم فاختلف اليهم مرارا كثيرة ثم
 توفي الامام محمد بن عليّ فقام بالأمر بعده ابنه ابراهيم بن محمد وكان أكبر
 ولده فأمر أبا مسلم أن يسير الى الدعاة بالعراق وخراسان فيعلمهم وفاة الامام
 وقيامه بالأمر من بعده فسار حتى وافى العراق ولقى أبا سامة ومن كان معه
 من الشيعة فأخبرهم بما أمره به ثم سار الى خراسان ولقى الدعاة بها فأخبرهم
 بذلك وبلغ وفاة الامام جميع من بايع في أقطار خراسان فسودّوا ثيابهم حزنا
 لمصابه وتسلبا عليه وكان أول من سودّ منهم ثيابه حريش مولى خزاعة وكان عظيم
 أهل نسا ثم سودّوها من بعده قحطبة بن شبيب ثم سودّ القوم جميعا وكثرت الشيعة
 بخراسان كما وعلن أمرهم وكتب يوسف بن عمر وكان على العراقيين الى هشام
 يخبره بذلك فكتب هشام الى يوسف يأمره أن يبعث اليه رجلا له علم بخراسان
 ومعرفة بمن فيها من قوادها وجنودها وقد كان يوسف بن عمر عزل عنها الجعيد بن

عبد الرحمن واستعمل عليها جعفر بن حنظلة البهراني فكتب جعفر الى يوسف بن عمر مع عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي يخبره بتفاهم أمر المسودة بخراسان وكثرة من أجاب الدعاة بها فلما أتاه كتاب هشام يأمره أن يوجه اليه رجلا له علم بخراسان حمل عبد الكريم بن سليط اليه على البريد قال عبد الكريم فسرت حتى وافيت دمشق فدخلت على هشام فسلمت عليه بالخلافة فقال لي من أنت قلت أنا عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي قال كيف علمك بخراسان وأهلها قلت أنا بها جد عالم ثم أخبرته ان وجهي كان منها بكتاب أميرها جعفر بن حنظلة البهراني الى يوسف بن عمر يخبره بما حدث فيها قال اني أريد أن أولى أمرها رجلا من القواد الذين هم مرتبون بها فمن ترى ان أولى أمرها منهم وأئهم أقوم بها قال عبد الكريم وكان هواي في اليمانية فقلت يا أمير المؤمنين أين أنت عن رجل من قوادها ذي حزم وبأس ومكيدة وقوة ومكانة من قومه قال ومن هو قلت جديع ابن علي الأزدي المعروف بالكرماني قال وكيف سمي الكرماني قلت وُلد بكرمان كان أبوه مع المهلب عند محاربته الازارقة فولد هذا هناك قال لا حاجة لي في اليمانية وكان هشام يبغض اليمانية وكذلك سائر بني أمية قلت يا أمير المؤمنين فأين أنت من المجرب البطل النافذ اللسن قال ومن هو قلت يحيى بن نعيم المعروف بأبي الميلاء وهو ابن أخي مصقلة بن هبيرة قال لا حاجة لي فيه لان ربعة لا تُسد بها الثغور قلت يا أمير المؤمنين فعليك بالماجد الليب الاريب الكامل الحسيب عقييل بن معقل الليثي قال فكأنه هويه فقلت ان

اغفرت منه هنةً فيه قال وما هي قلت ليس بعفيف البطن والفرج قال لا حاجة لي فيه قلت قال كامل النافذ الفارس المجرب مُحسِّن بن مزاحم السلمي قال فكأنَّه هو يه للمضريَّة قلت ان اغفرت هنةً فيه قال وما هي قلت أ كذب ذي لهجة قال لا حاجة لي فيه قلت فذو الطاعة لكم المتمسك بعهدكم المقتدى بقدوتكم يحيى بن الحُضَيْن بن المنذر بن الحرث بن وعلة قال ألم أخبرك ان ربيعة لا تسد بها الثغور قلت قال كامل النافذ الشجاع البطل قطن بن قتيبة ابن مسلم قال فقال اليه أيضا بالمضريَّة قلت ان اغفرت منه هنة قال وما هي قلت لا آمنه ان أفضى اليه السلطان أن يطلب جنود خراسان بدم أبيه قتيبة فانهم جميعا تظافروا عليه قال لا حاجة لي فيه قلت فأين أنت من العفيف المجرب الباسل المحنك نصر بن سيار الليثي قال فكأنَّه تفاءل به وهال اليه بالمضريَّة قلت ان اغفرت منه خصلة قال وما هي قلت ليست له بخراسان عشيرة من جنودها وانما يقوى على ولاية خراسان من كانت له بها عشيرة من جنودها قال فأىّ عشيرة أكثر منى لا أبالك يا غلام انطلق الى الكتاب فمرهم بانشاء عهده وأئتوني به فكتب له عهده وأتى به فناولنيه وقال انطلق حتى توصله اليه ثم أمر أن أحمل على البريد فسرت حتى وافيت خراسان فأتيته في منزله فناولته العهد فأمر لي بعشرة آلاف درهم ثم تناول العهد فانطلق الى جعفر بن حنظلة الأمير كان بها فدخل عليه وهو جالس على سريره فناوله العهد فلما قرأه أخذ بيد نصر فرفعه حتى أجلسه معه على سريره وقال سمعا وطاعة لا مير المؤمنين فقال له نصر أبا خلف السلطان سلطانك فمر بأمر

ودعاه جعفر بن حنظلة وسلم الأمر إليه . وان سليمان بن كثير ولاه بن
قرط ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب أرادوا الحج فخرجوا مع الحاج
مستكرين حتى أتوا مكة وقد وافها في ذلك العام ابراهيم بن محمد الامام
فأخبروه بما اجتمع له الناس بخراسان وقد كانوا حملوا اليه ما بعثت به اليه
الشيعة فقالوا قد حملنا اليك مالا قال ومكم هو قالوا عشرة آلاف دينار ومائتا
ألف درهم فقال سلموه الى مولاي عروة فدفعوه اليه فقال لهم ابراهيم اني قد
رأيت أن اولى الامر هناك أبا مسلم لما جرت من عقله وبلوت من أمانته وأنا
موجهه معكم فاسمعوا له وأطيعوا أمره فان والذي رحمة الله عليه قد كان وصف
لنا صفته وقد رجوت أن يكون هو الذي يسوق لنا الملك فعاونوه وكانفوه
وانتهوا الى رأيه وأمره قالوا سمعنا وطاعة لك أيها الامام فانصرفوا وأبو مسلم معهم
حتى صاروا الى خراسان فتشمر أبو مسلم للدعاء وأخذ القوم بالبيعة ووجه كل
رجل من أصحابه الى ناحية من خراسان فكانوا يدرون بها كورة كورة
وبلدا بلدا في زى التجار فاتبعه عالم من الناس عظيم فواعدهم لظهوره يوما
سماهم وولى على من بايعه في كل كورة رجلا من أهلها وتقدم اليهم بالاستعداد
للخروج في ذلك اليوم الذي سماء لهم حتى أجاب جميع أرض خراسان
سهلها وجبالها وأقصاها وأدناها وبلغ في ذلك ما لم يبلغه أصحابه من قبله واستتب
له الامر على محبته وصار من أعظم الناس منزلا عند شيعة حتى كانوا يتحالفون
به فلا يحشون ويذكرونه فلا يملون . وقد كان خالد بن عبد الله القسري
ولى العراقين عشر سنين أربعا في خلافة يزيد بن عبد الملك وستا في خلافة

هشام فلما عزله هشام وولى مكانه يوسف بن عمر حاسبه يوسف فخرج عليه عشرة آلاف ألف درهم قد كان وهبها للناس وبذرهما وكان من أسخى العرب فحبسه يوسف بن عمر عنده بالعراق وكتب الى هشام بتقاعد خالد بالمال الذى خرج عليه فكتب اليه هشام باليسط عليه فدعا به يوسف بن عمر وقال ما هذا التقاعد بماال الساطان يا ابن الكاهن يعني شق بن صعب المعروف بالكهانة وكان خالد بن عبد الله من ولده فقال له خالد بن عبد الله أتعيرنى بشرفى يا ابن الحمار وانما كان أبوك وجدك بالطائف أصحاب حانة وبلغ هشاما ان خالدا بذّر ذلك المال فى الناس فكتب الى يوسف يأمره باطلاقه والكف عنه فلم يزل خالد مقبلا بالكوفة حتى خرج زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام بالكوفة وكان خروجه فى صفر سنة ثمان عشرة ومائة فسار اليه يوسف بن عمر فالتقوا بالكُناسة فانهزم أصحاب زيد وخذلوه فأخذه يوسف بن عمر فضرب عنقه وبعث برأسه الى هشام وصاب جسده بالكُناسة . وان خالدا كتب الى هشام يستأذنه فى الخروج الى طرسوس غازيا متطوعا فأذن له هشام فى ذلك فسار حتى وافى طرسوس فأقام بها مرابطا وان رجلا من أهل العراق كان يتلصص ويكنى أبا المعرّس قدم من الكوفة نحو أرض الشام فى جماعة من اصوص الكوفة حتى وافوا مدينة دمشق فكان اذا جنه الليل أشعل فى ناحية من السوق النار فاذا تصايح الناس واشتغلوا باطفاء الحريق أقبل فى أصحابه الى ناحية أخرى من السوق فكسر الاقفال وأخذ ما قدر عليه ثم هرب فدخل كلثوم بن

عياض القسريّ على هشام وكان معاديا لخالد بن عبد الله وهو ابن عمه فقال
لهشام يا أمير المؤمنين ان هذا الحريق لم يكن بدمشق وقد حدث وما هو
الا عمل محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ وغلماناه فأمر هشام بطلب محمد
ابن خالد فأتوه به وبغلمان له فأمر بحبسهم وحبس غلماناه وبلغ ذلك خالدا وهو
بطرسوس فسار حتى وافى دمشق فنزل في داره بها وغدا عليه الناس مسلمين
حتى اذا اجتمعوا عنده قال أيها الناس خرجت غازيا بأذن هشام وأمره فحبس
ابني وغلماناي أيها الناس مالي ولهشام والله ليكفنّ عني هشام يسميه في كل
ذلك باسمه ولا يقول أمير المؤمنين أو لادعونّ الى عراقى الهوى شاميّ الدار
حجازيّ الاصل ابراهيم بن محمد بن شلىّ بن عبد الله بن عباس الا واني قد
أذنت لكم أن تبالغوا هشاما وبلغ هشاما ذلك فقال خرف أبو الهيثم وأنا
حرىّ باحتماله لتقديم حرمة وعظيم حقه فأقام خالد بن عبد الله بمدينة دمشق
عابا لهشام مصارما له لا يركب اليه ولا يعأ به وهشام في كل ذلك يحتمله
ويحلم عنه . وان رجلا يسمى عبد الرحمن بن ثويب الكلبي دخل على خالد
ابن عبد الله فسلم عليه وعنده نفر من أشرف أهل الشام فقال له يا أبا الهيثم
اني أحببك لعشر خصال فيك يحبها الله منك منها كرمك وعفوك ودينك
وعدلك ورأفتك ووقارك في مجلسك ونجدةك ووفائك وصلتك ذوى رحمتك
وأدبك فإثنى عليه خالد وقال له خيرا وبلغ هشاما ذلك فقال أبلغ من أمر
الفاسق عبد الرحمن بن ثويب أن يصف خالدا بمحاسن لم تجتمع في أحدهم
للخلفاء المؤمنين على عباد الله وبلاده ثم أمر به فأحسن أدبه ونفى عن دمشق

و بلغ ذلك خالداً وعنده أناس من وجوه أهل الشام فقال لهم ألا تعجبون من صنع هشام برجل ذكر مني خصالاً زعم أنه يحبني لها فضر به وطرده وإن أعظم مما قال في عبد الرحمن بن ثويب قول عبد الله بن صيفي حين قال له يا أمير المؤمنين أخيفتك في أهلك أحب اليك وآثر عندك أم رسولك قال هشام بل خليفتي في أهلي قال فأنت خليفة الله في أرضه وخلقه ومحمد رسوله صلى الله عليه وسلم إليهم فأنت أكرم على الله منه فلم ينكر هذه المقالة من عبد الله بن صيفي وهي تضارع الكفر ويغضب على عبد الرحمن بن ثويب وينكر عليه ما وصفني به من خصال يحبها الله فاجبني لها فلم يحفل هشام حين بلغه ذلك من قول خالد ولم يؤاخذ به شيئاً من مقالته . فلما تم خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر مرض مرضته التي مات فيها فأُسند الخلافة إلى ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك

(خلافة الوليد بن يزيد)

فلما استخلف الوليد بن يزيد أمر صاحب شرطه سعيد بن غيلان بأخذ خالد بالمال الذي عليه من بقايا خراج العراقيين والبسط عليه وقال اسمعني صياحه فأقبل سعيد بن غيلان إلى خالد وهو في منزله فأخرجه فانطلق به إلى السجن فعذبه يومه ذلك بالوان العذاب فلم يكلمه خالد بحرف وقال الاشعث ابن القين فيما نال خالداً

ألا إن خير الناس نفسا ووالدا أسير قريش عندها في السلاسل
لعمرى لقد أعمرت السجن خالدا وأوطأتموه وطأة المتأصل

فان تحبسوا القسرى لا تحبسوا اسمه ولا تحبسوا معروفه في القبائل
وقدم يوسف بن عمر الثقفي بمال العراقيين على الوليد فجلس الوليد للناس
وأذن لهم اذنا عاما فتكلم زياد بن عبد الرحمن الضمري وكان معاندا لخالد
فقال يا أمير المؤمنين على محاسبة خالد بخمسة آلاف ألف درهم فسلمه الى
فأرسل الوليد الى خالد وهو في السجن ان زياد بن عبد الرحمن قد أعطى
بمحاسبتك خمسة آلاف الف درهم فان صححتها لنا والا دفعناك اليه فأرسل
اليه خالد ان عهدي بالعرب لا تباع وبالله ان لو سألتني أن أضمن لك هذا
ورفع عودا من الارض ما فعلت فلما رأى الوليد بن يزيد تقاعد خالد بما
عليه من المال أمر به فسلم الى يوسف بن عمر وقال انطلق به معك الى العراق
واستأده جميع ما عليه من المال فحمله يوسف بن عمر الى واسط فكان يخرج
كل يوم ويعذبه ثم يرده الى الحبس فأخرجه ذات يوم وقال ما هذا التقاعد
يا ابن المائقة فقال له خالد ما ذكرك الامهات لعنك الله والله لا أكلمك
بكلمة أبدا فغضب يوسف بن عمر من ذلك فوضع على خالد المضرسه
وجعل يعذبه بها حتى قتله فدفنه ليلا في عباءة كانت عليه فأنشأ الوليد
ابن يزيد .

ألم تهتج فتذكر الوصلا وحبلا كان متصلا فزالا
بلى فالدمع منك له سجلا كء الغرب ينهمل انهمالا
فدع عنك اذكارك آل سعادى فنحن الأكتزون حصى ومالا
ونحن المالكون الناس قسرا نسومهم المذلة والنكالا

ونور دهم حياض الخسف ذلاً
 وطئنا الأشعرين بكل أرض
 وكندة والسكون قد استعاذوا
 شد دنا ملكنا بيني نزار
 وهذا خالد فينا قتيلاً
 ولو كانت بنو قحطان عرباً
 ولا تركوه مسلوباً أسيراً
 ولكن المذلة ضعفتهم
 وما نألوهم إلا خبالاً
 ولم يك وطونا أن يستقلاً
 نسوهم المذلة والخبالاً
 وقومنا بهم من كان مالا
 ألا منعوه إن كانوا رجالاً
 لما ذهب صنائعه ضلالاً
 نحمله سلاسلنا الثقلاً
 فلم يجدوا لذتهم مقالاً

فلما سمع من كان باقطار الشام من اليمانية هذا الشعر أنفوا أنفاً شديداً فاجتمعوا من مدن الشام وساروا نحو الوليد بن يزيد وبلغ الوليد مسيرهم فأمر بمحمد ابن خالد بن عبد الله فحبس بدمشق وأقبلت اليمانية وخرج اليهم الوليد بمضر مستعداً للحرب فالتقوا واقتتلوا وأثخنت اليمانية القتل في مضر فانهزمت مضر وأخذوا نحو دمشق ودخل الوليد قصره فتحصن فيه وأقبلت اليمانية حتى دخلوا مدينة دمشق وأخرجوا محمد بن خالد من محبسه ورأسوه عليهم فأرسل محمد بن خالد إلى ابن عم الوليد بن يزيد وهو يزيد بن الوليد بن عبد الملك فجاء به فبايعوه جميعاً وأرسل إلى أشراف المضريين فبايعوه طوعاً وكرهاً واخلعوا الوليد بن يزيد فلبث مخلوعاً أياماً كثيرة وهو خلیع بنی أمية

(بخلافة يزيد بن الوليد)

فقام يزيد بن الوليد بالخلافة ووضع للناس العطاء وفرق في اليمانية الصلات

والجوائز وأقبل محمد بن خالد الى قصر الوليد بن يزيد وأمر بالآ وهاق فألقيت
 في شرف القصر وتسلقوا فعلوه ونادوا يا وليد يا لوطي يا شارب الخمر ثم نزلوا
 اليه فقتلوه واستدف الملك ليزيد بن الوليد وان محمد بن خالد وجه منصور
 ابن جمهور في خيل الى العراق وأمره أن يقصد الى مدينة واسط فيأخذ الناس
 بالبيعة ليزيد بن الوليد فاذا بايعوا دعا بيوسف بن عمر فضرب عنقه فسار
 منصور بن جمهور فبدأ بالكوفة وأخذهم بالبيعة ليزيد بن الوليد فلما بايعوه سار
 منها الى واسط فاجتمع اليه الناس فبايعوه ليزيد فلما فرغ دعا بيوسف بن عمر فقال
 له أنت القتاتل سيد العرب خالد بن عبد الله قال يوسف كنت مأمورا ومالي
 في ذلك من ذنب فهل لك أن تعفيني من القتل وأعطيك ديتي عشرة آلاف
 درهم فضحك منه ثم حملة حتى أتى به محمد بن خالد بالشام فقال له محمد أمّا
 زعمك اني كنت مأمورا فقد صدقت وقد قلت قاتل أبي وانما أقتلك بعبده
 عزوان ثم قدّمه فضرب عنقه فملك يزيد بن الوليد ستة أشهر ثم مات

(أمر ابراهيم بن الوليد)

وقام بالملك من بعده أخوه ابراهيم بن الوليد فبايعه الناس بالشام وجميع
 الآفاق وجعل ولي العهد من بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن
 مروان واستعمل على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة فسار ابن هبيرة حتى
 نزل المكان الذي الى اليوم يسمى قصر ابن هبيرة وبني فيه قصرا واتخذ
 ذلك المكان منزلا له ولجنوده . قالوا وان المضرية تلاومت فيما كان من
 غلبة اليمانية عليها وقتلهم الخليفة الوليد بن يزيد فذب بعضهم الى بعض

واجتمعوا من أقطار الأرض وساروا حتى وافوا مدينة حمص وبها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وكان يومئذ شيخ بنى أمية وكبيرهم وكان ذا أدب كامل ورأى فاضل فاستخرجوه من داره وبايعوه وقالوا له أنت شيخ قومك وسيدهم فاطلب بشار ابن عمك الوليد بن يزيد فاستعد مروان بمجنوده في تميم وقيس وكنانة وسائر قبائل مضر وسار نحو مدينة دمشق وبلغ ذلك إبراهيم بن الوليد فتحصن في قصره ودخل مروان بن محمد دمشق فأخذ إبراهيم بن الوليد وولى عهده عبد العزيز بن الحجاج فقتلها وهرب محمد بن خالد بن عبد الله القسري نحو العراق حتى أتى الكوفة فنزل في دار عمرو بن عامر البجلي فاستخفى فيها وعلى الكوفة يومئذ زياد بن صالح الحارثي عاملا ليزيد بن عمر ابن هبيرة

(خلافة مروان بن محمد بن مروان)

واستدفع الملك لمروان بن محمد وأعطاه أهل البلدان الطاعة . ثم ان العصبية وقعت بخراسان بين المضرية واليمانية وكان سبب ذلك أن جديع ابن علي المعروف بالكرماني كان سيد من بأرض خراسان من اليمانية وكان نصر بن سيار متعصبا على اليمانية مبغضا لهم فكان لا يستعين بأحد منهم وعادى أيضا ربيعة لميلها الى اليمانية فعاتبه الكرماني في ذلك فقال له نصر ما أنت وذاك قال الكرماني إنما أريد بذلك صلاح أمرك فاني أخاف أن تُفسد عليك سلطانتك ويحمل عليك عدوك هذا المظلم يعني المسودة قال له نصر أنت شيخ قد خرفت فأسمعه الكرماني كلاما غليظا فغضب نصر وأمر

بالكرمانى الى الحبس فحبس فى القهْندُر وهى القلعة العتيقة فغضب أحياء العرب
للكرمانى فاعتزلوا نصر بن سيار واجتمع الى نصر المضرية فطابقوه وشايعوه
وكان للكرمانى مولى من أبناء العجم ذو دهاء وتجربة وكان يخدمه فى محبسه
وكان الكرمانى رجلاً ضخماً عظيم الجثة عريض ما بين المنكبين فقال له مولاه
أتوطن نفسك على الشدة والمخاطرة حتى أخرجك من هذا الحبس قال له
الكرمانى وكيف تخرجنى قال انى قد عثت على ثقب ضيق يخرج منه ماء
المطر الى الفارقين فوطن نفسك على سلخ جلدك لضيق الثقب قال الكرمانى
لا بد من الصبر فاعمل ما أردت فخرج مولاه الى اليمانية فواطأهم ووطنهم
فى طريقه فلما جن الليل ونام الاحراس أقبل مولاه من خارج السور فوقف
له على باب الثقب وأقبل الكرمانى حتى أدخل رأسه فى الثقب وبسط فيه
يديه حتى نالت يده كفى مولاه فاجتذبه اجتذابه شديدة سلخ بها بعض
جلده ثم اجتذبه ثانية حتى انتهى به الى النصف فإذا هو بحية فى الثقب فنادى
الكرمانى مولاه بَدَيْخَتْ مارَ مارَ أى حية قد عرضت فقال مولاه بَكَزْ بَكَزْ
أى عضها ثم اجتذبه الثالثة فأخرجه فقال لمولاه أمهلنى ساعة حتى أفيق ويسكن
ما بي من وجع الانسلاخ فلما رجعت الى الكرمانى نفسه نزل من ذلك التل
وأتى بدابة فركبها حتى انتهى الى منزله واجتمعت اليه الأزد وسائر من بخراسان
من اليمانية والنحازت ربيعة معهم وبلغ نصر بن سيار الخبر فدعا بصاحب الحبس
فضرب عنقه وظن أن ذلك كان بمواطأة منه. ثم قال لسلم بن أحوز المازنى
وكان على شرطه انطلق الى الكرمانى فاعلمه أنى لم أرد به مكروها وإنما أردت

تأديبه لما استقبلني به ومُرّه أن يصير إلى آمنّا لأناظره في بعض الامر فصار
سلم اليه فاذا هو بمحمد بن المثنى الرّبي جالسا على الباب في سبعمائة رجل من
ربيعة فدخل اليه فأبلغه الرسالة فقال الكرمانى لا ولا كرامة ما له عندى إلا
السيف فأبلغ ذلك نصرا فأرسل نصر بعصمة بن عبد الله الأزدي وكان
من خاصته فقال له انطلق الى ابن عمك فأمه ومُرّه أن يصير إلى آمنّا لأناظره
في بعض ما قد دهننا من هذا العدو فقال الكرمانى لعصمة حين أبلغه رسالة
نصريا ابن الخبيثة وما أنت وذلك وقد ذكر لي عمك أنك لغير أهلك الذى
تنسب اليه إنما تريد أن تتقرب الى بن الاقطع يعنى نصرا أما لو كنت صحيح
النسب لم تفارق قومك وتميل الى من لا رحم بينه وبينك فانصرف عصمة
الى نصر وأبلغه قوله

ثم ان الكرمانى كتب الى عمر بن ابراهيم من ولد أبرهة بن الصيّاح ملك
حمير وكان آخر ملوكهم وكان مستوطنا الكوفة يسأله أن يوجه اليه بنسخة
حلف اليمين وربيعة الذى كان بينهم فى الجاهلية ليحييه ويجدده وإنما أراد
بذلك أن يستدعى ربيعة الى مكانته فأرسل به اليه فجمع الكرمانى اليه
أشراف اليمين وعطاء ربيعة وقرأ عليهم نسخة الحلف وكانت النسخة بسم الله
العلّى الاعظم . المأجد المنعم . هذا ما اختلف عليه آل قحطان . وربيعة
الاخوان . اختلفوا على السواء السوا . والاواصر والاخا . ما احتذى رجل
حذا . وما راح راكب واغتدى . يحمله الصغار عن الكبار . والاشرار عن
الأخيار . آخر الدهر والأبد . الى انقضاء مدة الأمد . وانقراض الآباء

والولد . حلف يوطأ ويثب . ما طلع نجم وغرب . خلطوا عليه دماهم . عند
ملك أرضهم . خلطها بخمر وسقاهم ! جزّ من نواصيتهم أشعارهم . وقلم عن
أناملهم أطرافهم . فجمع ذلك في صر ودفنه تحت ماء غمر . في جوف قعر
بحر . آخر الدهر . لا سهو فيه ولا نسيان . ولا غدر ولا خذلان . بعقد موكد
شديد . الى آخر الدهر الأبد . مادعا صبي أباه . وما حلب عبد في إناه .
تحمل عليه الحوامل . وتقبل عليه القوابل . ما حل بعد عام قابل . عليه الحيا
والمات . حتى يبس الفرات . وكتب في الشر الاصب . عند ملك أخى ذم
تبع بن ملكي كرب . معدن الفضل والحسب . عليهم جميعا كئيل . وشهد
الله الأجل . الذي ماشاء فعل . عقله من عقل : وجهه من جهل . فلما
قرئ عليهم هذا الكتاب توافقوا على أن ينصر بعضهم بعضا ويكون أمرهم
واحدا فأرسل الكرماني الى نصر ان كنت تريد المحاربة فابرز الى خارج
المدينة فنأدى نصر في جنوده من مضر وخرج فعسكر ناحية من الصحراء
وفعل الكرماني مثل ذلك وخندق كل واحد منهما على عسكره ويسمى
ذلك المكان الى اليوم الخندقين ووجه الكرماني محمد بن المثني وأبا الميلاء
الربيعين في الف فارس من ربيعة وأمرهما أن يتقدما الى عسكر نصر بن
سيار فأقبلا حتى اذا قاربا عسكره قال نصر لابنه تميم اخرج الى القوم في الف
فارس من قيس وتميم فانتخب الف فارس ثم خرج فالتقوا واقتتلوا وحمل محمد
ابن المثني الربيعي على تميم بن نصر فتضاربا بسيفيهما فلم يصنع السيفان شيئا
لكمال لامتيهما فلما رأى محمد بن المثني ذلك حمل بنفسه على تميم فعانقه

فسقطا جميعا الى الارض وصار محمد فوق تميم فألقى على حلقه بالسيف فذبحه
فقال نصر بن سيار يرثي ابنه تميما

نفى عنى العزاء وكنت جلدا غداة جلا الفوارس عن تميم
وما قصرت يداه عن الاعادى ولا أضحى بمنزلة اللئيم
وفاء للخليفة وابتذالا لمهجته يدافع عن حريم
فمن يك سائلا عنى قاتى أنا الشيخ الغضنفر ذو الكليم
نمتنى من خزيمة باذخات بواسق ينتمين الى صميم
قالوا فكثوا بذلك عشرين شهرا ينهض بعضهم الى بعض كل أيام فيقتتلون
هو يا تميم ينصرفون وقد انتصف بعضهم من بعض وشغلهم ذلك عن طلب أبي
مسلم وأصحابه حتى قوى أمره واشتد ركنه وعلن شأنه فى جميع كور خراسان
فقال عقيل بن معقل الليثى لنصر بن سيار ان هذه العصبية قد تبادت بيننا
وبين هؤلاء القوم وقد شغلتك عن جميع أعمالك وضبط سلطانك وقد أظلك
هنا العدو والكلب فأنشدك الله أن تشأم نفسك وعشيرتك قارب هذا
الشيخ يعنى الكرماني بعض المقاربة فقد انتقض الامر على الامام مروان
ابن محمد فقال نصر يا ابن عم قد فهمت ما ذكرت ولكن هذا الملاح قد
ساعدته عشيرته وظافرتهم على أمرهم ربيعة فقد عدا من أجل ذلك طوره
فلا ينوى صلحا ولا ينب الى أمان فانطلق يا ابن عم ان شئت فسله ذلك
واعطه عنى ما أراد فمضى عقيل بن معقل حتى استأذن على الكرماني فدخل
فسلم ثم قال له انك شيخ العرب وسيدها بهذه الارض فأبقى عليها قد تبادت

هذه العصبية بيننا وبينكم وقد قتل منا ومنكم ما لا يحصىه أحد وقد أرسلني نصر اليك وجعل لك حكم الصبي على أبويه على أن ترجع الى طاعته لتأزرا على اطفاء هذه النار المضطربة في جميع كور خراسان قبل أن يكاشفوا يعني المسودة قال الكرمانى قد فهمت ما ذكرت وكنت كارها لهذا الامر فأبى ابن عمك يعنى نصر الا البذخ والتطاول حتى حبسنى فى سجنه وبعثنى على نفسه وقومه قل له عقيل فما الذى عندك فى اطفاء هذه النائرة وحقن هذه الدماء قال الكرمانى عندى فى ذلك ان نعتزل أنا وهو الامر ونولى جميعا أمرنا رجلا من ربيعة فيقوم بالتدبير ونساعده جميعا ونتشمر اطلب هؤلاء المسودة قبل أن يجتمعوا فلا تقوى بهم ولو أجلب عليهم معنا جميع العرب قال عقيل ان هذا ما لا يرضى به الامام مروان بن محمد ولكن الامير نصر ا يجعل الأمر لك تولى من شئت وتعزل من شئت وتدبر فى هؤلاء المسودة ماشئت ويتزوج اليك وتتزوج اليه قال الكرمانى كيف يتزوج الى وليس لى بكفو قال عقيل أقول هذا الرجل له بيت كنانة قال الكرمانى لو كان من مصاص كنانة ما فعلت فكيف وهو ملصق فيهم فأما قواك انه يجعل الامر الى أولى وأعزل من أريد فلا ولا كرامة ان أكون تبعا له أو أقاره على السلطان . فانصرف عقيل الى نصر فقال انك كنت بهذا الملاح ابصر منى ثم أخبره بما دار بينهما كله فكتب نصر بن سيار الى الامام مروان ابن محمد يخبره بخروج الكرمانى عليه ومحاربه اياه واشتغاله بذلك عن طلب أبى مسلم وأصحابه حتى قد عظم أمرهم وان المحصى المقتل لهم يزعم انه قد

بايعه مائتا ألف رجل من أقطار خراسان فتدارك يأمر المؤمنين أمرك وابتعت
إلى بجنود من قبلك يقو بهم ركني واستعن بهم على محاربة من خالفني ثم
كتب في أسفل كتابه

أرى تحت الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى وان الشر بمبدأه الكلام
وقلت من التعجب ليت شعري أيقاظ أمية أم نيام
فان يقظت فذاك بقاء ملك وان رقدت فإني لا ألام
فان يك أصبحوا وثووا نياما فقال قوموا فقد حان القيام

فلما وصل كتابه إلى مروان كتب إلى معاوية بن الوليد بن عبد الملك وكان
عامله على دمشق ومروان حينئذ بمدينة حمص يأمره أن يكتب إلى عامله
بالبلقاء أن يسير إلى الحيمة فيأخذ إبراهيم بن محمد بن علي فيشده وثاقا ويرسل
به إليه فأتى إبراهيم وهو جالس في مسجده فلأت رأسه وحمل إلى مروان واتبعه
من أهل بيته عبد الله بن علي وعيسى بن موسى بن علي ونفر من مواليه
فلما دخل على مروان قال له ماهذه الجموع التي خرجت بخراسان تطلب لك
الخلافة قال له إبراهيم مالي بشيء من ذلك علم فان كنت إنما تريد التجني
علينا فدونك وما تريد ثم بسط لسانه على مروان فأمر به فحبس قال الهيثم
فاخبرني أبو عبيدة قال كنت آتي إبراهيم في محبسه ومعه فيه عبد الله بن
عمر بن عبد العزيز فأسلم عليه وأظلل عامة نهاري عنده وربما جئني الليل
عنده فأبيت معه فيينا أنا ذات ليلة عنده وقد بتُّ معه في الحبس فانا نائم في

سقيفة فيه اذ قيل مولى مروان فاستفتح الباب ففتح له فدخل ومعه نحو من
عشرين رجلا من موالى مروان فلبثوا ساعة ثم خرجوا ولم أسمع لاحد صوتا
فلما أصبحت دخلت البيت لاسلم عليهما فاذا هما قتيلان فظننت أنهما خنقا
ولما قتل ابراهيم بن محمد خاف أخواه أبو جعفر وأبو العباس على أنفسهما
فخرجوا من الحيمة هاربين نحو العراق ومعهما عبد الله واسماعيل وعيسى
وداود بنو علي بن عبد الله بن عباس حتى قدموا الكوفة ونزلوا على أبي
سلمة الداعي الذي كان داعية أبيهما محمد بن علي بأرض العراق فأنزلهم جميعا
دار الوليد بن سعد التي في بني أود وألزمهم مساورا القصاب ويقطينا
الابزاري وكانا من كبار الشيعة وقد كانا لقيما محمد بن علي في حياته فامرهما
أن يُعينا أباسلمة على أمره وكان أبو سلمة خللا فكان اذا أمسوا أقبل مساور
بشقة لحم وأقبل أبو سلمة بخل وأقبل يقطين بالابزار فيطبخون ويأكلون
وفي ذلك يقول أبو جعفر

لحم مساور وخل أبي سلمة وابزار يقطين وطابت المرقّة
فلم يزل أبو العباس وأبو جعفر مستخفين بالكوفة الى أن قدم قحطبة بن
شبيب العراق . قالوا وبلغ أبا مسلم قتل الامام ابراهيم بن محمد وهرب أبي
العباس وأبي جعفر من الشام واستخفاؤهما بالكوفة عند أبي سلمة فسار من
خراسان حتى قدم الكوفة ودخل عليهما فعزاها بأخيها ابراهيم الامام ثم
قال لابي العباس مدي يدك أبايعك فمدّ يده فبايعه ثم سار الى مكة ثم انصرف
اليهما فتقدم اليه أبو العباس أن لا يدع بخراسان عربيا لا يدخل في أمره الا

ضرب عنقه ثم انصرف أبو مسلم الى خراسان فجعل يدورها كورة كورة
ورستاقا رستاقا فيواعدهم اليوم الذي يظهرون فيه ويأمرهم بتهيئة السلاح
والدواب لمن قدر. قالوا ولما اعيت نصر بن سيار الحيل في أمر الكرماني
وخاف أزوف أبي مسلم كتب الى مروان

يا أيها الملك الواني بنصرته قد آن للامران يأتيك من كُتب
أضحت خراسان قد باضت صقورتها وفرخت في نواحيها بلا رهب
فان يطرن ولم يحتل لهن بها يلهن نيران حرب ايما لهب
فلما وصلت هذه الأيات الى مروان كتب الى يزيد بن عمر بن هبيرة
عامله على العراقيين يأمره أن ينتخب من جنوده اثني عشر ألف رجل مع
فرض يفرضه بالعراق من عرب الكوفة والبصرة ويولي عليهم رجلا حازما
يرضى عقله واقدامه ويوجه بهم الى نصر بن سيار فكتب يزيد بن عمر بن
هبيرة الى مروان ان من معه من الجنود لا ينفون باثني عشر ألفا ويعلمه ان
فرض الشام أفضل من فرض العراق لان عرب العراق ليست لهم نصيحة
للخلفاء من بني أمية وفي قلوبهم احن ولما أبطأ عن نصر الغوث أعاد
الى مروان

من مبلغ عنى الامام الذى	قام بأمر بين ساطع
انى نذير لك من دولة	قام بها ذو رحم قاطع
والثوب ان أهج فيه البلى	أغيا على ذى الحيلة الصانع
كنا نداريها فقد مرقت	واتسع الخرق على الرّاقع

فلم يجد عند مروان شيئا وحين الوقت الذي أعد فيه أبو مسلم مستجيبه فخرجوا جميعا في يوم واحد من جميع كور خراسان حتى وافوه وقد سودوا ثيابهم تسلبا على ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الذي قتله مروان فكان أول من ورد عليه من القواد وقد لبس السواد أسيد بن عبد الله ومقاتل بن حكيم ومحقن بن غزوان والحريش مولى خزاعة وتنادوا محمد يامنصور يعنون محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو أول من قام بالامر وبث دعائه في الآفاق وانجفل الناس على أبي مسلم من هراة وبوشنج ومرو الروذ والطارقان ومرو ونسا وأبيورد وطوس ونيسابور وسرخس وبلخ والصغانيان والطخارستان وختلان وكش ونسف فتوافوا جميعا مسودى الثياب وقد سودوا أيضا أنصاف الخشب التي كانت معهم وسموها كافر كوبات وأقبلوا فرسانا وحمارا ورجالة يسوقون حميرهم ويزجرونها هراة مروان يسمونها مروان ترغما لمروان بن محمد وكانوا زهاء مائة الف رجل . فلما بلغ نصر بن سيار ظهور أبي مسلم سقط في يديه وخاف على نفسه ولم يأمن أن ينجاز الكرماني في اليمانية والربيعة اليهم فيكون في ذلك اصطلامه فأراد أن يستعطف من كان مع الكرماني من ربيعة فكتب اليهم وكانوا جميعا بمرو

أبلغ ربيعة في مرو واخوتها	أن يغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ما بالكم تلقحون الحرب بينكم	كان أهل الحجاج عن فعلكم غيب
وتتركون عدوا قد أظلمكم	ممن تأشب لادين ولا حسب
ليسوا الى عرب منا فنعرفهم	ولا صميم الموالي ان هم نسبوا

قوما يدينون ديننا ما سمعت به عن الرسول ولا جاءت به الكتب
فمن يكن سائلي عن أصل دينهم فإنّ دينهم أن تقتل العرب
فلم تحفل ربيعة بهذه الايات . وبلغ أبا العباس الامام وهو مستخف بالكوفة
ان أبا مسلم لو أراد أن يصطلم عسكر نصر والكرمانى لنعل غير انه يدافع
الحرب فركتب اليه يؤنبه في ذلك وكان أبو مسلم يحب أن يستميل أحد
الرجلين ليفصم به شركة الآخر فأرسل الى الكرمانى يستله أن ينضم اليه
لينتقم له من نصر بن سيار فعزم على المسير اليه وأقبل أبو مسلم في عساكره
الى أرض مرو فعسكر على ستة فراسخ من المدينة وخرج اليه الكرمانى
ليلا في نفر من قومه فاستأمن الجميع أصحابه فأمنهم أبو مسلم وأكرم الكرمانى
فأقام معه وشق ذلك على نصر بن سيار وأيقن بالهلكة فكتب الى الكرمانى
يسأله الرجوع اليه على أن يعتزلا ويوليا الامر رجلا من ربيعة يرضيانه وهو
الامر الذى كان سأله اياه فأصغى الكرمانى الى ذلك وتحمل ليلا من معسكر
أبى مسلم حتى انصرف الى معسكره واسترسل الكرمانى الى نصر فلما أصاب
منه غرة دس اليه من قتله ويقال بل وجه اليه نصر رجلا من قواده في ثلثمائة
فارس فكمناوا له ليلا عند منصرفه من معسكر أبى مسلم فلما حاذاهم وهو
غافل عنهم حملوا عليه فقتلوه . وبلغ ذلك أبا مسلم فقال لا يبعد الله غيره لو
صبر معنا لقمنا معه ونصرناه على عدوه وقال نصر فى ظفرك بالكرمانى

لعمرى لقد كانت ربيعة ظافرت
وقد غمزوا منى قناة صليبة
عدوى بغد رحين خابت جدودها
شديد اعلى من رامها البكر عودها

وكنت لها حصنا وكفنا وجنةً يؤول الى كهاها ووليدها
 فقالوا الى السوات ثم تعذروا وهل يفعل السوات الامر يدها
 فأوردت كرمانيها الموت غنوة كذاك منايا الناس يدنو بعبيدها
 قالوا ولما قتل الكرمانى مضى ابنه على من خندقه الى ابي مسلم فسأله أن
 يطلب له بشار أبيه فأمر قحطبة بن شبيب أن يستعد ويسير حتى ينيخ على نصر
 فى خندقه فينا بذه الحرب أو ينيب الى الطاعة فسار قحطبة فبدأ بالمدينة
 فدخلها واستولى عليها وأرسل الى نصر يؤذنه بالحرب فكتب نصر الى
 ابي مسلم يسأله الأمان على أن يدخل معه فى أمره فأجابه الى ذلك وأمر
 قحطبة أن يمساك عنه فلما أصاب نصر من قحطبة غفلة تحمل فى حشمه
 وولده وحاشيته ليلا فخرج من معسكره من غير أن يعلم أصحابه وسار نحو
 العراق وجعل طريقه على جرجان فأقام بها ففرض فيها فسار منها الى ساوة
 فأقام بها أياما ثم توفى بها فاستأمن جميع أصحابه وأصحاب الكرمانى الى ابي
 مسلم الا أناسا كرهوا أمر ابي مسلم فساروا من مدينة مرو هربا حتى أتوا طوس
 فأقاموا بها وان أبا مسلم استولى على خراسان واستعمل عماله عليها فكان
 أول من عقد له منهم زنباع بن النعمان على سمرقند وولى خالد بن ابراهيم
 على طخارستان وولى محمد بن الاشعث الطبسين ثم وجه أصحابه الى سائر
 تلك البلاد وضم الى قحطبة بن شبيب أبا غون مقاتل بن حكيم العمكى وخالد
 ابن برمك وحارثة بن خزيمة وعبد الجبار بن نهيك وجهور بن مراد العجلي
 والفضل بن سليمان وعبد الله بن النعمان الطائى وضم الى كل واحد من

هوئلاء القواد صناديد الجنود وأبطالهم وأمر قحطبة أن يسير الى طوس فيلقى
من قد اجتمع بها من جنود نصر بن سيار والكرمانى فيحاربهم حتى يطردهم
عنها ثم يتقدم قُدُماً قُدُماً حتى يرد العراق فسار قحطبة حتى اذا دنا من طوس
هرب أولئك الذين قد كانوا تجمعوا بها ففترقوا وسار قحطبة من طوس الى
جرجان فافتتحها وسار منها الى الرى فواقع عامل مروان عليها فهزمه ثم سار من
الرى الى أصبهان حتى وافاها وبها عامر بن ضبارة من قبل يزيد بن عمر
فهرب منه ودخلها قحطبة واستولى عليها ثم سار حتى أتى نهاوند وبها مالك بن
أدهم الباهلى فتحصن أياها ثم استأمن الى قحطبة فأمنه فخرج اليه وسار قحطبة
حتى نزل حلوان فأقام بها وكتب الى أبى مسلم يعلمه خبره وأن مروان بن
محمد قد أقبل من الشام حتى وافى الزابين فأقام بها فى ثلاثين الفا وان يزيد
ابن عمر بن هبيرة قد استعد بواسطة فاتاه كتاب أبى مسلم يأمره أن يوجه أبا
عون العكى فى ثلاثين ألف فارس من أبطال جنوده الى مروان بن محمد بالزابين
فيحاربه ويسير هو فى بقية الجنود الى واسط فيحارب يزيد بن عمر ايشغله
عن توجيه المدد الى مروان ففعل قحطبة ذلك وبلغ مروان فصول أبى عون
اليه بالجيش من حلوان فاستقبله فالتقيا بشهرزور فاقتلوا فانهزم اهل الشام
حتى صاروا الى مدينة حران . قال الهيثم فحدثنى اسمعيل بن عبد الله القسرى
أخو خالد بن عبد الله قال دعانى مروان عند وصوله الى حران وكنت أخص
الناس عنده فقال لى يا أبا هاشم وما كنانى قبل ذلك فقلت لبيك يا أمير المؤمنين
قال ترى ما قد نزل من الامر وأنت الموثوق برأيه فما ترى قلت وعلام أجمعت

ياأمير المؤمنين قال أجمعت على أن أرتحل بأهلى وولدى وخاصة أهل بيتى
 ومن اتبعنى من أصحابى حتى أقطع الدرب وأصير الى ملك الروم فأستوثق
 منه بالامان ولا يزال يأتينى الخائف والمهارب من أهل بيتى وجنودى حتى
 يكثف أمرى وأصيب قوة على محاربة عدوى قال اسمعيل وذلك والله كان
 الرأى له عندى غير انى ذكرت سوء أثره فى قومى ومعاداته اياهم وتجاهله
 عليهم فصرفت الرأى عنه وقلت له ياأمير المؤمنين أعيذك بالله أن تحكم أهل
 الشرك فى نفسك وحرّمك لان الروم لاوفاء لهم قال فى الرأى عندك
 قلت الرأى أن تقطع الفرات وتستقرى مدن الشام مدينة مدينة فان لك
 بكل مدينة صنائع ونصحاء وتضمهم جميعا اليك وتسير حتى تنزل ببلاد
 مصر فهى أكثر أهل الأرض مالا وخيلا ورجالا فتجعل الشام أمامك
 وأفريقية خلفك فان رأيت ما تحب انصرفت الى الشام وان تكن الاخرى
 اتسع لك المهرب نحو افريقية فانها أرض واسعة نائية منفردة قال صدقت
 لعمرى وهو الرأى . فسار من حرّان حتى قطع الفرات وجعل يستقرى مدن
 الشام فيستنهضهم فيروغون عنه ويهابون الحرب فلم يسر معه منهم الا قليل
 وسار أبو عون صاحب قحطبة فى أثر مروان حتى انتهى الى الشام وقصد
 دمشق فقتل من أهلها مقتلة عظيمة فيهم ثمانون رجلا من ولد مروان بن
 الحكم ثم عبر الشام سائرا نحو مصر حتى وافاها واستعد مروان فيمن كان
 معه من أهل الوفاء له وكانوا نحواً من عشرين ألف رجل وسار مستقبلا أبا
 عون حتى التقى الفريقان فاقتتلوا فلم يكن لأصحاب مروان ثبات فقتل منهم

خلق وانهزم الباقون فتبددوا وهرب مروان على طريق افریقیة وطلبته الخيل
فحال بينها وبينه الليل فعبر مروان النيل في سفينة فصار في الجانب الغربیّ
وكان منجماً فقال لعلامه انی ان سامت هذه الليلة رددت خيل خراسان على
أعقابها حتى أبلغ بها خراسان ثم نزل ودفع دابته الى غلامه وخلع درعه
فتوسدها ونام لشدة ماقد كان مرّاً به من التعب ولم يكن معه دليل يدلّه على
الطريق وخاف أن يوغل في تلك المناور فيضلّ وأقبل رجل من أصحاب
أبي عون يسمى عامر بن اسماعيل في طلب مروان حتى أتى المكان الذي
عبر فيه مروان فدعا بسفينة فجلس فيها وعبر فأنتهى به السير الى مروان
وهو مستثقل نوما فضربه بالسيف حتى قتله قالوا ولما بلغ محمد بن خالد بن عبد
الله القسریّ وكان مستترا بالكوفة في بحيلة موافاة قحطبة بن شبيب حلوان
بمجموع أهل خراسان جمع اليه نفرا من أشراف قومه ثم ظهر ودعا لابی العباس
الامام فطلبه زياد بن صالح عامل يزيد بن عمر فاجتمع اليه قومه فمنعوه وقاموا
دونه وبلغ ذلك يزيد بن عمر بن هبيرة فأمدّ زياد بن صالح بالرجال واجتمع
الى محمد جميع من كان بالكوفة من اليمانية والربعية فهرب زياد بن صالح حتى
لحق بيزيد بن عمر بواسط وكتب محمد بن خالد الى قحطبة وهو بحلوان يسأله
أن يولّيه أمر الكوفة ويبعث اليه عهده عليها ففعل فأتى المسجد الاعظم في
جمع كثير من اليمانية وقد أظهروا السواد وذلك يوم عاشوراء من المحرم سنة
اثنين وثلاثين ومائة وقال محمد بن خالد فيما كان من قتله الوليد بن يزيد
ابن عبد الملك

قتلنا الفاسق المختال لما أضع الحق واتبع الضلالا
 يقول لخالد ألا حمته بنو قحطان إن كانوا رجالا
 فكيف رأى غداة غدت عليه كراديس يشبهها الجبالا
 ألا أبلغ بنى مروان عني بأن الملك قد أودى فزالا

وسار يزيد بن عمر بن هبيرة الى الكوفة يريد محمد بن خالد فدخل محمد
 على أبي سلمة الداعي فأخبره بفصول بن هبيرة نحوه وتخوفه أن لا يقوى بكثرة
 جموعه فقال له أبو سلمة انه قد كان منك من الداء الى الامام أبي العباس
 مالا ينسأ لك فلا تفسد ذلك بقتلك نفسك ومن معك ودع الكوفة فانها
 في يديك وسر بمن معك حتى تنضم الى قحطبة قال محمد لست بخارج من
 الكوفة حتى أبلى عذرا في محاربة ابن هبيرة فاستعد بمن كان بالكوفة من
 اليمن وربيعة وسار مستقبلا لابن هبيرة حتى التقى فنادى محمد بن خالد من
 كان مع ابن هبيرة من قومه تبا لكم أنسيتم قتل أبي خالد بن عبد الله وتحامل
 بني أمية عليكم ومنعهم اياكم أعطياتكم يا بني عم قد أزال الله ملك بني أمية
 وأدال منهم فانضموا الى ابن عمكم فان هذا قحطبة بحلوان في جموع أهل
 خراسان وقد قتل مروان فلم تقتلون أنفسكم وان الأمير قحطبة قد ولاني
 الكوفة وهذا عهدى عليها فليكن لكم أثر في هذه الدولة فلما سمعوا ذلك
 مالوا اليه جميعا ولم يبق مع ابن هبيرة الا قيس وتميم فلما رأى ذلك ولّى منهزما
 بمن معه حتى وافى واسط ووجه في نقل الميرة اليها واستعد للحصار وانصرف
 محمد بن خالد الى الكوفة فخطب الناس ودعا لأبي العباس وأخذ بيعة أهل

الكوفة وأقبل قحطبة من حلوان حتى وافى العراق فنزل ديمًا وهي فيما بين
بغداد والانباء وذلك قبل أن تبني بغداد وإنما كانت قرية يقوم بها سوق في
كل شهر مرة فأقام معسكرًا بها فقال علي بن سليمان الأزدي يذكرك محمد بن

خالد وسبقه الى الداء الى بني هاشم

يا حاديدينا بالطريق قوّمَا بيمَلاتٍ كالقسي رُسّمَا

تنجوا باحواز الفلاة مقدّمَا الى امرئٍ أكرمٍ من تسكرِمَا

محمدٌ لما سما واقدمَا نارَ بكوفانَ بها مُعلّمَا

في عصبةٍ تطلبُ أمرًا مُبرّمَا حتى عَلا منبرها معممَا

أكرمٌ بما فازَ به وأعظمَا اذ كان عنها الناسُ كلاً نُومَا

وان قحطبة عند مسيره الى العراق استخلف على أرض الجبل يوسف بن
عقيل الطائي وأقبل ابن هبيرة حتى صار على شاطئ الفرات الغربي وهو في
نحو من ثلاثين ألف رجل وأقبل قحطبة حتى نزل في الجانب الشرقي فأقام
ثلاثًا ثم نادى في جنوده أن اقيموا خيلكم الماء فاقحموها وقحطبة امام
أصحابه ولما عبر أصحاب قحطبة قتلهم ابن هبيرة فلم يبق لهم فانهزم حتى أتى
واسط فتحصن فيها وفقد قحطبة بن شبيب فلم يُدر أين ذهب ويزعم بعض
الناس ان فرسه غاص به فغرق وتولّى أمر الناس ابنه الحسن بن قحطبة. ولما
تحصن ابن هبيرة بواسط خلف الحسن بن قحطبة عليه بعض قوّاده في
عشرين ألف رجل وسار نحو الكوفة وقد أخذها محمد بن خالد فوافها
الحسن بن قحطبة وبها الامام أبو العباس

(ظهور أبي العباس السفاح وبيعته)

فأظهر أبا العباس وأقبل به حتى دخل المسجد الأعظم واجتمع له الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه السلام ثم ذكر انتهاك بني أمية المحارم وهدمهم الكعبة ونصبهم عليها المجانيق وما أبدعوا من خبيث السير ثم نزل فأكثر الناس له من الدعاء وأقبل نحو دار الإمارة فنزلها وأمر الحسن بن قحطبة بالانصراف إلى واسط والاناخة يزيد بن عمر بن هبيرة فسار الحسن وحاصر يزيد أشهراً كثيرة . قال الهيثم بن عديّ بويع لأبي العباس بالخلافة ولأبي جعفر بولاية العهد من بعده في رجب من سنة اثنتين وثلاثين ومائة فلما استدف لأبي العباس الإمارة ولّى أبا سلامة الداعي جميع ما وراء بابه وجعله وزيره وأسند إليه جميع أموره فكان يسمى وزير آل محمد فكان ينفذ الأمور من غير مؤامرة وبلغ ذلك أبا مسلم وهو بخراسان فدعا مروان الضبّيّ وكان أحد قوّاده وقال له انطلق إلى الكوفة فاخرج أبا سلامة من عند الإمام أبي العباس فاضرب عنقه وانصرف من ساعتك ففعل الضبّيّ ذلك فقال الشاعر يرثي أبا سلامة

ان الوزير وزير آل محمدٍ أوْدَى فَمِنْ يَشْنَاكَ كَانَ وَزِيرًا
ثم ان الامام أبا العباس رأى أن يوجه أخاه أبا جعفر المنصور إلى واسط ليتولى محاربة ابن هبيرة فوجهه وكتب إلى الحسن بن قحطبة يعلمه أن العسكر عسكره وأحب أن يكون أخوه المتولّى للامر فلما وافى أبو جعفر واسط تحوّل الحسن بن قحطبة عن سرادقه وخلاّه بجميع ما فيه له فنزله أبو جعفر بحريمه

وحشمه وكتب أبو جعفر إلى قواد يزيد بن عمر وأشرف من معه من العرب
يستميلهم بالاطماع وينبهمهم على حظوظهم ويعرفهم انصرام دولة بني أمية
فأجابوه جميعا . وكان أول من أجابه وانحرف إليه زياد ابن صالح الحارثي
وكان عامل ابن هبيرة على الكوفة وأخص أصحابه عنده وقد كان ابن
هبيرة ولأه حراسة مدينته بالليل ودفع إليه مفاتيح أبوابها . قال الهيثم فحدثني
أبي قال لما هم زياد بالحق بأبي جعفر أرسل إلى وكان وصي أبي فكنت
أدعوه أباً وعماً وقد كان رسوله أتاني عند اختلاط الظلام يأمرني بالمصير إليه
فأتيته فخلاني وقال يا ابن أخي انك است بمن أكتمه شيئا وقد أتاني كتاب
أبي جعفر يدعوني إلى الحقوق به ويبدل لي على ذلك منزلة سيئة واعلم في
كتابه انه راع الخوالة وكانت أم أبي العباس حارثية قال والدي فقلت له
يا عم ان لابن هبيرة أيادي جميلة وأكره لك الغدر به فقال يا ابن أخي أنا من
أشكر الناس له غير أني لا أرى أن أقيم على ملك قد انتقض قواه ووهت
عزاه وأنا لابن هبيرة اليوم عند أبي جعفر أنفع مني له ها هنا وأرجو أن يصلح
الله أمره بي وعلى يدي فأقم عندي إلى وقت خروجي لاسلم اليك المفاتيح
فأقمت عنده فلما مضى ثلث الليل أمر غلمانه فحملوا أثقاله وأسرجوا دوابه ثم
ركب وخرج من منزله وأنا أمشي معه حتى انتهى إلى باب المدينة الذي يلي
دجلة وكانت المفاتيح معه وأمر الحراس أن يفتحوا الباب وقال لهم أريد
الخروج لاستطلاع بعض الأمور وأنا منصرف بعد ساعة . ثم خرج وأمرني
بإغلاق الباب وأخذ المفاتيح فقل لي فيما بيني وبينه إذا أصبحت فانطلق

بالمفاتيح حتى تدفعها الى ابن هبيرة من يدك الى يده وأعلمه اني له هناك
أفضل مني له ها هنا ثم ودعني ومضى وانصرفت الى منزلي فلما أصبحت
أتيت باب قصر الامارة فاستأذنت على ابن هبيرة فقال لي الحاجب هو
قاعد في مصلاه لم يقيم عنه قلت أعلمه اني أتيت في مهم فأذن لي فدخلت وهو
قاعد في محرابه وعليه كساء برّ كائنٌ مُعَلَّم فسلمت عليه بالامرة فرد السلام
وقال مهم فحدثته بأمر زياد بن صالح فدمعت عيناه وقال بمن تثق اليوم بعد
زياد وتوليقي اياه الكوفة وبري به فقلت أيها الامير ان الله ربما جعل في
الكفر خيرا وأرجو أن ينفعك الله بمكانه هناك فقال لا حول ولا قوة الا بالله
ثم قال يا غلام علي بطارق بن قدامة القسري فدخل عليه وأنا جالس عنده
فدفع اليه تلك المفاتيح وقال يا طارق اني قد اخترتك لحراسة هذه المدينة
على جميع أصحابك من خاصتنا فكن كنحو ثقتي بك . ولما طال على ابن
هبيرة الحصار بعث الى المنصور يسأله الامان فأرسل اليه ان أردت أن أوثمنك
على حكم أمير المؤمنين أبي العباس فعالت فشاور ابن هبيرة نصحاء فأشاروا
عليه أن يفعل فأرسل الى أبي جعفر يعلمه اني راض بذلك فكتب اليه أبو
جعفر ذلك بخطه وأشهد على نفسه بذلك القواد فخرج ابن هبيرة الى أبي
جعفر في نفر من بطائنه فدخل عليه وهو في سرادقه وحول السرادق عشرة
آلاف نفر من أهل خراسان مستلثمين في السلاح فأمر أبو جعفر له بوسادة
فجلس عليها قليلا ثم نهض ودعى له بدابته فركب وانصرف الى منزله وفتحت
أبواب المدينة ودخل الناس بعضهم في بعض . قالوا وأحصى ما في الخزائن

من الاموال والسلاح وما بقي من الطعام والعلف الذي كان ابن هبيرة قد
ادخر وأعدَّ للحصار فكان المال ثلاثة آلاف ألف درهم ومن السلاح شيء
كثير وطعام ثلاثين ألف رجل وعلف عشرين ألف رأس من الدواب سنة
وان أبا جعفر كتب الى أبي العباس يخبره بخروج ابن هبيرة على حكمه
ويسأله أن يعلمه الذي يرى فيه فكتب أبو العباس لا حكم لابن هبيرة
عندى الا السيف فلما انتهى الكتاب بذلك الى أبي جعفر كتبه عن جميع
الناس وقال لحاجبه مر ابن هبيرة اذا ركب الينا أن لا يركب الا في غلام
واحد ويدع عنه هذه الجماعات فلما كان من غد ركب ابن هبيرة الى أبي
جعفر في موكب عظيم فقال له سلام الحاجب أبا خالد كأنك تأتى ولى
العهد مباهيا ولا تأتية مسلما قال ابن هبيرة ان كنتم كرهتم ذلك لم آتكم إلا
في غلام واحد قال فلا تأتينا الا في غلام واحد فأتى لم أقل ذلك استخفافا
بحقك الا ان أهل خراسان ينكرون كثرة من يركب معك فكان ابن
هبيرة بعد ذلك لا يأتهم الا في غلام واحد فيدخل ويسلم وينصرف ثم ان
أبا جعفر قال للحسن بن قحطبة اجمع اليك أبا بكر العقيلي والحوثرة بن سهل
ومحمد بن بُنانة وعبد الله بن بشر وطارق بن قدامة وسويد بن الحرث المزني
وهؤلاء كانوا قواد يزيد بن عمر فاذا اجتمعوا عندك فاضرب أعناقهم واثنى
بخواتيمهم ووجه حرسا يحرسون ابن هبيرة لا نفذ فيه أمر الامام أبي العباس
فانطلق الحسن بن قحطبة فأنفذ أمره في أولئك وأتاه بخواتيمهم قال فما نطق
منهم أحد عند قتله وما كان منه جزع ولا امتناع فلما كان في اليوم الثاني دعا

أبو جعفر خازم بن خزيمه و ابراهيم بن عقيل فقال لهما انطلقا في عشرة نفر من الحرس حتى تدخلوا على ابن هبيرة فقتلوه فأقبلا حتى دخلوا عليه عند طلوع الشمس وهو جالس في مسجده في القصر مسند ظهره الى الحراب ووجهه الى رحبة القصر فلما نظر اليهم قال لحاجبه يا أبا عثمان أحلف بالله ان في وجوه القوم لشرا فمضى أبو عثمان مستقبلا لهم وقال لهم ما تريدون فبعجه ابراهيم بن عقيل بالسيف فقتله وقام ابراهيم ابنه في وجوه القوم فقتل ثم قام ابنه داود في وجوههم فقتل ثم قام كاتبه عمرو فقتل وأقبلوا نحو ابن هبيرة فلما دنوا منه حول وجهه الى القبلة وسجد فضربوه بأسيا فمهم حتى خمد ثم انصرفوا الى أبي جعفر فأخبراه بذلك فأمر أبو جعفر مناديا فنادى أيها الناس أنتم آمنون الا الحكم بن عبد الملك بن بشر ومحمد بن ذر و خالد بن سلمة الخزومي قال الهيثم فحدثني أبي قال قال محمد بن ذر فضاقت على الارض برحبها فخرجت ليلا من مدينة واسط على قدمي وأنا أقرأ آية الكرسي فما عرض لي أحد من الناس حتى نجوت فلم أزل خائفا حتى استأمن لي زياد بن عبد الله من الامام أبي العباس فأمنني . قال وهرب الحكم بن عبد الملك الى كسكر فاستخفى بها وضاقت بخالد بن سلمة الخزومي الارض فأتى باب أبي جعفر المنصور ليلا فاستأمن له فأمنه ثم نودي أيها الناس أنتم جميعا آمنون يا اهل الشام الحقوا بشامكم ويا اهل الحجاز الحقوا بحجازكم فسكن الناس وأمنوا واطمأنوا . واستعمل المنصور على واسط الهيثم بن زياد الخزاعي في خمسة آلاف فارس من اهل خراسان . ثم انصرف بسائر الناس حتى قدم على الامام أبي العباس وهو بالحيرة . ثم

ان الامام سار من الحيرة في جموعه حتي أتى الانبار فاستطابها فابتنى
بها مدينة بأعلى المدينة عظيمة لنفسه وجموعه وقسمها خططا بين أصحابه
من أهل خراسان وبنى لنفسه في وسطها قصرا عاليا منيفا فسكنه وأقام
بتلك المدينة طول خلافته وتسمى الى اليوم مدينة أبي العباس ثم ان
أبا العباس وجه أخاه أبا جعفر المنصور الى خراسان وأمره أن يأتي أبا مسلم
فيناظره في بعض الامور ووجهه معه ثلاثين رجلا من وجوه القواد
وفيههم الحجاج بن ارطاة الفقيه واسحاق بن الفضل الهاشمي فلما قدم المنصور
على أبي مسلم لم يبالغ أبو مسلم في برّه وإكرامه ولم يظهر السرور التام
بقدومه فانصرف الى أبي العباس وقال است بخليفة ما دام أبو مسلم حيا فاحتل
لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك فلقد رأيته وكأنه لا أحد فوقه ومثله لا يؤمن
غدره ونكشه فقال أبو العباس وكيف يمكن ذلك ومعه أهل خراسان وقد
أشرب قلوبهم حبه واتباع أمره وإثار طاعته فقال أبو جعفر فذاك والله
أخرى أن لا تأمنه فاحتل له فقال أبو العباس يا أخي اضرب عن هذا ولا تعلمن
رأيك في ذلك أحدا . وان أبا العباس قال ذات يوم للحجاج بن ارطاة وقد
خلا معه ما تقول في أبي مسلم فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول في كتابه
(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) قال أبو العباس أمسك فقد فهمت ما
أردت ثم ان أبا مسلم وجه محمد بن الاشعث بن عبد الرحمن أميرا على فارس
ورأى أبو العباس أن يستعمل عليها عمه عيسى بن علي فعقد له عليها وأمره
بالمسير اليها فلما قدم عيسى على محمد بن الاشعث أبا أن يسلم اليه فقال له عيسى

يا ابن الاشعث ألسنت في طاعة الامام أبي العباس قال بلى غير ان أبا مسلم أمرني ألا
اسلم لعمل الى أحد من الناس قال عيسى فانما أبو مسلم عبد للامام وان الامام
لا يرضى أن يرد أمره قال محمد دع عنك هذا لست أسلم العمل اليك الا بكتاب
أبي مسلم فانصرف عيسى الى أبي العباس فأخبره ذلك فكظم وأمر عمه بالمقام
عنده فأقام . وان أبا مسلم عقد للمغلس بن السري على أرض طخارستان
حتى وافاها فخرج اليه منصور مستعدا للحرب فالتقوا فاقتتلوا فكان
الظفر للمغلس وهرب منصور في نفر من أصحابه حتى وقعوا في الرمال فماتوا
عطشا وأقام المغلس على باب بلاد السند . وان أبا مسلم كتب الى الامام
أبي العباس يستأذنه في القدوم عليه والمقام عنده الى أوان الحج ليحج فأذن له
أبو العباس في ذلك فسار أبو مسلم حتى اذا قارب الامام أمر أبو العباس جميع
من كان معه بالحضرة من القواد والأشراف أن يستقبلوه فاستقبل بالكرامة
وترجل له الأشراف والقواد وأقبل حتى وافى مدينة أبي العباس فأنزله معه
في قصره ولم يأل جهده في بره وإكرامه حتى اذا حان وقت الحج استأذنه
في الحج فقال له أبو العباس لولا ان أخى أبا جعفر قد عزم على الحج لوليتك
الموسم فكونا جميعا قال أبو مسلم وذاك أحب اليّ ثم خرجا فكان يرتحل
أبو جعفر وينزل أبو مسلم حتى وافيا مكة فقضيا حجهما وانصرفا

(خلافة أبي جعفر المنصور)

فلما وصل أبو جعفر الى ذات عرق في منصرفه أتاه نهي الامام أبي
العباس فأقام بمكانه حتى وافاه أبو مسلم فأخبره بوفاة أبي العباس فحنقت أبا

مسلم العبرة وقال رحم الله أمير المؤمنين أنا لله وأنا إليه راجعون فقال أبو جعفر
 اني قد رأيت أن تخلف أثقالك ومن معك من جنودك على فيكونوا معي
 وترك أنت في عشرة نفر البريد حتى ترد الانبار فتضبط العسكر وتسكن
 الناس قال أبو مسلم أفعل فركب في عشرة نفر من خاصته وسار بالحث الشديد
 حتى وافى العراق وانتهى الى مدينة أبي العباس بالانبار فوجد عيسى بن علي
 ابن عبد الله بن عباس قد دعا الناس الى بيعته وخلع ولاية العهد عن أبي
 جعفر فلما رأوا أبا مسلم مالوا معه وتركوا عيسى فلما وافى أبو جعفر اعتذر اليه
 عيسى وأعلمه أنه إنما أراد بذلك ضبط العسكر وحفظ الخزائن وبيوت الاموال
 فقبل أبو جعفر منه ذلك ولم يؤاخذ به بما كان منه . واجتمع الناس وبايعوا
 المنصور أبا جعفر ثم أتاه انتقاض الشام وقد كان أبو العباس استعمل عليها
 عمه عبد الله بن علي فلما بلغه وفاة أبي العباس دعا لنفسه واستمال من كان معه
 من جنود خراسان فمالوا معه فلما بلغ أبا جعفر ذلك قال لأبي مسلم أيها الرجل
 إنما هو أنا أو أنت فاما أن تسير الى الشام فتصلح أمرها أو أسير أنا قال أبو
 مسلم بل أسير أنا فاستعد وسار في اثني عشر ألفا من أبطال جنود خراسان
 حتى اذا وافى الشام انحاز اليه من كان بها من الجنود جميعهم وبقى عبد الله
 ابن علي وحده فعفا أبو مسلم عنه ولم يؤاخذ به بما كان منه . وكانت خلافة
 أبي العباس أربع سنين وستة أشهر وان أبا جعفر عند مسير أبي مسلم نحو
 الشام وجه يقطين بن موسى في أثر أبي مسلم وقال ان تكن هناك غنائم فتول
 قبضها وبلغ ذلك أبا مسلم فشرق عليه وقال ان أمير المؤمنين لم ياتمني على

ماها هنا حتى استظهر على بأمين ودخلته من ذلك وحشة شديدة . ولما بلغ
 المنصور اصلاح الشام كره المقام بمدينة أبي العباس التي بالانبار فسار بعسكره
 الى المدائن فتمزل المدينة التي تدعى الرومية وهي من المدائن على فرسخ
 وهي المدينة التي بناها كسرى أنوشروان وأنزلها السبي الذي سباه من بلاد
 الروم فأقام المنصور بتلك المدينة . وان أبا مسلم انصرف فأخذ على الفرات
 حتى وافى العراق على الانبار وجاز حتى وافى كرخ بغداد وهي اذذاك قرية
 ثم عبر دجلة من بغداد وأخذ طريق خراسان وترك طريق المدائن وبلغ
 ذلك أبا جعفر فكتب الى أبي مسلم أريد مناظرتك في أمور لم يحتملها
 الكتاب فخلف عسكرك حيث ينتهي اليك كتابي فاقدم علي فلم يلتفت أبو
 مسلم الى كتاب المنصور ولم يعأ به وكان مع المنصور رجتل من ولد جرير
 ابن عبد الله البجلي واسمه جرير بن يزيد بن عبد الله وكانت له خلافة
 وتأن في الامور ومكيدة فقال له أبو جعفر اركب البريد حتى تلاحق أبا مسلم
 فتحاول رده الي فانه قد مضى مغاضبا ولا آمن افساده علي وتأن في رده
 بأفضل الثاني فسار الرجل حتى لحقه في بعض الطريق وقد نزل بعض المنازل
 بعسكره فدخل عليه مضر به فقال أيها الأمير أجهدت نفسك وأسهرت
 ليلك وأتعبت نهارك في نصرة مواليك وأهل بيت نبيك حتى اذا استحكم لهم
 الامر وتوطد لهم السلطان ونلت أمنيته فيهم تنصرف على هذه الحال فما
 تقبل الناس ألا تعلم أن ذلك مطعنة عليك ومسبة في حياتك وبعد وفاتك
 فبينال به حتى عزم على الانصراف معه الى المنصور وخلف عسكره بمكانه

ذلك وسار منصورا في الف فارس من أفاضل من كان معه من جنود خراسان والقواد وقد كان أبو مسلم يقول ان المنجمين أخبروني أن لا أقتل الا بالروم حتى وافى أبا جعفر بالرومية فدخل عليه فقام اليه أبو جعفر وعانقه وأظهر السرور بانصرافه وقال له كدت تمضي من قبل أن أراك وأفضى اليك بما أريد فقم فضع عنك ثيابك وانزل حتى يذهب كلال السير عنك فخرج أبو مسلم الى قصر قد أعد له ونزل أصحابه حوله فمكث ثلاثة أيام يغده كل يوم الى أبي جعفر فيدخل على دابته حتى ينتهي الى باب المجلس الذي فيه الامام فينزل ويدخل اليه فيجلس عنده مليا فيتناظران في الامور فلما كان في اليوم الرابع وطّن له أبو جعفر عثمان بن نهيك وكان على حرسه وشبث بن روح وكان على شرطته وأبا فلان بن عبد الله وكان على الخيل وأمرهم أن يكمنوا في بيت الى جنب المجلس الذي كان فيه وقال لهم اذا أنا صفقت يدي ثلاثا فاخرجوا الى أبي مسلم فبضعوه وأمر الحاجب اذا دخل أبو مسلم أن يأخذ عنه سيفه وأقبل أبو مسلم فدخل وأخذ الحاجب سيفه فدخل مغضبا وقال يا أمير المؤمنين فعل بي ما لم يفعل بي مثله قط أخذ السيف من عاتقي قال أبو جعفر ومن أخذه لعنه الله اجلس لاعليك فجلس وعليه قباء أسود خزر ووضع له متكئا ولم يكن في البيت غيرها فقال أبو جعفر ما أردت بمضيائك نحو خراسان قبل لقائي قال أبو مسلم لأنك وجهت في أثرى الى الشام أمينا في احصاء الغنائم أما وثقت بي فيها فأغاظ له أبو جعفر الكلام فقال يا أمير المؤمنين أنسيت حسن بلائي وفضل قيامي واتعابي نفسي ليلي ونهاري حتى

سقتُ هذا السلطان اليكم قال أبو جعفر يا ابن الجليثة والله لو قامت مقامك
أمة سوداء لا غنت غناك إنما تأتي لك الأمور في ذلك بما أحب الله من
إظهار دعوتنا أهل البيت وردّ حقنا إلينا ولو كان ذلك بحولك وحيلتك
وقوتك ما قطعت فتيلًا ألت يا ابن اللخناء الذي كتبت إلى تحطّط عمي
آمنة بنت عليّ بن عبد الله وتزعم في كتابك أنك ابن سليط بن عبد الله
ابن عباس لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال أبو مسلم يا أمير المؤمنين لا تدخل
على نفسك الغم والغيط بسببي فإني أصغر قدرا من أن أبلغ منك هذا فصقّ
أبو جعفر بكفيه ثلاثا وخرج عليه القوم بالسيوف فلما رأهم أبو مسلم أيقن بالامر
فقام إلى أبي جعفر فتناول رجله ليقبلها فرفسه أبو جعفر برجله فوق ناحية فأخذته
السيوف فقال أبو مسلم أما من سلاح يحامي به المرء عن نفسه فضر بود حتى
خمد وأمر به أبو جعفر فلف في بساط ووضع ناحية من البيت وقد كان أبو
مسلم قبل دخوله على أبي جعفر قال عيسى بن عليّ ادخل معي إلى أمير
المؤمنين فإني أريد معاتبته في بعض الأمور فقال له عيسى تقدّم فإني على
أثرك فأقبل عيسى حتى دخل على أبي جعفر فقال يا أمير المؤمنين أين أبو
مسلم قال أبو جعفر ها هو ذاك واقف في ذلك البساط قال عيسى أقتله أنا لله
فكيف تصنع بجنوده وهؤلاء قد جعلوه ربّا فأمر أبو جعفر فبيّدت ألف صرّة
في كلّ صرّة ثلاثة آلاف درهم وأحسن أصحاب أبي مسلم بالأمر فصاحوا
وسلّوا السيوف فأمر أبو جعفر بتلك الصرر فقُذفت إليهم مع رأس أبي مسلم
وصعد عيسى بن عليّ إلى أعلى القصر وقال يا أهل خراسان إنما كان أبو

مسلم عبدا من عبيد أمير المؤمنين وجد عليه فقتله فليفرخ روعكم فان أمير المؤمنين بالغ آمالكم فترجل القوم وتناولوا تلك الصرر كل واحد صرة وترك الرأس مقدوفا ثم ان أبا جعفر وضع لأصحاب أبي مسلم العطاء ووجه الاموال الى عسكر أبي مسلم حيث خلفه فأسنى لهم العطاء وكتب كتابا فقرئ عليهم يبسط فيه آمالهم وأجزل صلوات القواد والاشراف منهم فأرضاهم ذلك. واستدفت الخلافة لأبي جعفر المنصور سنة ثمان وثلاثين ومائة فوجه عماله الى أقطار الأرض

(بناء بغداد)

وان أبا جعفر أحب أن يبني لنفسه وجنوده مدينة ليتخذها دار المملكة فسار بنفسه يرتاد الاماكن حتى انتهى الى بغداد وهي اذ ذاك قرية يقوم بها سوق في كل شهر فأعجبه المكان فخط لنفسه وحشمه ومواليه وولده وأهل بيته المدينة وسمّاها مدينة السلام وبنى قصره وسطها الى المسجد الأعظم ثم خطّ لجنوده حول المدينة وجعل أهل كل بلد من خراسان في ناحية منها منفردة وأمر الناس بالبناء ووسع عليهم في النفقات وأمر فحفر نهر الفرات من ثمانية فراسخ وفوهة النهر من دمّا فأجرى الى بغداد ليأتي فيه مواد الشام والجزيرة كما تأتي مواد الموصل وما اتصل بالموصل في دجلة وكان بناؤه أيّاها في سنة تسع وثلاثين ومائة. ثم ان أبا جعفر حج بالناس سنة أربعين ومائة وجعل منصرفه على مدينة الرسول فوضع لاهلها العطاء فأسنى لهم في الرزق وفرّق فيهم الجوائز وهضى نحو الشام قاصدا لبيت المقدس حتى وافاها فأقام

بها شهرا ثم سار الى الرقة فأقام بها بقية عامه ذلك ثم سار من الرقة حتى وافى
مدينة السلام فأقام بها حولا كاملا

(خروج الراوندية)

ثم سار منها سنة اثنتين وأربعين ومائة نحو البصرة حتى وافاها فبلغه ان
الراوندية تداعوا وخرجوا يطلبون بشار أبي مسلم وخلعوا الطاعة فوجه اليهم خازم
بن خزيمة فقتلهم وبددهم في الارض ثم عقد لمعن بن زائدة من البصرة على
لمين وأقام عامه ذلك بالبصرة

(نصيحة عمرو بن عبيد للمنصور)

وزعموا ان عمرو بن عبيد دخل اليه فلما رآه أبو جعفر صاحبه وأجلسه
لى جانبه فتكلم عمرو فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أعطاك الدنيا بأسرها
فاشتر نفسك من الله ببعضها واعلم بأن الله لا يرضى منك الا بما ترضاه منه
فانك لا ترضى من الله الا بأن يعدل عليك وان الله لا يرضى منك الا بالعدل
في رعيته يا أمير المؤمنين ان من وراء بابك نيرانا تأجج من الجور وما
يُعمل من وراء بابك بكتاب الله ولا بسنة رسول الله يا أمير المؤمنين (ألم
تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) حتى أتى على آخر السورة ثم قال
يا لمن عمل والله بمثل عملهم قالوا فبكى أبو جعفر فقال ابن مجالد مة يا عمرو قد
تثقت على أمير المؤمنين منذ اليوم قال عمرو من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا أخوك
بن مجالد قال عمرو يا أمير المؤمنين ما أجد أعدى لك من ابن مجالد أيطوي عنك
لنصيحة يمنعك من نصيحك انك لمعهوت وموقوف ومسلول عن مثاقيل الذر

من الخير والشر قال فرمى اليه أبو جعفر بخاتمه وقال قد وليت ما وراء بابي فادع أصحابك فوالهم فقال ان أصحابي لن يأتوك حتى يروك قد عملت بالعدل كما قلت بالعدل ثم انصرف. وسار أبو جعفر من البصرة سنة ثلاث وأربعين نحو الجبل حتى وافى مدينة نهاوند وقد كان بلغه طيها فأقام بها شهرا ثم انصرف حتى أتى المدائن فأقام بها بقية عامه ذلك وعقد منها لخزيمة بن خازم على جميع طبرستان حتى اذا آن أوان الحج خرج منها حاجا سنة أربع وأربعين ومائة ونزل الرابذة فلما قضى حجه انصرف ولم يدخل المدينة

(خروج محمد بن عبد الله على المنصور)

وفي ذلك العام خرج عليه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الملقب بالنفس الزكية فوجه اليه أبو جعفر عيسى ابن موسى بن علي في خيل فقتل رحمه الله وخرج أخوه إبراهيم بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن فقتل رضوان الله عليهم

(وفاة المنصور)

وفي سنة ثمان وخمسين ومائة حج أبو جعفر فنزل الأبطح على بئر ميمون فرض بها وتوفي غداة السبت است خلون من ذي الحجة فأقام الحج للناس في ذلك العام إبراهيم بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس وصلى على أبي جعفر عيسى بن موسى فكانت الخلافة عشرين سنة وتوفي وله ثلاث وستون سنة ودفن بأعلى مكة

(خلافة محمد المهدي)

ثم بويع للمهدي بن المنصور يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة وفي ذلك العام أمر المهديّ باتخاذ المقاصير في جميع مساجد الجماعات ثم حج المهدي سنة ستين ومائة فانصرف على المدينة فأمر أن يشتري ما حول المسجد من المنازل والدور فيوسع به المسجد وفي سنة اثنتين وستين ومائة خرجت الحمرة بجرجان فسار اليهم عمر بن العلاء ففرّقهم وفي ذلك العام عقد المهدي ولاية العهد لابنه موسى الهادي ومن بعده لابنه هرون الرشيد وفي سنة تسع وستين خرج موسى بن المهديّ الى جرجان وخرج المهديّ الى ماسبذان فأقام بها متنزها ومات بها وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكانت خلافته عشر سنين وشهرا ونصفا

(خلافة موسى الهادي)

وأنت الخلافة موسى الهادي وهو بجرجان وبويع بمدينة السلام لثمان بقين من المحرم وفي ذلك العام خرج الحسين بن عليّ بن الحسن بالمدينة وسار نحو مكة فلقه عيسى بن موسى والعباس بن عليّ فقتلاه . وفي سنة سبعين ومائة توفي الامام موسى بن المهدي بعيساباذ في النصف من شهر ربيع الاول وكان له يوم توفي أربع وعشرون سنة وكانت خلافته سنة وشهرا وأربعة وعشرين يوما .

(خلافة هارون الرشيد)

وفي ذلك العام استخلف هرون الرشيد وحج وانصرف على المدينة

فوضع لأهلها العطاء وأجزل لهم فأقبل الى العراق فوافى الكوفة . وعقد لابي
العباس الطوسي على خراسان فلبث عليها عامين ثم عزله واستعمل عليها محمد
ابن الأشعث وفي سنة أربع وسبعين ومائة وقعت العصبية بأرض الشام بين
المضرية واليمانية فتحاربوا حتى قتل بين الفريقين بشر كثير . وحجّ الرشيد
في ذلك العام بالناس ومعه ابنه محمد وعبد الله وكتب بينهما كتابا بولاية
العهد لمحمد ومن بعده لعبد الله المأمون وعلق الكتاب في جوف الكعبة ثم
انصرف الى مدينة السلام واستعمل على خراسان الغطريف بن عطاء . قال
عليّ بن حمزة الكسائي ولأني الرشيد تأديب محمد وعبد الله فكنت أشدد
عليهما في الأدب وأخذهما به أخذا شديدا وبخاصة محمدا فأتتني ذات يوم
خالصة جارية أمّ جعفر فقالت يا كسائي ان السيدة تقرأ عليك السلام وتقول
لك حاجتي اليك ان ترفق بابني محمد فانه ثمره فوادي وقرّة عيني وأنا أرقّ
عليه رقّة شديدة فقلت خالصة ان محمدا مرشح للخلافة بعد أبيه ولا يجوز
التقصير في بابه فقالت خالصة ان لركة السيدة سببا انا مخبرتك به انها في الليلة
التي ولدته أريت في منامها كان أربع نسوة أقبلن اليه فاكتنفنه عن يمينه وشماله
وأمامه وورائه فقالت التي بين يديه ملك قليل العمر ضيق الصدر عظيم
الكبر واهي الأمر كثير الوزر شديد الغدر وقالت التي من ورائه ملك
قصاص مبذر متلاف قليل الانصاف كثير الاسراف وقالت التي عن يمينه
ملك ضخيم قليل الحلم كثير الاثم قطوع للرحم وقالت التي عن يساره ملك
غدار كثير العثار سريع الدمار ثم بكت خالصة وقالت يا كسائي وهل يغني

الحذر . و ذكر عن الأصمعيّ قال دخلتُ على الرشيد وكنت غبت عنه
حولين بالبصرة فأومأ اليّ بالجلوس قريبا منه فجلستُ قليلا ثم نهضت فأومأ
اليّ أن اجلس فجلستُ حتى خف الناس ثم قال لي يا أصمعيّ ألا تحب أن
تري محمدا وعبد الله قلت بلى يا أمير المؤمنين اني لأحب ذلك وما أردت
القيام الا اليهما لاسلم عليهما قال تكفي ثم قال عليّ بمحمد وعبد الله فانطلق
الرسول وقال أحببنا أمير المؤمنين فأقبلا كأنهما قرا أفق قد قار باخطاهما وضربا
يبصرهما الارض حتى وقفا على أبيهما فسالما عليه بالخلافة وأومأ اليهما فدنيا
منه فأجلس محمدا عن يمينه وعبد الله عن شماله ثم أمرني بمطارحتهما فكنت
لألقى عليهما شيئا من فنون الأدب الا أجابا فيه وأصابا فقال كيف ترى
أدبهما قلت يا أمير المؤمنين ما رأيتُ مثلهما في ذكائهما وجودة ذهنهما فأطال
الله بقاءهما ورزق الأمة من رأقتهما ومعطفتهما فضمهما الي صدره وسبقته
عبرته حتى تحدّرت دموعه ثم أذن لهما حتى اذا نهضا وخرجا قال كيف بكم
اذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء ويود
كثير من الاحياء انهم كانوا موتى قلت يا أمير المؤمنين هذا شيء قضى به
المنجمون عند مولدهما أو شيء أثرته العلماء في أمرهما قال لا بل شيء أثرته
العلماء عن الأوصياء عن الانبياء في أمرهما قالوا فكان المأمون يقول في
خلافته قد كان الرشيد سمع جميع ماجرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمد
فلذلك قال ما قال . قال الأصمعيّ وكان الرشيد يحبّ السمر ويشتهي أحاديث
الناس فكان يرسل اليّ اذا نشط لذلك وجن عليه الليل فأسامره فأثيت

ذات ليلة ولم يكن عنده أحد فسامرته ساعة ثم أطرق وفكر ثم قال يا غلام
عليّ بالعباسيّ يعني الفضل بن الربيع فحضر ودخل فأذن له بالجلوس فقال
يا عباسيّ أني عنيتُ بتولية العهد ومثبتُ الأمر في محمد وعبد الله وقد علمت
أنني ان وليتُ محمداً مع ركوبه هواه وانهم ما كه في اللهو واللذات خلط على
الرعية وضع الرأي حتى يطمع فيه الأفاضل من أهل البغي والمعاصي وان
صرفت الأمر الى عبد الله ليسلكن بهم المحجة وليصلحن المملكة وان فيه
لحزم المنصور وشجاعة المهدي فما ترى قال الفضل يا أمير المؤمنين ان هذا أمر
خطير عظيم والزلة فيه لا تستقال ولا الكلام فيه مكان غير هذا فعملتُ انهما
يحبان الخلوة فقممت عنهما وجلست ناحية من صحن الدار فما زالا يتناظران
الى أن أصبحا واتفق رأيهما على تولية محمد العهد وتصيير عبد الله من بعده
وقسمة الاموال والجنود بينهما وأن يقيم محمد بدار الخلافة ويتولى المأمون
خراسان فلما أصبح أمر بجمع القواد فاجتمعوا اليه فدعاهم الى بيعة محمد ومن
بعده الى بيعة المأمون فأجابوا الى ذلك وبايعوا . وفي سنة ثمانين ومائة عقد
الرشيد لعلّ بن عيسى بن ماهان على خراسان وفي ذلك العام خرج الرشيد
الى أرض الشام وأخذ على الموصل فلما وافاها أمر بهدم مدينتها وقد كانوا
وثبوا بعامله . وفي ذلك العام وثب أهل خراسان بعاملهم فقتلوه فأقام بالشام
عامه ذلك ثم خرج حاجاً فلما انصرف قصد الانبار فنزل به بمدينة أبي العباس
وهي من الانبار على نصف فرسخ وقد كان بقي بها جمع عظيم من أبناء أهل
خراسان توالدوا بها حتى كثروا فهم الى الآن فأقام بها شهراً ثم توجه منها

الى الرقة فأقام بها شهرا وخرج منها غازيا الى أرض الروم فافتتح مدينة من مدنها تسمى معصوقا ثم انصرف الى الرقة فأقام بها بقية عامه ذلك . فلما كان أوان الحج حج فقصى نسكه وجعل منصرفه على الرقة فأقام بها وولى يزيد بن مزيّد ارمينية ثم قدم من الرقة سنة أربع وثمانين ومائة حتى وافى مدينة السلام ونزل قصره بالرصافة وأخذ عماله بالبقايا . ثم سار من مدينة السلام في سنة خمس وثمانين ومائة عائدا الى الرقة وقد كان استطابها فلما كان أوان الحج حج فمر بالمدينة فأعطاهم ثلاث أعطيات وأعطى أهل مكة عطاءين ثم انصرف فقصد الانبار فأقام بها شهرا ثم انصرف الى مدينة السلام ثم عقد البيعة لابنه القاسم بعد محمد وعبد الله وولاه الشام فوجه القاسم عليها عماله . وحج الرشيد سنة ثمان وثمانين ومائة وانصرف فنزل الحيرة وأقام بها أياما ثم دخل مدينة السلام . وفي سنة تسع وثمانين سار الى الري فأقام بها شهرا ثم انصرف نحو مدينة السلام فضحى بقصر اللصوص ثم دخل بغداد ولم ينزلها ومضى حتى انتهى الى السالحين وهي من مدينة السلام على ثلاثة فراسخ فبات بها ثم سار عائدا الى الرقة حتى وافاها وأمر عند مره ببغداد بخشبة جعفر بن يحيى أن تحرق وأقام بالرقة بقية ذلك العام فلما دخلت سنة تسعين ومائة خرج غازيا لأرض الروم حتى غل فيها وانتهى الى هرقلة فافتتحها . وفي ذلك العام خرج رافع بن نصر بن سيار مغاضبا بأرض خراسان وكان سبب خروجه أن علي بن عيسى بن ماهان لما ولى خراسان أساء السيرة وتحامل على من كان بها من العرب وأظهر الجور فخرج عليه رافع فواقعه وقعات ثم انحاز فيمن اتبعه من

أهل خراسان وكانوا زهاء ثلاثين ألف رجل في سمرقند وأقام بمدينتها وبلغ ذلك الرشيد فعزل علي بن عيسى عنها واستعمل عليها هرثمة بن أعين ثم انصرف الرشيد قافلا من الروم حتى نزل مدينة السلام عامه ذلك واستخلف ابنه محمدا على دار المملكة وخرج عامدا لارض خراسان ليتولى حرب نافع بنفسه. ودخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة وفيها خرجت الحرورية بأرض الجبل في المرة الاولى فوجه اليهم محمدا الامين بعبد الله بن مالك الخزاعي فقتل منهم مقتلة عظيمة وشرّد بقيتهم في البلدان وسار الرشيد حتى وافى مدينة طوس فنزل في دار حميد الطوسي ومرض بهامرضا شديدا فجمع له الاطباء يعالجونه فقال

انّ الطيب بطبه ودوائه لا يستطيع دافع محذور جرى
ما للطيب يموت بالداء الذي قد كان يشفى مثله فيما مضى

فلما اشتد به الوجع قال للفضل بن الربيع يا عباسي ما تقول الناس قال يقولون ان شائي أمير المؤمنين قد مات فأمر أن يُسرج له حمار ليركبه ويخرج فأسرج له وحمل حتى وُضع على السرج فاسترخت فخذاه ولم يستطع الثبوت فقال أرى الناس قد صدقوا ثم توفي وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائة يوم السبت لحس ليال خلون من جمادى الآخرة وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرا ونصفا

(خلافة محمد الامين)

فأتت الخلافة محمدا الأمين ببغداد يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة ونعاه للناس يوم الجمعة ودعاهم الى تجديد البيعة فابيعوا. ووصل الخبر

بوفاة الرشيد الى المأمون وهو بمدينة مرو يوم الجمعة لثمان خلون من الشهر
فركب الى المسجد الاعظم ونودي في الجنود وسائر الوجوه فاجتمعوا وصعد
المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ثم قال أيها الناس أحسن الله
عزاءنا وعزاءكم في الخليفة الماضي صلوات الله عليه وبارك لنا ولكم في خليفتمكم
الحادث مد الله في عمره ثم خنقته العبرة فمسح عينه بسواده ثم قال يا أهل
خراسان جدّدوا البيعة لامامكم الامين فبايعه الناس جميعا ولما أتت الخلافة
محمدًا وبايعه الناس دخل عليه الشعراء وفيهم الحسن بن هانئ فأنشدوه وقام
الحسن في آخرهم فأنشده قوله

الا دارها بالماء حتى تُلِينَهَا	فلن تُكْرِمَ الصِّبَاءَ حتى تُهَيِّنَهَا
وحمرء قبل المزج صفراء بعده	كأن شعاع الشمس يلقاك دُونَهَا
كأن يواقيتاً رَوَا كدَحَوْهَا	وزُرْقَ سنانيرٍ تُديرُ عُيُونَهَا
لقد جَلَّلَ اللهُ الكرامةَ أُمَّةً	يكون أميرُ المؤمنين أَمِينَهَا
حميتَ حماها بالقنابل والقنا	ووفرتَ دُنْيَاها عليها ودينَهَا
يَرَاكَ بنو المنصور أولاهم بها	وان أظهر واغیر الذی يَكْتُمُونَهَا

فوصلهم جميعا وفضله . ثم ان محمدًا الامين دعا اسماعيل بن صبيح كاتب السر
فقال ما الذي ترى يا ابن صبيح قال أرى دولة مباركة وخلافة مستقيمة وأمرًا
مقبلاً فتممَّ الله ذلك لأمر المؤمنين بأفضله وأجزله قال له محمد اني لم أبغك
قاصًا انما أردتُ منك الرأي قال اسماعيل ان رأي أمير المؤمنين أن يوضح
لي الأمر لأشير عليه بمبلغ رأيي ونصحي فعل قال اني قد رأيتُ أن أعزل

أخى عبد الله عن خراسان وأستعمل عليها موسى بن أمير المؤمنين قال اسماعيل
أعذك بالله يا أمير المؤمنين أن تنقض ما أسسه الرشيد ومهدده وشيد أركانه قال
محمد ان الرشيد موّه عليه في أمر عبد الله بالزخرفة ويحك يا ابن صبيح ان
عبد الملك بن مروان كان أحزم رأيا منك حيث قال لا يجتمع فحلان في هجمة
الا قتل أحدهما صاحبه قال اسمعيل أما اذا كان هذا رأيك فلا تجاهره بل
اكتب اليه وأعلمه حاجتك اليه بالحضرة ليعينك على ما قلده الله من أمر
عباده وبلاده فاذا قدم عليك وفرقت بينه وبين جنوده كسرت حده
وظفرت به وصاررهنّا في يديك فانت في أمره ما أردت قال محمد أجدت يا ابن
صبيح وأصبت هذا لعمرى الراى . ثم كتب اليه يعلمه ان الذى قلده الله من
أمر الخلافة والسياسة قد أثقله ويسأله أن يقدم عليه ليعينه على أمورهِ ويشير
عليه بما فيه مصلحته فان ذلك أعود على أمير المؤمنين من مقامه بخراسان وأعمر
للبلاد وأدرّ للنفى وأكبت للعدو وآمن للبيضة ثم وجه الكتاب مع العباس
ابن موسى ومحمد بن عيسى وصالح صاحب المصلّى فساروا نحو خراسان
فاستقبلهم طاهر بن الحسين مقبلا من عند المأمون على ولاية الرى حتى
انتهوا الى المأمون وهو بمدينة مرو فدخلوا عليه وأرسلوا الكتاب اليه
وتكلّموا فذكروا حاجة أمير المؤمنين الامين اليه وما يرجو في قر به من
بسط المملكة والقوة على العدو فأبلغوا في مقاتلهم وأمر المأمون بانزالهم
واكرامهم . ولما جنّ عليه الليل بعث الى الفضل بن سهل وكان أخص وزرائه
عنده وأوثقهم في نفسه وقد كان جرّب منه وثاقة رأى وفضل حزم فلما أتاه

خلا به وأقرأه كتاب محمد وأخبره بما تكلم به الوفد من أمر التحضيض
 على المسير الى أخيه ومعاوته على أمره قال الفضل ما يريد بك خيرا وما
 أرى لك الا الامتناع عليه قال المأمون فكيف يمكنى الامتناع عليه والرجال
 والأموال معه والناس مع المال قال الفضل أجلى ليلتى هذه لآتيك غدا
 بما أرى قال له المأمون امض في حفظ الله فانصرف الفضل بن سهل الى
 منزله وكان منجما فنظر ليلته كلها في حسابه ونجومه وكان بها ماهرا فلما أصبح
 غدا على المأمون فأخبره أنه يظهر على محمد ويغلبه ويستولى على الأمر ، فلما
 قال له ذلك بعث الى الوفد فأحسن صلاتهم وجوائزهم وسألهم أن يحسنوا
 أمره عند الامين ويسلطوا من عذره وكتب معهم اليه أما بعد فان الامام
 الرشيد ولأنى هذه الارض على حين كآب من عدوها ووهى من سدّها
 وضعف من جنودها ومتى أخلّت بها أوزلت عنها لم آمن انتقاض الامور
 فيها وغلبة أعدائها عليها بما يصل ضرره الى أمير المؤمنين حيث هو فرأى
 أمير المؤمنين فى ان لا ينقض ما أبرمه الامام الرشيد . وسار القوم بالكتاب
 حتى وافوا به الامين وأوصلوا الكتاب اليه فلما قرأه جمع القواد اليه فقال
 لهم انى قد رأيت صرف أخى عبد الله عن خراسان وتصديره معى ليعاوننى
 فلا غنى بى عنه فما ترون فأسكت القوم فتكلم خازم بن خزيمة فقال يا أمير
 المؤمنين لا تحمل قوادك وجنودك على الغدر فيغدروا بك ولا يرون منك
 نقض العهد فينقضوا عهدك قال محمد ولكن شيخ هذه الدولة على بن عيسى
 ابن ماهان لا يرى ما رأيت بل يرى أن يكون عبد الله معى ليوازرنى ويحمل

عني ثقل ما أنا فيه بصدده . ثم قال لعلي بن عيسى اني قد رأيت أن تسير بالجيوش الى خراسان فتلي أمرها من تحت يدي موسى ابن أمير المؤمنين فانتخب من الجنود والجيوش على عينك ثم أمر بديوان الجند فدفع اليه فانتخب ستين ألف رجل من أبطال الجنود وفرسانهم ووضع لهم العطاء وفرّق فيهم السلاح وأمره بالمسير فخرج بالجيوش وركب معه محمد فجعل يوصيه ويقول اكرم من هناك من قواد خراسان وضع عن أهل خراسان نصف الخراج ولا تُبق على أحد يشهر عليك سيفاً أو يرمى عسكرك بسهم ولا تدع عبد الله يقيم الاثلاثا من يوم تصل اليه حتى تشخصه الى ما قبلي . وقد كانت زبيدة تقدمت الى علي بن عيسى وكان أتابها مودعا فقالت له ان محمدا وان كان ابني وثمرة فوادي فان لعبد الله من قلبي نصيبا وافرا من المحبة وأنا التي رببته وأنا أحنو عليه فايك أن يبدأ منك مكروه أو تسير أمامه بل سر اذا سرت معه من ورائه وان دعاك فلبه ولا تركب حتى يركب قبلك وخذ بركابه اذا ركب وأظهر له الاجلال والا كرام ثم دفعت اليه قيذا من فضة وقالت ان استعصى عليك في الشخوص فقيده بهذا القيد . وان محمدا انصرف عنه بعد أن أوعز اليه وأوصاه بكل ما أراد وسار علي بن عيسى بن ماهان حتى صار الى حلوان فاستقبله غير مقبلة من الري فسألهم عن خبر طاهر فأخبروه انه يستعد للحرب فقال وما طاهر ومن طاهر ليس بينه وبين إخلاء الري الا أن يبلغه أني قد جاوزت عقبة همدان ثم سار حتى خلف عقبة همدان ورائه فاستقبله غير آخرى فسألهم عن الخبر فقالوا ان طاهرا

قد وضع العطاء لأصحابه وفرق فيهم السلاح واستعد للحرب فقال في كم هو
فقالوا في زهاء عشرة آلاف رجل فأقبل الحسن بن عليّ بن عيسى على أبيه
فقال يا أبت ان طاهرا لو أراد الهرب لم يقيم بالرى يوما واحدا فقال يا بنيّ انما
تستعد الرجال لأقرانها وان طاهرا ليس عندي من الرجال الذين يستعدون
لمثلي ويستعد له مثلي . وذكروا ان مشايخ بغداد قالوا لم نرجشاً كان
أظهر سلاحا ولا أكمل عُدّة ولا أفره خيلا ولا أنبل رجلا من جيش عليّ بن
عيسى يوم خرج انما كانوا نخبا . وان طاهر بن الحسين جمع اليه رؤساء
أصحابه فاستشارهم في أمره فأشاروا عليه ان يتحصن بمدينة الرى ويحارب
القوم من فوق السور الى أن يأتيه مدد من المأمون فقال لهم ويحكم انى أبصر
بالحرب منكم انى متى تحصنت استضعفت نفسى ومال أهل المدينة اليه لقوته
وصاروا أشد عليّ من عدوى لخوفهم من عليّ بن عيسى واعله أن يستميل
بعض من معى بالاطماع . والرأى أن ألف الخليل بالخليل والرجال بالرجال والنصر
من الله . ثم نادى في جنوده بالخروج عن المدينة وان يعسكروا بموضع يقال
له القلوصة فلما خرجوا عمد أهل الرى الى أبواب مدينتهم فأغلقوها فقال
طاهر لأصحابه يا قوم اشتغلوا بمن أمامكم ولا تلتفتوا الى من وراءكم واعلموا
أنه لا وزر لكم ولا ملجأ الا سيوفكم ورماحكم فاجعلوها حصونكم وأقبل
عليّ بن عيسى نحو القلوصة فتواقف العسكران للحرب والتقوا فصدقهم
أصحاب طاهر الحملة فانتقضت تعبئة عليّ بن عيسى وكانت منهم جولة شديدة
فناداهم عليّ بن عيسى وقال أيها الناس ثوبوا واحملوا معى فرماه رجل من

أصحاب طاهر فأثبتته بعد أن دنا منه وتمكن رماء بنشابة وقعت في صدره
فنفذت الدرع والسلاح حتى أفضت الى جوفه وخر مغشيا عليه ميتا واستوت
الهزيمة بأصحابه فما زال أصحاب طاهر يقتلونهم وهم مولون حتى حال الليل
بينهم وغنموا ما كان في عسكرهم من السلاح والأموال . وبلغ ذلك محمدا
فعمد لعبد الرحمن الأبنوي في ثلاثين ألف رجل من الأبناء وتقدم اليهم أن
لا يغتروا كاغترار علي بن عيسى ولا يتهاونوا كنهاونه فسار عبد الرحمن حتى
وافي همدان وبلغ ذلك طاهرا فتقدم وسار نحوه فالتقوا جميعا فاقتتلوا شتيا من
قتال فلم يكن لأصحاب عبد الرحمن ثبات فانهزم واتبعه أصحابه فدخلوا مدينة
همدان فتحصنوا فيها شهرا حتى نفذ ما كان معهم من الزاد قال فطلب عبد
الرحمن الأبنوي الأمان له ولجميع أصحابه فأعطاه طاهر ذلك ففتح أبواب
المدينة ودخل الفريقان بعضهم في بعض وسار طاهر حتى هبط العقبة فعمسك
بناحية أسد اباد ففكر عبد الرحمن وقال كيف أعتذر الى أمير المؤمنين فعبا
أصحابه فلما طلع الفجر زحف بأصحابه الى طاهر وهو غار فوضع فيهم السيوف
فوقفت طائفة من أصحاب طاهر رجالة يذبون عن أصحابهم حتى ركبوا
واستعدوا ثم حملوا على عبد الرحمن وأصحابه فأكثروا فيهم القتل فلما رأى
ذلك عبد الرحمن ترجل في حمة أصحابه فقاتلوا حتى قتل عبد الرحمن وقتلوا
معه وبلغ ذلك محمدا فسقط في يده وبرز جنوده فعمد لعبد الله الحرشي في
خمسة آلاف رجل وليحيى بن علي بن عيسى في مثل ذلك فسارا حتى وافيا
قرميسين وبلغ طاهرا ذلك فسار نحوهما فانهزما من غير قتال حتى رجعا الى

حلوان فأقاما هناك . فزحف طاهر نحو حلوان فانهزما حتى لحقا ببغداد وأقام
 طاهر بحلوان حتى وافاه هرثمة بن أعين من عند المأمون في ثلاثين ألف
 رجل من جنود خراسان فأخذ طاهر من حلوان نحو البصرة والاهواز وتقدم
 هرثمة الى بغداد فلم تقم لمحمد قائمة حتى قُتل وكان من أمره ما كان . وان
 طاهر بن الحسين صعد من البصرة وتقدم هرثمة حتى أحسقا ببغداد وأحاطا
 بمحمد الأمين ونصبا المنجنيق على داره حتى ضاق محمد بذلك ذرعا وكان
 هرثمة بن أعين يحب صلاح حال محمد والابقاء على حشاشة نفسه فأرسل
 اليه محمد يسأله القيام بأمره واصلاح ما بينه وبين المأمون على أن يخلع نفسه عن
 الخلافة ويسلم الامر لأخيه فكتب اليه هرثمة قد كان ينبغي لك أن تدعوا الى
 ذلك قبل تفاقم الأمر فأما الآن فقد جاوز السيل الزبا وشغل الحلى أهله أن
 يُعارا ومع ذلك فاني مجتهد في اصلاح أمرك فصر الى ليلا لا كتب بصورة
 أمرك الى أمير المؤمنين وأخذ لك عهدا وثيقا ولست ألو جدا ولا اجتهدا
 في كل ما عاد بصلاح حالك وقرّبك الى أمير المؤمنين فلما سمع ذلك محمد
 استشار نصحاءه ووزراءه فأشاروا بذلك عليه وطمعوا في بقاء مهجته فلما جنة
 الليل ركب في جماعة من خاصته وثقاته وجواريه يريد العبور الى هرثمة
 فأحس طاهر بن الحسين بالمراسلة التي جرت بينهما والمواقفة التي اتفعا عليها
 فلما أقبل محمد وركب بمن معه الماء شد عليه طاهر فأخذه ومن معه ثم دعا به
 في منزله فاحتز رأسه وأنفذه من ساعته الى المأمون وأقبل المأمون حتى دخل
 مدينة السلام وصفت له المملكة واستوسقت له الامور وكان قتل محمد الأمين

أيلة الأحد لحس خلون من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وقتل وله ثمان وعشرون سنة وكانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر

(خلافة عبد الله المأمون)

وبويح المأمون وهو عبد الله بن الرشيد يوم الاثنين لحس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وكان شهما بعيد الهمة أبي النفس وكان نجم ولد العباس في العلم والحكمة وقد كان أخذ من جميع العلوم بقسط وضرب فيها بسهم وهو الذي استخرج كتاب أقليدس من الروم وأمر بترجمته وتفصيله وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات وكان استأذه فيها أبا الهذيل محمد بن الهذيل العلاف ودخل بلاد الجزيرة والشام فأقام بها مدة طويلة ثم غزا الروم وفتح فتوحا كثيرة وأبلى بلاء حسنا ثم توفي على نهر البدندون ودفن بطرسوس يوم الأربعاء لثمان خلون من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين وكانت ولايته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما وقد كان بلغ من السن تسعا وثلاثين سنة وقد كان بايع لابنه العباس بن المأمون بولاية العهد من بعده وخلفه بالعراق

(خلافة محمد المعتصم)

فلما مات هو على نهر البدندون جمع أخوه أبو اسحق محمد بن هرون المعتصم بالله إليه وجوه القواد والاجناد فدعاهم الى بيعته فبايعوه فسار من طرسوس حتى وافى مدينة السلام فدخلها وخلع العباس بن المأمون عنها وغلبه عليها وبايعه الناس بها وكان قدومه بغداد مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة

ومائتين فأقام بها سنتين ثم مرَّ باترا كه الى سُرَّ من رأى فابتناها واتخذها دارا
ومعسكرا وكانت في خلافته فتوحات لم تكن لاحد من الخلفاء الذين مضوا
مثلا قبله فمنها فتح بابك وأسره وقتله اياه وصلبه ومنها ما زيار صاحب قلعة
طبرستان فانه تحصَّن في القلاع والجبال فما زال به حتى أخذه فقتله وصلبه الى
جنب بابك ومنها جعفر الكردي وقد كان أخرج البلاد وسبي الذراري
فوجه الخيول في طلبه ولم يزل به حتى أخذه وقتله وصلبه الى جنب بابك
وما زيار ومن ذلك فتح عمورية وهي القسطنطينية الصغرى والاخرى فتحها
الله على يديه وكان ابتداء أمر بابك انه تحرَّك في آخر أيام المأمون وقد
اختلف الناس في نسبه ومذهبه والذي صحَّ عندنا وثبت أنه كان من ولد
مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم هذه التي ينتسب اليها الفاطمية من الحرَّمية
لا الى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشأ بابك والحبل مضطرب
والفتن متصلة فاستفتح أمره بقتل من حوله بالبدَّ وخراب تلك الامصار والقرى
التي حواليه لتصفو له البلاد ويصعب مطلبه وتشتدَّ المونة في التوصل اليه
واشتدَّت شوكته واستفحل أمره وقد كان المأمون وجه اليه حين اتصل به
خبره عبد الله بن طاهر بن الحسين في جيش عظيم فسار اليه ونزل في طريقه
الدينور في ظاهرها في مكان يعرف الى يومنا هذا بقصر عبد الله بن طاهر
وهو كرم مشهور ومكان مذكور ثم سار منها حتى وافى البدَّ وقد عظم أمر
بابك وتهيَّبه الناس فحاربوه فلم يقدروا عليه ففض جمعهم وقتل صناديدهم
وكان ممن قتل في تلك الواقعة محمد بن حميد الطوسي وهو الذي رآه أيرتام

بقصيدته التي يقول فيها

كانَ بنى نبهان يومَ وفاته نجومُ سماءِ خرَّ من بينها البدرُ

وفيه يقول

فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَحْمَصِكَ الْحَشْرُ
فلما أفضى الأمر إلى أبي اسحاق المعتصم بالله لم تكن همته غيره فاعدا له
الأموال والرجال وأخرج مولاه الأفشين حيدر بن كاوس فسار الأفشين
بالعساكر والجيش حتى وافى برزند فأقام بها حتى طاب الزمان وانحسرت
الثلوج عن الطرقات ثم قدّم خليفته يوباره وجعفر بن دينار وهو المعروف
بجعفر الخياط في جمع كثير من الفرسان إلى الموضع الذي كان فيه معسكرا
وأمرهما أن يحفرا خندقا حصينا فسارا حتى نزلا هناك واحتفرا الخندق فلما
فرغا من حفر الخندق استخلف الأفشين ببرزند المرزبان مولى المعتصم في
جماعة من القواد وسار هو حتى نزل الخندق ووجه يوباره وجعفر الخياط في
جمع كشف إلى رأس نهر كبير وأمرهما بحفر خندق آخر هناك فسارا حتى
احتفراه فلما فرغا وافاهما الأفشين ثم خلف في موضعه محمد بن خالد بن خازم أخذه
وشخص إلى درود في خمسة آلاف فارس وألفي راجل ومعه ألف رجل من
الفعلة حتى نزل درود واحتفرا بها خندقا عظيما وبنى عليها سورا شاهقا فكان
بابك وأصحابه يقفون على جبال شاهقة فيشرفون منها على العسكر ويولولون
ثم ركب الأفشين يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شعبان في تعبئة وحمل المجانيق
وأمر بابك أذنين أن يحصن تلالا مشرفا على المدينة ومعه ثلاثة آلاف

رجل وقد كان احتفر حوله الآبار ليمتنع الخيل منهم فانصرف الافشين يومه الى خندقه ثم غدا عليه يوم الجمعة في غرة شهر رمضان فنصب المجانيق والعرّادات على المدينة واحدقت القوّاد والرؤساء وأقبل بابك في انجاء أصحابه وعبّاهم فقاتلوه القوّاد قتالا شديدا الى العصر ثم انصرفوا وقد نكوا في أصحابه وأقام الافشين ستة أيام ثم ناهضه يوم الخميس اسبع ليال خلون من شهر رمضان واستعدّ له بابك فوضع على البذلّة عَجَلا عظيما ليرسله على أصحاب الافشين ثم أرسل بابك رجلا يقال له موسى الاقطع الى الافشين يسأله أن يخرج اليه ليشافهه بما في نفسه فان صار الى مراده والا حاربّه فأجابه الافشين الى ذلك فخرج بابك حتى صار بالقرب من الافشين في موضع بينهما واد فلما رأى الافشين كفره فبسطه الافشين وأعلمه ما في الطاعة من السلامة في الدنيا والآخرة فلم يقبل ذلك فانصرف الى موضعه وأمر أصحابه بالحرب فسرعوا الى ذلك ودهدوها العجل الذي كانوا أعدوه فانكسر العجل وثاب أصحاب الافشين فدفعوهم الى رأس الجبل وقد كان يوبارة وجعفر الخياط وقفا بجذاء عبد الله أخى بابك فحملا وحمل عليهم القوّاد من جميع النواحي فقتلوه قتيلا ذريعا وانهزموا حتى دخلوا المدينة فدخلوا خلفهم في طلبهم وصارت الحرب في ميدان وسط المدينة وكانت حربا لم يُرَ مثلها شدة وقتلوا في الدور والبساتين وهرب عبد الله أخو بابك فلما رأى بابك ان العساكر قد احدثت به والمذاهب قد ضاقت عليه وان أصحابه قد قتلوا وفلّوا توجه الى أرمينية وسار حتى عبر نهر الرّس متوجها الى الروم فلما عبر نهر الرّس قصد

نحوه سهل بن سنباط صاحب الناحية وقد كان الافشين كتب الى أصحاب تلك النواحي والى الاكراد بارمينية والبطارقة بأخذ الطرق عليه فوافاه سهل ابن سنباط وقد كان بابك غير لباسه وبدل زيه وشدة الخرق على رجله وركب بغلة بكاف فأوقع به سهل بن سنباط فأخذه أسيرا ووجه به الى الافشين فاستوثق منه الافشين وكتب الى المعتصم بالفتح واستأذنه في القدوم عليه فأذن له فسار حتى قدم عليه ومعه بابك وأخوه فكان من قتل المعتصم لبابك وقطع يديه ورجليه وصلبه ماهو مشهور قالوا ولما قدم الافشين ومعه بابك أجلسه المعتصم على سرير أمامه وعقد التاج على رأسه وفي ذلك يقول اسحاق بن خلف الشاعر في قصيدته التي مدح فيها المعتصم بالله

ما غبت عن حرب تحرق نارها بالبذل كنت هنا وأنت هناك
عزت بأفشين حسامك أمة والد ين ممتسك به أستمساكا
لما أتاك ببابك توجته وأحق من أضحي له تاجا كا

ثم ان أحمد بن أبي دؤاد وجد على الافشين كلام بلغه عنه فأشار على المعتصم أن يجعل الجيش نصفين نصفاً مع الافشين ونصفاً مع شناس ففعل المعتصم ذلك فوجد الافشين منه وطال حزنه واشتد حقه فقال أحمد بن أبي دؤاد للمعتصم يا أمير المؤمنين ان أبا جعفر المنصور استشار أنصح الناس عنده في أمر أبي مسلم فكان من جوابه ان قال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال له المنصور حسبك ثم قتل أبا مسلم فقال له المعتصم أنت أيضا حسبك يا أبا عبد الله ثم وجه الى الافشين فقتله

وزعموا انهم كشفوا عنه فوجدوه غير مختون ومات المعتصم بالله يوم الخميس
لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين
وصلى عليه أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد وكان المعتصم أوصى اليه بالصلاة
عليه وكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما وكان قد بلغ من
السن تسعا وثلاثين سنة *

وهذا آخر كتاب الاخبار الطوال على ما جمعه أبو حنيفة أحمد بن داود
الدينوري رحمه الله تعالى ورضي عنه *

تم الكتاب بحمد الله الملك الوهاب نهار الاثنين ثالث يوم من شهر
شوال سنة ١٠٦١ بخط أفقر عباد الله وأحوجهم اليه أسير ذنبه حسين بن
حجّيه بن عباس العيصي بلدا الشافعي مذهبا غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
والمسلمات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وكان تمام هذا الطبع الميمون ذى الشكل الرائق المصون

أوائل شهر الله محرم الحرام افتتاح عام ١٣٣٠

من هجرة بدر التمام صلى الله

عليه وآله وصحبه

وكل منتم

اليه